منزل الساعات

Telegram:@mbooks90

آي إم هويل

ترجمة: أنور الشيخ

الجائزة التي نالت استحسان النقاد لكتاب حديقة الأسرار المنقوشة

آن - ماري هويل

منزل الساعات المائة

ترجمة: أنور الشيخ

تحرير: ريم البياتي

ملهمون
MOL HIMON للنشر والتوزيع

◀ الكتاب: منزل الساعات المائة
◀ المؤلف: آن – ماري هويل
◀ ترجمة: أنور الشيخ
◀ التصنيف: رواية
◀ الناشر: دار ملهمون للنشر والتوزيع
◀ التصنيف العمري: E
◀ الطبعة الأولى: يناير 2025

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقًا لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام.

◀ الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN: 0

جميع حقوق الطبع و إعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لملهمون للنشر والتوزيع، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من ملهمون للنشر والتوزيع.

darmolhimon
www.darmolhimon.com
+971655511844
SHJ, Industrial Area 18 – SHD 13, Office :1
info@darmolhimon.com

عليك مغادرة منزل الساعات ذاك في الحال.

إياك وانتظار توقُّف الساعات.

يونيو 1905

تم نقل هيلينا وببغائها أوربت إلى كامبريدج، إذ عُين والدها مديراً لساعة أحد أغنى أغنياء إنكلترا. فهناك قاعدةٌ واحدةٌ فقط: لا ينبغي للساعات أن تتوقف أبداً.

لكن هيلينا تكتشف أن بيت الساعات المائة يخفي ألغازاً كثيرةً؛ طيف شخصٍ ما، وملاحظات غريبة، ومفاتيحُ متعرجةٌ تختفي ... فهل يمكنها كشف أسرارها قبل نفاد الوقت؟

«سيعشق معجبو إيما كارول هذه الحكاية التاريخية التي تُصور الجرأة والأخطاء المصوَّبة»

التايمز

الإهداء

إلى جيرمي وجاك وإد.

1

العقد

قبضت هيلينا على قضبان قفص العصافير المقبب الموضوع في حجرها حتى آلمت أصابعها. كان السيد ويستكوت يحدق في القفص بنيةٍ غريبةٍ جعلتِ قشعريرة تتراقص في ظاهر عنقها. انحنى بجسده النحيل فوق المكتب مضيّقاً عينيه. «لقد نسيت أن تذكر في رسالة قبولك أنك ستحضر ... طائراً.» قال بخدين شاحبين متشنجين وهو ينظر إلى والد هيلينا قبل النظر إلى هيلينا ذاتها.

كانت شقيقة السيد ويستكوت تقف إلى جواره مرتديةً فستاناً حريرياً ذا خصرٍ عالٍ، بلون الخوخ، وكانت يداها داخل قفازيها تستقران على ظهر كرسيه. كانت لهما العيون الزرقاء الصغيرة الياقوتية ذاتها. وكانت عينا الآنسة ويستكوت تتجعدان في ابتسامةٍ ارتسمتْ على محياها إذ تنظر إلى هيلينا؛ أما عينا السيد ويستكوت فلم تكونا كذلك.

Telegram:@mbooks90

اقشعرّ جلد هيلينا عندما نظرتْ إلى والدها الذي كان يجلس منتصباً على كرسيه بكتفين مشدودتين.

- لقد ذهب جاك وجيل إلى أعلى التل.

- « سطل من الماء » صرخ الطائر بصوت عالٍ.

- تغضّن جبينُ السيد ويستكوت في وجه الطائر.

- «صه!» تمتمت هيلينا وهي تدس يدها عبر القضبان النحاسية فتداعب بإصبعها ريش ذيل الببغاء الأخضر والأزرق اللامع. وكان السيد ويستكوت قد أطلق على ببغاء والدتها اسم «طائر»؛ غير أنه لم يكن مجردَ طائرٍ عجوزٍ؛ بل هو أوربت؛ الطائر الأمازوني الأزرق؛ وهو أمرٌ مهمٌ كان على السيد ويستكوت أن يعرفه، لكن هيلينا شعرتْ أن الوقت غيرُ مناسبٍ جداً لإعطائه درساً حول المخلوقات الغريبة.

- «يا له من ببغاءٍ مسلٍّ!» قالت الآنسة ويستكوت بصوتٍ شجيٍّ وقد برقتْ عيناها.

استرخى تشنُّج أحشاء هيلينا قليلاً، فالتفتت تنظر إلى ابتسامة الآنسة ويستكوت الدافئة المبهرة جداً التي تسربث من بين ألواح الغرفة الخشبية وأوراقها وكتبها؛ فلما وقعت عينا هيلينا في عينيها، جعلتها تود لو أنها ترتدي معطفها البحري المفضل ذا الأزرار الحريرية الزرقاء. سحبت هيلينا أكمامها الصغيرة جداً لسترتها القطنية الفاتحة التي قال والدها إنها ستكون أنسبَ لإقامتها في كامبريدج خلال شهر يونيو الذي تبين أنه رائعٌ ومخيبٌ للآمال إلى حدٍّ ما.

- لك خالص اعتذاري لكما سيد ويستكوت، وللآنسة ويستكوت.

قال والد هيلينا محدّقاً في هيلينا بنظرةٍ فسرتها على أنها تعني: «أبقي هذا الببغاء هادئاً، وإلا!» ثم داعب لحيته المشذّبة مضيفاً: لقد كان الوقت ضيقاً جداً، وقد أوضحتم في مراسلاتكم أنكم في حاجةٍ ماسةٍ إلى ضابط وقتٍ ومراقبٍ للساعة؛ أما ابنتي هيلينا فأنّى ذهبث رافقها ببغاؤها أيضاً.»

نهض السيد ويستكوت ليلتفت نحو نافذةٍ كبيرةٍ تطل على شارع ترومبيتنغتون وما وراءه حيث شاهد بساطاً من أزهارٍ زاهيةٍ متفتحةٍ في حدائق كليةٍ جامعيةٍ؛ فجمع ذراعيه وأطلق تنهيدةٍ صغيرةٍ كانت حبيسةَ في صدره. كانت ضوضاء الخارج تنساب عبر زجاج النافذة، فيتهادى هديرُ عربةٍ يجرها حصانٌ، ووقعُ خطى الأطفال وأصوات ضحكاتهم، ورنينُ أجراس الدراجات الصاخبة. أغمضث هيلينا عينيها لأكثرَ من طرفة عينٍ ... وهي فترةٌ تكفيها لتخيل نفسها في الهواء الطلق خارج الغرفة الخشبية القمعية التي بدا كل شيءٍ فيها مملاً ومغبراً.

- أوه، أخي العزيز، قالتِ الآنسة ويستكوت باستخفافٍ، وأردفت: ما الضرر الذي سيلحقه الببغاء؟

- لا تستهويني الطيورُ ... كما تستهويك يا كاثرين. قال السيد ويستكوت وهو يلتفت نحوها رامقاً إياها بنظرةٍ حادةٍ فكان في نبرة صوته ما يوحي أن كلماته تعني لأخته شيئاً مختلفاً. سكتَ هنيهةً ثم قال باقتضابٍ: حسناً! شريطة أن يبقى الطائر في قفصه فلا يُسمح له بالطيران في المنزل؛ وإلا أضرّ بالساعات. كان وجهه شاحباً عندما وصلوا؛ أما الآن فغدا جلده شفافاً تقريباً كمصاص دماءٍ أو حيوانٍ لا يغامر

بالخروج إلا ليلاً.

تجهمت هيلينا إذ أدركت أن السيد ويستكوت غيرُ مولعٍ بالطيور جداً على ما يبدو؛ لكن أخته على الأقل أكثر مرونةً منه بقليلٍ؛ وهنا عاودتها ذكرى وصول أوربت قبل أربع سنواتٍ بعدما كان والدها قد أنفق بكل سرورٍ أجر أكثر من شهرٍ على الببغاء ليقدمه هديةً لأمها في عيد ميلادها، فتنها بثرثرته داخل قفصه الذي اشتروه من متجرٍ محليٍّ للحيوانات الأليفة كانوا يمرون به في طريق عودتهم من المدرسة إلى المنزل. كان صاحب المتجر قدِ اقترح ببغاءً ذا ريشٍ ذهبيٍّ أكثر فخامةً (وأغلى ثمناً)، لكن ذلك لم يثنِ أمها عن رأيها؛ بل قالت بابتسامةٍ عريضةٍ:

- شكراً لك، يا سيدي، لكني لا أرغب في هذا الببغاء لشكله، بل لصوته وشخصيته التي تسليني. يراودني شعورٌ بأنه سيكون إضافةً مثاليةً لعائلتنا الصغيرة.

- أوربت هو اسم ببغائي هذا. قالت هيلينا وقد خرجت الكلماتُ من فمها قبل أن تتاح لها الفرصة للتفكير فيها؛ وهي خصلةٌ اعتادت أمها أن تقول فيها إنها إحدى أكثر صفاتها المحببة (والمزعجة)؛ وهي مقدرتها على التحدث من دون التفكير أولاً في العواقب. ولمّا دلّ تضيق عيني السيد ويستكوت على عدم انسجامه مع هذا الجزء المحبب من هيلينا ارتمث في كرسيها حتى تركث نقوشُه الخشبية أثراً في ظهرها.

- يا له من اسم طائرٍ مثيرٍ! قالت كاثرين ويستكوت وهي تبتسم لهيلينا ابتسامةً مشرقةً أخرى: أود التعرف إلى أوربت ... في الوقت المناسب طبعاً. أضافت وهي تنظر إلى أخيها.

وفجأةً دوّى رنين ساعةٍ ذاتِ حاملٍ فضيٍّ موضوعةٍ على مكتب السيد ويستكوت، تشير إلى ربع الساعة؛ فبدا ضجيجُها لهيلينا كهدير شلالٍ لطيفٍ. ثم راحت أصواتُ أجراس غرف المنزل الأخرى تتسرب عبر جدرانه الخشبية؛ فمنها ما هو حادُّ النبرة عميقُها، وبعضها ذو أنغام معدنية؛ فصدح وصاح أوربت داخل قفصه وقد شخصت عيناه واتسعت حدقتاهما، فابتلعث هيلينا رضابها، وتشبثت بقضبان القفص بقوةٍ أكبر. كم ساعةً لدى السيد ويستكوت بالضبط؟

- إن وظيفة صيانة الساعة، هذه ستكون لقاء أجرٍ باهظٍ يا هيلينا، قال والدها ذلك في الأسبوع السالف، فأشرقت عيناه كما لم تشرقا منذ أمدٍ بعيدٍ: كما سيكون طعامنا ومسكننا مؤمّناً، فيصبح في مقدوري توفير كل جنيهٍ وشلنٍ لصالح إنشاء متجرٍ لنا لصناعة الساعات؛ ثم إن كامبريدج مدينةٌ بديعةٌ بكل المقاييس؛ ولذا أظن أن إقامتنا فيها؛ في ذلك الموطن الجديد، يحمل لنا كل خيرٍ.

- لكني أريد البقاء في لندن، أجابت هيلينا، وهي تتفحص أرجاء ردهة بيتهم الصغيرة في الضواحي إلى أن توقفت عند اللوحة الشخصية التي تجمعها بأمها وأبيها، والتي مضى عامان على رسمها؛ أي في عام 1903 عندما كانت هيلينا في العاشرة من عمرها. كان وجه أمها مستديراً معافىً متورداً كبرعم وردٍ نديٍّ فلم تكن به أية علامةٍ على المرض الرهيب الذي سيقتحم بابهم ثم يخرج منه آخذاً أمها معه. «كل متاعنا هنا؛ وكل ما يخص أمي كذلك.»

- بابا يراوغ... يرهن معطفه. أمي، أمي، أمي، صرخ أوربت وهو يسير على طول الجزء الخلفي من الكرسي إلى أن وصل إلى كتف هيلينا، فدس منقاره في شعرها، وشد بعض خصلاته الكستنائية حتى دغدغ فروة رأسها؛ فالتقطت أوربت ووضعته في حجرها. كان الطائر لا يزال يحن إلى أمها التي مضى على رحيلها ما يقرب من العام.

- أنا ملتزمٌ بهذا المنصب ما دمت احتاج إلى السيد ويستكوت لمساعدتي، لكن ذلك لن يدوم إلى الأبد. قال والد هيلينا بحزمٍ، واختتم بذا حديثه بالطريقة ذاتها التي يسدل فيها الستائر ليلاً فعرفت هيلينا أن النقاش قدِ انتهى.

عاد إلى هيلينا عدمُ ارتياحها المتجدد بسبب إقامتهم التي لا تستقرّ حين رمقتها شزراً عينا السيد ويستكوت قليلاً ثم تحولتا عنهما مرةً أخرى.

- هل فهمت شروطَ العقد، يا سيد غراهام؟ سأل السيد ويستكوت فتقلقلت تفاحة آدم في حلقه الهزيل: أظنك قد تلقيتها قُبيل وصولك.

خدشت هيلينا أنفها متسائلةً عن مقصود السيد ويستكوت بعبارة «الشروط».

- نعم. أجاب والد هيلينا مقطباً حاجبيه ، ثم نظر إلى هيلينا وابتلع رضابه.

فضّ السيد ويستكوت ملفاً، واستلّ منه قصاصةً ورقيةً مررها فوق المكتب الكبير أمام هاتفٍ نحاسيٍّ مزخرفٍ بنقوشٍ ومقبضٍ خشبيٍّ، لاحظت هيلينا أن أباها يتفحصه بنظراتِ تقويمٍ متكررةٍ؛ فأدركت هيلينا مدى ثراء السيد ويستكوت إذ لم تكن تعرف أحداً يمكنه اقتناءُ هاتف في منزله. أبقى أصابعه على حافة العقد للحظةٍ كأنما يود الاحتفاظ به، فانحنت هيلينا إلى الأمام لرؤية الكلمات بشكلٍ أفضل. كان الرق الفاتح مغطىً بكتاباتٍ على هيئة دواماتٍ صغيرةٍ.

ممتلكاتٌ عينيةٌ ...

تم التوقيع ...

التالفة ...

إنْ توقفتْ ساعة واحدة ...

شهقت هيلينا.

فرمقها السيد ويستكوت وشقيقته.

وتجاهلها والدها، الذي التقط قلماً غمسه في دواة حبرٍ أسودَ، ومَهر أسفل الورقة بتوقيعه.

- من المهم الحفاظ على مجموعة ساعاتي، والحرص على حُسن انضباط عملها على الدوام. قال السيد ويستكوت.

حدقت هيلينا في مضيفهما الذي راح يتأمل صورةً عائليةً قاتمةً قديمةً لرجلٍ وسيدةٍ وطفلين وهم وقوف إلى جوار ساعةٍ ضخمةٍ طويلةٍ. أخذ نفساً عميقاً ثم مر إصبعه تحت أنفه، وقال:

- لا ينبغي السماح لأي ساعةٍ أن تتوقف... أبداً ... هل تدرك نتيجة ذلك؟

- أبتاه؟ قالت هيلينا بصوتٍ رقيقٍ رقةً لو كان مادةً ما لانساب بين فجوات ألواح

الأرضية. لا بد أن في هذه الغرفة ما لم يُؤتَ على ذكره، وهذا ما جعلها تشعر بالبرد لسببٍ ما.

- أبي! أبي! ثلاثة فئرانٍ عمياء! صرخ أوربت.

- لم أفهم. قالت هيلينا وقد شعرت فجأةً أن القفص المعدني في حجرها ثقيل كالرصاص: لم لا ينبغي للساعات أن تتوقف؟

- ليس الآن، يا هيلينا. قال والدها بحزمٍ، وهو يعيد الورقة الموقعة إلى السيد ويستكوت من فوق الطاولة.

- أوه! صغيرتي العزيزة. قالت كاثرين ويستكوت، حينها لاحظت هيلينا أنها تثبت شعرها الحريري الداكن بمشابك بيضاءَ موشّاةٍ بريشٍ أزرقَ صغيرٍ، لا حاجة لقلقك هذا.

- وظيفتي هنا تتمثل في تشغيل الساعات ... أي إبقائها تدق، والتأكد من أنها تعمل بشكلٍ جيدٍ. قال والد هيلينا ناظراً نحوها متنحنحاً، وتابع: فإذا ما توقفت أية ساعةٍ منها أو تضررت بأي شكلٍ من الأشكال ... كان علينا تسليم ... جميع ممتلكاتنا كتعويضٍ.

تشنج حلق هيلينا.

- سنيكر، سنيكر، سنيكر! قهقه أوربت وهو يهز برأسه.

- أوَنخسرُ متاعنا إذا ما توقفت إحدى الساعات أو تعطلت؟ ردتْ هيلينا بأنفاسٍ متشنجةٍ راحت تكابد خلالها لاستجرار الهواء إلى رئتيها: لكن لماذا؟

- ساعاتٌ، ساعاتٌ، ساعاتٌ. ديكوري... ساعات ... دوكري. صرخ أوربت بصوتٍ عالٍ.

وكانت نظرةُ والد هيلينا نحو السيد ويستكوت وأخته نظرةَ المستغيث.

غير أن السيد ويستكوت وكاثرين ويستكوت لا يملكان لهما على ما يبدو أي غوثٍ يقدمانه؛ أو لعلهما يملكان لهما غوثاً لكنهما لم يكونا في حالةٍ ذهنيةٍ مناسبةٍ لتقديمه في تلك اللحظة.

رنث هيلينا إلى كاثرين ويستكوت بنظرة متوسلة.

- هذا صحيح. قالت كاثرين ويستكوت في النهاية وهي تلتقط العقد الموقَّع؛ فسرى في خديها إشراقٌ لطيفٌ: إنّ هذا العقدُ إلا ... رادعٌ يوقن أخي من خلاله أن يحرص أيُّ حارس ساعةٍ يوظفه على الوفاء بمتطلبات الوظيفة، فلا يسمح بتوقف أية ساعةٍ أبداً. وتوقفت للحظةٍ فاستقرت نظرتها على والد هيلينا، أوه! وعليك؛ سيد غراهام؛ أن تحرص على بقاء هذا الاتفاق سراً بيننا؛ فقد تشهدان أشياءَ غير متوقعةٍ في هذا المنزل، فلا ينبغي لكما إذا شاهدتما شيئاً؛ أياً كان؛ أن تفشياه البتةَ، حتى فيما بينكما.» وضمّت كاثرين ويستكوت العقد إلى صدرها: وإلا دخلت الشروط حيز التنفيذ فتفقد ما لك من حقٍّ في جميع ممتلكاتك. ونظرتْ إليهما فيما بدا لهيلينا أنها نظرة اعتذارٍ.

تشنج وجه السيد ويستكوت عندما نظر إلى أخته، ثم أشاح عنها مجدداً.

رمشت هيلينا بعينيها مجبرةً كلماتها على الانضباط داخل رأسها، لكن كلماتها ولا ريب لم تستقر أو يكن لها أي معنىً؛ كما بدا سؤالُها طافياً دونما إجابةٍ.

استقرت عينا السيد ويستكوت على قفص أوربت الذهبي، وفيهما بريقٌ محمومٌ غريبٌ.

فطوقت هيلينا القفص بذراعيها كما لو نبتت في أحشائها شجرةٌ من ذعرٍ. أأرغمتْ على الانتقال من منزلها اللطيف جداً في ضواحي لندن إلى هذا المنزل الغريب الخانق الآن؟ فإذا ما توقفت ساعة واحدة فقدا كل ما يملكان بما في ذلك أكثر أشيائهما، قيمةً مما لا يمكن تعويضه ولا ينبغي لهيلينا أن تخسره مهما كلف الأمر؛ والأغربُ من هذا وذاك ألا مناص من كتم كل ما يدور داخل المنزل فلا يُفشى أبداً ... فعلامَ وافق والدُها؟

2

ستانلي ريتشاردز

- آسفةٌ جداً حيال شروط العقد. قالتِ الآنسة ويستكوت التي طلبتْ منهما مناداتها كاثرين، ثم خرجتْ أمامهما من مكتب السيد ويستكوت، فسمعتْ هيلينا إغلاقَ الباب خلفهم. «أخي في حالة اضطرابٍ منذ وفاة زوجته قبل ثمانية أشهر، ووضعت يدها على حلقها كما لو أوجعها قولُ هذا: فهو يهتم بساعاته اهتماماً بالغاً؛ بل أكثر من ... حسنٌ ... أكثر من أي شيءٍ آخر. توقفت وهزت رأسها الرقيق بحزنٍ، ثم أعادت ترتيب ملامح وجهها إلى ملامحَ أكثر إشراقاً، وسحبت الجرس المعلق على الحائط.

سمعتْ هيلينا من بعيدٍ رنيناً تلاه وقعُ خطىً تصعد الدرج.

- سيرشدكما ستانلي إلى غرفتيكما، ويشرح لكما طريقة عمل المنزل. قالت كاثرين وأخرجت من حقيبتها الصغيرة ساعةَ جيبٍ ذاتَ واجهةٍ مصقولةٍ، ونظرتْ إليها وعبستْ مضيفةً: أخشى أني مضطرةٌ إلى الذهاب، فلدي موعدٌ آخر؛ ولكني سأعود كل مساءٍ لتفحص الساعة. ودستْ ساعتها في جيبها ثم انحنت تنظر في عيني هيلينا فأعاد عطرُها الشبيه بسحابةٍ مسكرةٍ إلى هيلينا ذكريات التجول في الحدائق المليئة بالزهور؛ ثم قالت: أتطلع إلى التعرف إلى ببغائك الجميل في وقتٍ لاحقٍ، يا هيلينا.

- أتطلع إلى ذلك أيضاً. قالت هيلينا، ومنحتها ابتسامةً عريضةً.

غادرت كاثرين ويستكوت المنزل بإيماءةٍ خفيفةٍ، وانغمست في موجة الضواحي الصاخبة؛ فاعترت هيلينا رغبةٌ مباغتةٌ في اللحاق بها. وبينما كان قطارهم القادم من لندن يشق طريقه عبر ريف شرق أنجليا المنخفض في وقتٍ سابقٍ من ذلك اليوم، ألحّت هيلينا على والدها لتزويدها بتفاصيلَ أكثرَ عنِ السيد ويستكوت والمنزل الذي سيقيمان فيه.

- السيد ويستكوت واحدٌ من أغنياء شرق إنكلترا؛ وكانت عائلته قد كسبت أموالها من الاستثمار في المطابع والصحف. قال والدها وعلى ركبتيه يهتز صندوقه الخاص

بأدوات صناعة الساعات (الذي رفض وضعه في المقصورة العلوية خشية تعرضه للتلف): كما أن له منزلاً من أفخم منازل كامبريدج قاطبةً، وسنحل فيه ضيوفاً ما دمت أشرف على الساعات.

- وهل لديه زوجةٌ وأطفالٌ؟ سألت هيلينا راجيةً أن يكون لها على الأقل من تصادقه في ذاك المنزل.

- لم يرد ذكرٌ لأيٍّ من الأمرين. أجاب والدها: إن له أختاً تدعى كاثرين، وهي تهتم برفاهيته كثيراً، وتسعى إلى ضمان عمل مجموعة ساعاته بشكلٍ جيدٍ؛ فهي تزور لندن، ولكنها لا تقيم فيها. إن السيد ويستكوت يقدر خصوصيته بكل المقاييس.

تحسّن مزاج هيلينا قليلاً؛ فإقامتها بكامبريدج في منزلٍ ريفي يقدّم لهما فيه طعامٌ لذيذٌ، وأثاثٌ فارهٌ ليست بالأمر المروع جداً وإن خلا من أطفالٍ يلعبون معها. كانت بدايةَ صيفٍ رطبِ الأجواء في لندن، ولذا كان لزاماً ارتداءُ المعاطف المطرية لأي مسافة مسيرٍ مهما قصرتْ، وكانت النار في الردهة تُضرَم ليلاً؛ فأعربت هيلينا عن أملها في أن تتغلب الأيام المشمسة وزقزقة العصافير على برد كامبريدج الحالي، وتخيلت أن تتسكع مع أبيها في أثناء عنايته بالساعات فتستكشف ضفاف الأنهار الجامحة المليئة بحشرات اليعسوب المندفعة، أو تتناول الشاي والكعك اللذيذ المليء بالمربى لفترةٍ طويلةٍ بعد الظهر، وتشاهد ركاب القوارب والطلاب وهم يتجولون. ربما يكون هذا التغيير هو ما يحتاج إليه والدها لتذكيره، بما اعتادا على القيام به معاً قبل أن تتغير حياتهما تغيراً رهيباً ألجأته للنأي ساعاتٍ متواصلةً بعيداً في ورشته الخاصة بصناعة الساعات.

لكن خيالات العصافير والمساحات الخضراء، واستكشاف مدينةٍ جديدةٍ تحطمت تحت ألواح الأرضية عندما بدأت هيلينا تعي شروط المهمة التي قبل بها والدها. كيف له أن يوافق على التخلي عن ممتلكاتهم إذا ما توقفتِ الساعات؟ وكم ساعةً أُلزِم والدها بها بالضبط؟ نظرتْ حولها فأحصتْ أكثر من اثنتي عشرة ساعةً في الردهة وحدها.

وحالما أغلق الباب الأمامي بإحكامٍ ورحلت كاثرين، دخل الردهةَ هادراً شابٌّ ببدلةٍ

ممتلئ الجسم لم يتجاوز ربما ربيعه الثامن عشر، فتسببت ابتسامته في احتشاد خديه وتحولهما إلى تفاحتين دائريتين، ثم اتسعت عيناه عندما رأى أوربت في قفصه إلى جوار قدمي هيلينا؛ فقال: - يا له من ببغاءٍ رائعٍ. أذكرٌ هو أم أنثى؟

- بل ذكرٌ! ردت هيلينا بصوتٍ خافتٍ: أو هذا ما نعتقده على الأقل؛ غالباً، من الصعب تحديد جنس الببغاوات.

- هل يجيد الكلام؟ قال الشاب.

- نعم، بل يفضل ذلك. قالت هيلينا وقد استرخى كتفاها قليلاً.

- هيكوري ... ديكوري ... نقنق أوربت.

- كم هو رائعٌ! قال الشاب فرحاً: أوه! عليّ أن أقدم نفسي. أنا ستانلي ريتشاردز، ولكن يمكنك مناداتي ستانلي من فضلك، وأنا أعمل لدى عائلة ويستكوت. أضاف ومد يده.

نظرت هيلينا إليه. أكان يتوقع منها أن تصافحه؟ لم يكن يرتدي قفازاتٍ، وكانت أطراف أصابعه ملطخةً بحبرٍ وشيءٍ يشبه الطباشير إلى حدٍّ ما. في بعض الأحيان، كانت هيلينا ترافق والدها في زيارات منزلية، بينما كان يقوم بصيانة الساعات النفيسة في أذكى نواحي لندن، مثل تشيلسي وكنسينغتون؛ فترى الخدمَ هنالك يرتدون بدلاتٍ سوداءَ وقفازاتٍ بيضاءَ، ويضعون لك بطاقة تعريفٍ خاصةً بك على صينيةٍ فضيةٍ إيذاناً بوصولك؛ وبذا لم تكن هنالك أية مشكلةٍ في مصافحة الموظفين ومناداتهم بأسمائهم الأولى. نظر إليها ستانلي بترقبٍ، ثم منحها ابتسامةً مشرقةً رسمت على شفتي هيلينا ابتسامةً في المقابل. ربما تجري الأمور في كامبريدج على نحوٍ مختلفٍ. مدت يدها فصافحها ستانلي بقوةٍ تاركاً على راحة يدها بقايا مسحوقٍ أبيضَ.

- أما أنت فلا بد أنك السيد غراهام، قال ستانلي ملتفتاً نحو والد هيلينا: مرحباً بكما في منزل السيد ويستكوت.

تفحصت هيلينا جوانب الردهة الكبيرة، ومسحت طبشور راحة يدها بسترتها. إنه

لا يبدو كمنزل! أين الكراسي الفاخرة المكسوة بالحرير، وأين المزهريات الطويلة المليئة بالزهور ذات العبير الزكي، وأين السجاد؟ بل أين النار الدافئة التي كانت تتلظى وتصطلي في الموقد لتخفف من برودة المساء في وقتٍ مبكرٍ؟ لم يكن في المنزل ما يجعل المبنى يبدو من المنازل.

كانت هنالك ستُّ ساعاتٍ طويلةٍ من الخشب الداكن مصطفةً إلى كل جدارٍ من جدران الردهة الفسيحة. كانت ساعاتٍ طويلةً تكاد نهاياتها المزخرفة تلامس السقف تقريباً، أما بناديلها فكانت تتأرجحُ وفق إيقاعٍ ما من وراء زجاج عدسيٍّ مستديرٍ صغيرٍ فكأنما هي أيدٍ تلوّح. في نهاية القاعة، وأمام المدفأة الباردة المتثائبة، تجثم طاولةٌ تنوء بوزن ساعة معبد ذهبية كبيرة ذات أربع طبقات تُذكّر هيلينا بكعكة الزفاف؛ ولكنها جعلتها تشعر بضيقٍ في التنفس إذ كانت دقاتُها سريعةً متهافتةً؛ أما إلى يمينها وشمالها فتقبع طاولتان صغيرتان تعلوهما بضعُ ساعاتٍ صغيرةٍ من الفضة والذهب. حدّقت هيلينا فيما بقي على الجدران من آثارٍ شبحيةٍ للوحاتٍ كانت معلقةً هنالك ذات يومٍ، بينما راحت تتردد أصداء الدقات من حولها. لا بد أن والدها لم يحضرها لتقيم في منزلٍ كبيرٍ، بل في متحفٍ تكتظ ألواحه الخشبيةُ بالساعات.

التقطت هيلينا قفص أوربت، ووضعته إلى جوار صدرها، بينما قادهما ستانلي إلى الدرج حاملاً بين يديه حقيبة سفرهم. أطبقت فكيها، وأمعنتِ النظر في كعبَي حذاء ستانلي الأسود. أحست بوخزٍ في عينيها. كيف جاء بها أبوها للعمل هنا، من دون تحديد موعدٍ نهائيٍّ لعودتهما إلى لندن؟ ثم إن الطريقة التي نظر فيها السيد ويستكوت بعينَي ثعبانٍ إلى أوربت جعلت القشعريرة تدب في جسدها كله. والعقد الذي وقّع عليه! لم تبدُ أخته راضيةً تماماً بتلك الشروط، ولكنها ربما لم تجد سبيلاً إلى إقناعه بتغيير تصرفه.

- يا لها من مجموعةٍ رائعةٍ من الساعات! تمتم والد هيلينا هما يصعدان إلى الطابق العلوي.

- نعم، يا سيد غراهام. أعتقد أن هناك حوالي مائة ساعةٍ، منها ساعات بصناديقَ طويلةٍ، وأخرى مجهزة بمقابضَ، وساعات هيكلية، ناهيك عن ساعات الجيب. قال

ستانلي بعدما توقف أسفل الدرج متذمراً من ثقل الحقيبة.

- ساعات ... ساعات ... ساعات! صاح أوربت.

- لماذا رحل آخِرُ رقيبٍ للساعات؟ سأله والدها: لقد طرحتُ هذا السؤال على السيد ويستكوت في مراسلاتي، لكني لم أتلقَّ منه رداً.

- أخشى أن السيد ويستكوت لا يُشركني في مثل هذه المسائل. أجاب ستانلي وهو يهز كتفيه قليلاً.

- حسناً، إذن. من الأفضل أن ترشدنا إلى غرفنا حتى أتمكن من بدء عملي. قال والد هيلينا مبتسماً لستانلي ابتسامةً متصلبةً.

- ماذا؟ الليلة؟ صاحت هيلينا. إنها السادسة تقريباً، ولذا كانت هيلينا تأمل في الحصول على عشاءٍ خفيفٍ (وبعض الفاكهة لأوربت) وسريرٍ مريحٍ بعد رحلتهم.

- طبعاً، يا هيلينا، فلا مجال لتضييع الوقت؛ ثم إني في حاجةٍ إلى إجراء جردٍ للساعات، والتحقق من حالتها، ومعرفة ما يحتاج منها إلى الربط. قال والدها.

- طبعا سيد غراهام. قال ستانلي مواصلاً صعود الدرج الفخم الذي اختلطت فيه زخارفُ الكرمة المنحوتة في درابزينه الخشبي، ثم توقف برهةً قصيرة ليتبادلا ابتسامةً مشرقةً قال بعدها: لا بد لي من القول إني سعيدٌ بإقامتكما هنا.

تسبب ترحيبُ ستانلي الودوُد في كبتِ ابتسامةٍ صغيرةٍ من تلقاء نفسها، إذ أزعجها أن ترى شفتاها في التبسم فكرةً جيدةً في وقتٍ سيئ تماماً كهذا؛ بل هو في الواقع أسوأ أيامها، ولم يكن في وسعها الانتظار إلى أن تختليَ بأبيها فتصدح بآرائها على نحوٍ أفضل.

- يا عزيزي! قال ستانلي متنهداً حين نظر إلى ساعةٍ طويلةٍ كبيرةٍ كانت تدق بصوت خفيض، ووضع الحقيبة على الأرض في عجالةٍ، وقال: أرجو أن تستعدا فضلاً؛ فالساعات توشك أن تدق على رأس الساعة.

تبادلت هيلينا ووالدها نظرةً سريعةً.

وراحا ينظران إلى ستانلي الذي رد عليهما بكآبةِ المعتذر، ثم وضع يديه على أذنيه.

نظرت هيلينا مرةً أخرى إلى أبيها الذي وشى جبينه المتجهم بحيرةٍ كحيرتها. شيء ما في هذا المنزل يزداد غرابةً كل دقيقةٍ.

3

الطائرة

جاء أول صوتٍ عالٍ من تلقاء الساعة التي كانوا يقفون إلى جوارها، فصرخ أوربت ورفرف بجناحيه ضارباً قضبان القفص.

انجرف الطنين الثاني فالثالثُ فالرابعُ على الدرج من ورائهم كالدخان.

أما الصوت الخامس والسادس فكانا طارئين حادَّي النبرة، وقد سمعا من الطابق العلوي.

ثم تتالت الأصوات فكانت أكثر من أن تُحصى.

ثم رن طنينٌ عميقٌ عالٍ طائشٌ.

نعقت ساعات مجنونة.

كانت موسيقى رنانةً وصاخبة كصندوق موسيقى هيلينا الذي صنعه والدها لها في أحد أعياد الميلاد.

وضع ستانلي يديه على أذنيه، وأغمض عينيه كما لو أن ضجيجها يعذّبه.

- إنها لا تدق معاً في الوقت نفسه، قال والد هيلينا وسط الضجيج المتنافر بعدما أرخى فكه ومال برأسه نحو الأصوات الناشزة كما لو كان يتفحص كل صوتٍ من أصواتها على حدةٍ. قال فوق الضجيج: ينبغي تصحيح ذلك على الفور.

- دينغ دونغ، تيك توك، ساعات» ردد أوربت مترنحاً من جانبٍ إلى آخر في قفصه وقدِ اتسعت عيناه بخوفٍ: أمي، أمي، أمي!

- صه! قالت هيلينا مهدئةً إياه رغم شعورها بأنها هي ذاتها ليست على ما يرام، لا بأس عليك يا أوربت!

دوّى آخِرُ «طنينٍ» عالٍ في الطابق العلوي، فكان أعمقَ وأعتى من كل طنينٍ آخر فكأنما هو يقول: «كفى!».

فغر ستانلي عينيه وتنهد، ثم حمل حقيبتهما مجدداً كما لو أن شيئاً غريباً لم يحدث قطُّ، وشق طريقه صعوداً إلى الدرجتين الثانية والثالثة مشيراً إلى هيلينا وأبيها أن يتبعاه.

- حسناً، قال والد هيلينا بعينين متقدتين وخدين محمرين ممسكاً بصندوق أدواته.

كانت هيلينا قدِ اعتادت ملامحه تلك، إذ غالباً ما حُفرت في وجهه عند وصولها بعد المدرسة إلى ورشة صانع الساعات التي يشاركه فيها رجلان آخران، فيكون رأسه منحنياً فوق ساعة جيبٍ ذهبيةٍ، أو ساعةٍ نحاسيةٍ أنيقةٍ، فيقول لها: «هل ترينها يا هيلينا؟ إنها واحدةٌ من أفضلِ ما قد يقتنيه المرءُ من ساعاتٍ. هل ترين زنبركها؟ ووجهها الخزفي؟ وكيفية حفظها للوقت؟ أليس من الرائع أن يتم تخيل مثل هذا الشيء واختراعه!؟» فتبتسم هيلينا وتنتظر أن ينهي والدها مهمته الأخيرة محاولةً أثناء ذلك تذكر آخر مرةٍ تحدث فيها عنها بتلك اللكنة الحانية.

في الجزء الأعلى من المنزل رواقٌ صغيرٌ يفضي إلى ممراتٍ تمتد ذات اليمين وذات الشمال؛ وكان الوضع أكثر كآبةً هنالك، فالنوافذ أصغر، والجدران مطلية، والألواحُ الخشبيةُ مخدوشةٌ.

- تقع غرف السيد ويستكوت على طول الممر إلى اليسار. قال ستانلي: أما غرفكما فإلى اليمين.

- أينام السيد ويستكوت في ... جناح الخدم؟ قال والد هيلينا متعجباً.

- نعم؛ فالساعات تشغل الغرف الأخرى كلها. قال ستانلي وهو يهز بكتفيه.

- كلها؟ قالت هيلينا وقدِ اتسعت عيناها عجباً.

- كل واحدةٍ منها. قال ستانلي، وتنهد بعمق.

كانت إحدى نوافذ الرواق مفتوحةً ينساب منها النسيمُ ليلفَّ عنق هيلينا حينما دغدغ أذنيها ضجيج كحفيف ورقةٍ يحملها النسيم، غير أن ستانلي وأباها لم يسمعاه على ما يبدو إذ كانا منهمكين جداً في حديثهما عن مواقيت الوجبات، وإدارة المنزل

في أثناء اتخاذها طريقَهما نحو أسفل الممر إلى اليمين؛ ولذا نظرت هيلينا نحو مصدر الصوت. إنه هناك ... مثبتٌ إلى الجدار على ارتفاع الرأس عند مدخل الممر الآخر.

كان رسماً، لكنها لبعده لم تتبين ما هو؛ ولذا وضعت قفص أوربت أرضاً، وانطلقت عبر الرواق لتقف على أطراف أصابعها لمشاهدة الصورة. خطوطٌ وزوايا وأجنحةٌ. كان رسماً تفصيلياً بقلم الرصاص لطائرةٍ. تتبعت بإصبعها خطوط الجناح، وفكرت في الصور التي رأتها في صحيفة لندن هيرالد لطائرة الأخوين رايت؛ فكان هذا الرسم مطابقاً لها تقريباً.

امتدت فوق رأس هيلينا يدٌ رقيقةٌ سحبتِ الورقة عنِ الجدار، فأسقطت الدبوسَ أرضاً. ضاقت عينا ستانلي وهو يحدق في الرسم، ثم طواه بعنايةٍ ثلاث طياتٍ ودسه في جيب سترته.

- أنا آسفة. قالت هيلينا وقد بدا وجهها دافئاً: كان على الحائط فتساءلتُ ...

- التساؤل أمرٌ جيدٌ. قاطعها ستانلي بهدوءٍ.

نظرت هيلينا إليه نظرة فاحصة. ما الذي يقصده؟

- أنا سعيدٌ حقاً بقدومكما للمكوث هنا. قال ستانلي مُخرجاً منديلاً ملطخاً بحبرٍ مسح به جبينه؛ فلما استدار ليبتعد، توقف برهةً والتفت وراءه قائلاً: إذا ما رأيتِ رسوماتٍ أخرى معلقةً على الجدران فأبلغيني فضلاً كي أزيلها.

تذكّرت هيلينا تعليماتِ كاثرين حول كتم خبر كل ما قد يسمعانه أو يريانه في المنزل؛ فهل عليها أن تمتثل لطلب ستانلي؟ أطبقت جفنيها قليلاً إذ راح رأسها يدور بعض الشيء. ساعاتٌ كثيرةٌ تدق. منزلٌ جديدٌ. رسوماتٌ معلقةٌ على الجدران. شعرت فجأةً بأنها غيرُ مقيدةٍ فكأنما تنطلق في واحدةٍ من آلات الطيران العظيمة للأخوين رايت في رحلةٍ إلى مكانٍ مجهولٍ، ولم يعجبها ذلك البتةَ.

4

تساؤلاتٌ

دارت أفكار هيلينا في رأسها ككراتٍ رخاميةٍ، بينما هي ووالدها يستكشفان مكان إقامتهما الجديد في جناح الخدم في منزل المدينة.

- لماذا وافقتَ على مطالب السيد ويستكوت؟ سألت والدها باندفاعٍ بعد أن باتا وحدهما. كانت غرفتها ذاتَ أثاثٍ بسيطٍ مكونٍ من سريرٍ صغير ذي غطاءٍ ورديٍّ، وخزانةٍ ذاتِ أدراجٍ، ونافذةٍ تطل على شارع ترومبيتنغتون؛ فكان منظرُ الكلية الجامعية من هنا أكثر بهاءً إذ تضفي جملة المباني المبنية من الحجر البرتقالي والطوب الأحمر جواً من الأهمية الوادعة.

أفرغ الأب حقيبتهما الجلدية، ومرر لهيلينا حزمةً من الفساتين الصيفية والتنانير والبلوزات (المطوية المجعدة بشكلٍ سيئ) وسترتين محبوكتين باليتين عند المرفقين.

- كل ما هنالك أني لم أفهم؟ عاودت هيلينا تساؤلها مصرةً وهي تنثر ملابسها على السرير كيفما اتفق: ما الذي يدفعك أن تعد ذاك الرجلَ الفظيع بكل ما نملك؟ ولمَ لا ينبغي للساعات أن تتوقف؟

- ليس من حقنا أن نشكك في قرارات الآخرين. قال والد هيلينا بحزمٍ وقد رفع رأسه.

- لكننا قد نخسر كل شيءٍ. قالت هيلينا بغضبٍ يترنح في صوتها: ألم تر كيف كان السيد ويستكوت ينظر إلى أوربت؟ لقد كانت نظرةَ ... أسدٍ يتربص بحمارٍ وحشيٍّ يريد الانقضاض عليه! فإنْ توقفتِ الساعات أخذه منا.

- لا تقلقي يا عزيزتي؛ فأوربت سيكون في مأمنٍ ككل متاعنا. قال والد هيلينا وقد جلس القرفصاء ضاحكاً: ثم إن ويستكوت أحد أغنى الناس هنا، إن لم يكن في البلاد بأسرها؛ ولذا فيمكنه شراء ألف ببغاءٍ لو شاء. إنْ هي إلا فرصةٌ لاحت لنا يا هيلينا؛

فرصةٌ نحاول من خلالها المضي قدماً في حياتنا.

أطرقت هيلينا بناظريها، فقد كانت تعلم أن عليهما المضي قدماً؛ ولكن الإفراط في الابتعاد عن الماضي يعني أن يصبح أقرب إلى الطي في غياهب النسيان.

- إن عقد الساعة هذا عقدٌ استثنائيٌ إلى حدٍّ ما، لكني على يقينٍ نوعاً ما من أنه سيَبطل إذا ما نظر فيه كاتبٌ بالعدل؛ لكننا لسنا في حاجةٍ إلى إهدار نفقاتٍ باهظةٍ في فحصها، وذلك أني سأعمل على الساعات فلا أسمح بتوقفها. قال والدها مُخرجاً آخِر ملابسها من الحقيبة قبل إغلاقه: ليس هناك ما يدعو إلى قلقك هذا.

جلست هيلينا على حافة السرير تداعب خيطاً رخواً في غطاء سريرها.

- جاك وجيل. دلو ماء. كواك! قال أوربت وهو ينقر على قضبان القفص.

- أعلم أن السيد ويستكوت يبدو غريب الأطوار بعض الشيء. قال والد هيلينا وقد جلس إلى جوارها على السرير: أعلم أن بعض أفكاره تبدو غريبةً بعض الشيء؛ ولكن قلقك غير مبررٍ في الحقيقة. ستَبقي الساعاتِ تدق فنجني من وراء ذلك ثروةً صغيرةً خلال وجودنا هنا فنغير بها حياتَنا يا هيلينا ... تخيلي أن تكون لنا ذاتَ يومٍ ورشةٌ لصناعة الساعات. أضاف راسماً بشفتيه ابتسامةً: لقد وعدني صديقي العزيز السيد سميث الذي يمتلك مصنعاً للساعات في كليركينويل أن يساعدني في إيجاد عقارٍ مناسبٍ في المدينة ليكون لنا بدايةٌ جديدةٌ عند عودتنا إلى لندن.

- ولكن؛ لماذا يجمع السيد ويستكوت كل هذه الساعات؟ ثم لماذا عساه يقيم في جناح الخدم ... ألا ترى في الأمر ما يثير العجب؟

- هذا يكفي الآن يا هيلينا. قال والدها متنهداً: لا مزيد من الأسئلة من فضلك ... من المهم أن نتجنب التطفل ونلتزم التهذيب ما دمنا هنا؛ ثم إني سأكون في حاجة إلى مساعدتك صباح الغد؛ فلدى السيد ويستكوت ساعاتٌ أكثر مما كنت أعتقد؛ وأخشى أني سأحتاج إلى بعض المساعدة؛ كما أن الساعات الطويلة تستدعي ربطاً كل ثمانية أيامٍ، وكذا الساعات الأصغرُ منها، وساعات اليد في حاجةٍ إلى عنايةٍ يوميوٍ أو نحو ذلك. إذن فنحن في حاجةٍ إلى قائمةٍ شاملةٍ بواجباتنا ومواقيت أدائها. وبذا انطفأت

محادثتهما تماماً كجذوة لهبٍ كانت مستعرةً لولا أنْ صُبّ عليها دلو ماءٍ.

ركن والد هيلينا الحقيبة الفارغة تحت سريرها، ثم قفل يريد العودة إلى غرفته لتناول دفتر ملاحظاته وأدواته:

- لا بد لي من تفحّص غرفةٍ واحدةٍ على الأقل من غرف الساعات قبل تناول العشاء لأكتشف ما يتطلبه عملنا. قال مشتتاً إلى الحد الذي جعله يغلق الباب خلفه من دون أن يودعها.

- ساعات! هيكوري ... ديكوري! ردد أوربت وهو ينحني ليستلّ من وعائه النحاسي بذرة عباد الشمس فيقضمها.

دست هيلينا إصبعها عبر قضبان القفص وداعبت ريش ذيله الأزرق والأخضر.

- أمي ... أمي ... أمي! صاح أوربت (بنبرة أملٍ وفق ما بدا لهيلينا).

عضت هيلينا على شفتها السفلى، ونظرت نحو الباب إذ سمعت صوت خطى والدها متوجهاً نحو الدرج؛ فهمست للببغاء: «الأم تحب هيلينا. الأم تحب هيلينا.» حدق فيها أوربت للحظةٍ، ونفش ريش رقبته؛ فكررت عليه همساً: «الأم تحب هيلينا. الأم تحب هيلينا.»

- الأم تحب هيلينا، الأم تحب هيلينا، كواك ... هيكوري ... ديكوري! ردد أوربت متمايلاً يمنةً ويسرةً بتزامنٍ من نطق الكلمات التي تعلمها.

صوّب صوته وكلماته إلى صدر هيلينا سهماً أبكى عينيها، فأدركت حمقها؛ إذ إن إقناع أوربت بتكرار العبارات التي أمضت والدتها ساعاتٍ تلقنه إياها بمحبةٍ، نكأت جرحاً لمّا يبرأ بعدُ؛ غير أن عليها ألا تدع أوربت ينساها؛ فإنه حين يردها يعيد إلى ذهنها ذكرياتٍ جليةً جلاءَ الببغاء الواقف بفخرٍ على ذراع الكرسي المريح في الصالة، بينما تبتسم أمها لطائرها وتداعبه وتعلمه التحدث ودندنة أغاني الأطفال؛ فتقول والدتها بهدوءٍ وهي تلقم أوربت شرائحَ التفاح فيمسح كفها: «أشعر أحياناً أن هذا الببغاء الجميل جزءٌ من كياني.»

جثت هيلينا تفرك عينيها المرهقتين. لقد كانت كوالدها تبذل قصارى جهدها للمضي قدماً؛ ولكن كيف لها أن تحسن ذلك، بينما هي تخشى أن ينسى أوربت كل ما علمته إياه أمها؟ سيكون هذا بالنسبة إليها بمنزلة فقدان أمها مرةً أخرى فقداناً لا يُمكن احتماله.

***

بُعيد الساعة السادسة والنصف من مساء ذلك اليوم غطت هيلينا قفص أوربت بقماش النوم المرقَّع باللونين البني والأخضر (قالت أمها وهي تخيطهما معاً إن ذلك لتذكيره بقامات الأشجار) ثم عادت أدراجها نحو الطابق السفلي إذ تحسست رائحةً زكيةً تشق طريقها إلى الأعلى فجعل أمعاءها تنقبض. توقفت فاشتمت رائحةً عذبةً خفيفةً. ها قد عيّن السيد ويستكوت على الأقل طباخاً جيداً ... مما يجعل إقامتهما ممكنةً أكثر نسبياً. توقفت في الطابق الثاني تختلس النظر من كل بابٍ نصفِ مفتوحٍ. لا بد أن ستانلي لم يبالغ عندما قال إن الساعات تشغل كل غرفةٍ في المنزل. اتسعت عيناها محدقةً في الغرف التي جُرِّدت من أثاثها فحلّت مكانَه أصواتُ دقات الساعات؛ ساعاتِ الفوانيس (التي تشبه اسمها)؛ وطاولاتٍ تحمل ساعاتٍ محمولةٍ (صغيرةٍ لها هيئةُ صندوقٍ ذي مقبض في أعلاها)؛ وساعاتٍ هيكليةٍ (ذاتِ غطاءٍ زجاجيٍّ مقببٍ تكون تروسها وزنبركاتها وآليات عملها مكشوفةً للناظرين) وساعاتِ الطاولة (ذاتِ بندولاتٍ قصيرةٍ تسمح بوضعها على سطحٍ ما) وقد طفت عليها جميعاً المجموعة الهائلة من الساعات الطويلة التي بدا، استناداً إلى عددها، أنها النوع المفضل لدى السيد ويستكوت، والتي كانت كأبراجٍ قائمة بذاتها، ببندولاتٍ طويلةٍ تتأرجح داخل هياكلها، وأغطيةٍ لواجهات تلك الساعات.

دخلت هيلينا غرفةً فيها ثماني ساعاتٍ طويلةٍ، وورق جدرانٍ منقش بنمطٍ نباتيٍّ أرجوانيٍّ يلوح بين تلك الساعات، فافترضت أنها كانت ذات يومٍ غرفةَ نومٍ، وأنها كانت ذاتَ أثاثٍ بهيٍّ جداً. توقفت هيلينا أمام كل ساعةٍ، فكانت صناديقها الخشبية الداكنة مصقولةً صقلاً بالغَ البريق واللمعان، وقد حظيت واجهاتُها بعنايةٍ بالغةٍ بشكلٍ واضحٍ؛ غير أن جميع بندولاتها كانت تتأرجح وفق إيقاعاتٍ غير متزامنةٍ، فتتضارب

دقائها في فوضى من الضوضاء. كانت أكبر ساعات الغرفة، ساعة ذاتَ واجهةٍ نحاسيةٍ عاديةٍ لولا أن فوقها قرصاً مقوساً يُظهر بدورانه مراحل القمر باستثناء قمرين ملونين لم يكونا كالقمر الموجود في السماء، بل كانا وجهَي طفلين بشعين بعيون خنزيرٍ متقاربةٍ جداً، وخدودٍ حمراءَ، وشفاهٍ برعميةٍ مزمومةٍ؛ وقد تم رسم الوجه نفسه على البندول الذي كان يتأرجح ذهاباً وإياباً وراء الواجهة العدسية، كما لو يلعب لعبةً غريبةً من ألعاب التنويم المغناطيسي؛ فكان ذا أثرٍ منومٍ وفظيعٍ في الوقت ذاته. ارتجفت هيلينا. لماذا ملأ السيد ويستكوت كاملَ غرفة النوم بتلك المعدات الميكانيكية؟ رغم أنها لم تكن بعيدةً عن أجواء مثل هذا الهوس؛ فقد أحب والدها عمله بشغفٍ، ازداد منذ وفاة والدتها؛ فلم تغضب هيلينا لهذا بمقدار ما غرس في أحشائها ما يشبه كرة ثقيلةً من الإنكار؛ فقدِ اتضح لها أنه يحب أشياءه الخشبية والمعدنية أكثر من حبه لعائلته التي هي من لحمه ودمه؛ فهل حبه هذا كان السببَ وراء تعاطف والدها مع مطالب السيد ويستكوت؟

- أوه! ها أنتِ ذي هنا! قال والدها حين تردد صدى خطواته فوق الألواح الخشبية العارية: مميزةٌ! انظري إلى هذه الساعة يا هيلينا! و أضاف محدقاً في أقرب ساعةٍ إلى الباب: إنها ساعةٌ ألمانيةٌ نادرةٌ جداً. لا بد أنها كلفت ثروةً صغيرةً. وهذه إلى جوارها... أترين كيف تم استبدال هيكلها الخشبي الجانبي بالزجاج لتظهر آلية عملها؟ انظري إلى تروسها وتعشيقها. أترين كيف يضبط البندول قوة الوزن؟

هزت هيلينا رأسها وتنهدت، وانتابها شعورٌ مألوفٌ بالملل لسماع مثل تلك التفاصيل التي تنهال عليها؛ فنظرت إلى كرسي إلى جوار الباب المواجه للغرفة؛ فخالث أنه ربما كان موضعَ جلوس السيد ويستكوت للتمعن في مجموعة ساعاته.

جالت هيلينا بنظرها عبر إحدى النافذتين الكبيرتين، فلاحظت ثلةَ شاباتٍ بفساتينَ بيضاءَ رقيقةٍ وجميلةٍ يتوافدن إلى الكلية الجامعية في سيارات أجرةٍ كبيرةٍ، وقد جمعت كلٌّ منهن شعرها إلى الأعلى في ضفائرَ وعقدٍ متقنةٍ منمقةٍ.

- انظر يا أبي. قالت.

- آه! قال والدها بابتسامةٍ حين وافاها عند النافذة فراحا يشاهدان الشابات

يضحكن ويعدّلن شالاتهن: أعرف صانع ساعاتِ التحق والده بجامعة كامبريدج؛ وقد روى لي حكاياتٍ رائعةً عن هروبهم في أسبوع مايو.

- أسبوع مايو؟ قالت هيلينا مغضّنةً أنفها: لكننا في يونيو.

- يمثّل أسبوع مايو نهاية امتحانات الطلاب؛ فهو ميقاتُ احتفالهم. قال والدها: فتقضي كليات الجامعة – كتلك الكلية القابعة على الجانب الآخر من الطريق؛ والتي تُدعى بيترهاوس على ما أعتقد – وقتاً ممتعاً، وتقيم حفلةً مكلفةً جداً تستمر حتى الفجر. أستغرب أن يكون هذا الأسبوع في يونيو، إلا أني أجهل السبب.

- مساء الخير هيلينا. مساء الخير سيد غراهام. قاطع حديثهما صوتُ ستانلي الواقف في المدخل: العشاء جاهزٌ.

- شكراً لك. قالت هيلينا متبسمةً ثم التفتت قِبل أبيها المنصرفِ إلى ساعةٍ ذاتِ غطاءٍ بنهائياتٍ ذهبيةٍ برّاقةٍ.

- أين ببغاؤك؟ سأل ستانلي.

- في ... غرفتي. أجابت هيلينا.

- لا ريبَ أنه يشعر بالوحدة! قال ستانلي: لك أن تُحضريه معك إلى الطابق السفلي للانضمام إلينا وتناول العشاء.

- هل تعني ما تقول؟ ردت هيلينا وقدِ ابتسمت ابتسامة عريضة: لقد أوصى السيد ويستكوت أن يبقى في قفصه.

- ليس للببغاء أن يتسبب بأي ضررٍ في المطبخ. قال ستانلي مبتسماً.

اتسعتِ ابتسامةُ هيلينا؛ فهرعت إلى الطابق العلوي لتفتح باب غرفتها؛ وتوقفت برهةً قصيرة ترمش بعينيها فإذا بالقماشة التي تغطي قفص أوربت قد أزيلت وطُويت بعنايةٍ فوق وسادتها، فسارت نحوها ببطءٍ والتقطتها، ثم مسحت عيناها أركانَ الغرفة بحذرٍ فأدركت ألا شيء آخر قد تغير؛ فساعةُ جيبها الفضية الصغيرة تدق فوق الأدراج، كما لا تزال ملابسها ملقاةً عشوائياً على السرير كما كانت.

كان صوت النقر يأتي من داخل القفص. ركعت هيلينا بقلبٍ يخفق أكثر من المعتاد قليلاً. إنه أوربت ينقر شيئاً مربوطاً في القضبان؛ شيئاً لم يكن ولا ريب موجوداً عندما تركته.

5

المرآة

سَرتْ في ذراعَي هيلينا رعشةٌ باردةٌ؛ فأمسكت بقضبان قفص أوربت، وحدقت في المرآة البيضاوية الصغيرة التي تم ربطه بها بشريطٍ أصفرَ. سحبتِ الشريط الذي بدا حريرياً باهظ الثمن؛ أما المرآة فكانت ذات حوافٍ مذهبةٍ مستديرةٍ تماماً في راحة يدها كما لو كانت مصممةً لقفص طائرٍ. رفعتَها أمام وجهها، فانعكست فيها حيرةُ عينيها العسليتين. منِ الذي وضعها هناك؟ أعادت ربط المرآة (لإسعاد أوربت)، ثم نهضت متوجهة نحو الباب تنظر في الممر، أومضت أضواء الحائط الكهربائية مُصدرةً هسهسةً، فكان من شأن ذلك أن ألقث بظلالٍ متذبذبةٍ على ألواح الأرضية. لم تكن لديهم مصابيحُ كهربائيةٌ في منزلهم، بل ظلوا يعتمدون مصابيحَ الغاز التي كانت أمها تكرهها بشدةٍ لما تُخلفه من رواسبَ سوداءَ على أثاث البيت وجدرانه. ربما لم تكن الكهرباء تقدماً وحداثةً كما ادعى الناس، وذلك أنها سمعتْ قصةً مروعةً عن عائلةٍ ألقت على مصباحها الكهربائي الجديد وسادةً حالما اشتعل قماشها مضرماً ناراً مستعرةً في الغرفة بأكملها.

- مرحباً؟ نادت هيلينا ملقيةً نظرةَ قلقٍ نحو الأضواء الخافتة، ثم تحولتْ عنها وأضافت: هل من أحدٍ هناك؟

انبعث من ألواح الأرضية عند نهاية الممر بالقرب من الدرج صريرٌ لشيءٍ متوارٍ عن الأنظار؛ فغُمر جلدها وخزاً، وبدت قدماها ملتصقتين بالأرض. بدأتِ الساعات تدق وتدق باعثةً في الطابق السفلي ضجيجاً. إنها السابعةُ تماماً فعلاً. لقد مر الوقت سريعاً.

- مرحباً أمي. مرحباً أمي. مرحباً أمي! صاح أوربت فحوّل صوتُه أحشاءَ هيلينا إلى هلامٍ هشٍّ؛ وذلك أنها الطريقةُ التي اعتاد أوربت أن يحيي بها أمها عندما كانت تدخل عليه الغرفةَ.

دينغ دينغ دينغ دينغ.

بونغ بونغ بونغ بونغ بونغ.

تينغ تينغ تينغ تينغ.

كانت تحت المراقبة، وكانت متأكدة من ذلك.

- مرحباً؟ نادت مجدداً؛ لكن دقات الساعات ابتلعت صوتَها، وراحتِ ظلال نهاية الردهة تتحرك وتتحول وتتطور إلى شكل شبهِ بشريٍّ، فغرزت أصابعها في راحتيها المتعرقتين بينما كاد قلبُها يقفز من صدرها. أعلن الصوتُ «دونغ» العالي الأخيرُ الصادرُ من الأسفل نهاية دقات الساعات. سمعتْ صريراً آخرَ رافقه وميضٌ في أضواء الجدران.

- هيلينا! ما الذي أبطأكِ عنا؟ ستانلي ينتظر. قال والدها عابساً عاقداً حاجبيه الكثيفين معاً بينما هو يقف أعلى الدرج واضعاً يديه على وركيه.

زفرت هيلينا نفساً طويلاً بطيئاً. لا ريبَ أن ساعاتِ المنزل وظلالَه قد تسربت تحت جلدها فأوهمتها بوجود أشخاصٍ لا وجود لهم أصلاً. نظرتْ مرةً أخرى نحو غرفتها؛ لكن الإضافة الجديدة والغامضة إلى قفص أوربت لم تكن من نسج خيالها؛ فتساءلت ما إذا كان عليها أن تخبر والدها بهذا الاكتشاف لولا أنه كان قدِ انصرف، فعادت أدراجها متوجهة بسرعةٍ إلى أسفل الدرج.

***

باتتِ الرائحة التي اشتمتها هيلينا في وقت سابقٍ أقوى عندما تبعت والدها إلى أسفل آخر السلالم المؤدية إلى المطبخ في الطابق السفلي. كان غرفةً كبيرةً تعكس منتهى جميع السلالم المؤدية إلى مطبخ القبو ذاك؛ غرفةً كبيرةً تعكس كامل مساحة المنزل أعلاه.

- مرحباً بكما! قال ستانلي مشيراً إليهما بالجلوس إلى المائدة.

رمشت هيلينا بعينيها. كان ستانلي يرتدي مئزراً فوق قميصه (بأكمامه المرفوعة) وسرواله.

- ممم ... شكراً لك. قال والدها وهو ينظر إلى هيلينا بقلقٍ.

تلفتت هيلينا من حولها بحثاً عن الطاهي، فلا شك أن السيد ويستكوت قد عيّن جيشاً من خدمٍ يساعدونه في منزله الكبير بأضوائه الكهربائية وهاتفه وساعاته التي لا تُحصى عدداً. تساءلت ما إذا كان الطاهي واقفاً في الخارج، بينما هي تشاهد دوامة البخار المتصاعد من قِدرٍ نحاسيّ يغلي بلطفٍ فوق الموقد. لم يكنِ الطبخُ بالنسبة إلى هيلينا وأبيها نقطة قوةٍ؛ وبينما قال والدها إنه لا يستطيع تحمل تكاليف مساعدةٍ منتظمةٍ في المنزل، فقد دفع لجارته السيدة بارتريدج لقاء تزويدهما بوجبةٍ ساخنةٍ واحدةٍ يومياً؛ لكن يخنة اللحم كانت في كثيرٍ من الأحيان غضروفيةً خشنةً (وقليلة اللحم جداً)، كما كان سجق الأرز متكتلاً ويحتاج إلى ابتلاعه إلى جهدٍ جهيدٍ. افترضت هيلينا أنها محظوظةٌ نوعاً ما لأن والدها لم يعتمد عليها في تولي دور ربة المنزل ... وذلك أن هذا ما حدث لصديقتها جين بعدما توفيت والدتها؛ فقد كانت ترى جين مع إخوتها الصغار أحياناً عند بوابة المدرسة، وسلةُ تسوقٍ تتأرجح من ذراعها، وعلى محياها نظرةُ استسلامٍ لما آلت إليه حالها من انقلاب حياتها رأساً على عقبٍ، وجعلها في موقع مسؤوليةٍ لمّا تكن جاهزةً له بعد.

وُضعت أربعة مقاعد إلى مائدة المزرعة التي يمكن أن تتسع بسهولةٍ لعشرة أشخاصٍ. تجهمت هيلينا. أين ستجلس الخادمة ومدبرة المنزل والطاهية؟

- يمكنك وضع قفص ببغائك على هذا الكرسي إذا أردتِ. أفترض أنه يحب الفاكهة. أليس كذلك؟ قال ستانلي وهو يشير إلى الكرسي والطاولة التي عليها طبقٌ من شرائح تفاحٍ مرتبةٍ في هيئة عجلةٍ. لقد كان ستانلي فعلاً رجلاً وقوراً جداً.

- لقد أعددتُ شيئاً من حساء الهليون. قال ستانلي ثم توقف وابتلع رضابه: والحنكليس المقلي. عليّ أن أعترف أنها المرة الأولى التي أطهو فيها هذا الطبق، لكن السيدة بيتون تقول ...

- أوه ... السيدة بيتون. قال والد هيلينا وهو ينظر قِبل المطبخ: أهي طاهية السيد ويستكوت؟

ابتسم ستانلي وهز رأسه، ثم أمسك بكتابٍ سميكٍ مفتوحٍ على الطاولة، ولوّح به في الهواء؛ فسقط الكتاب على الأرضية المبلطة بقوةٍ، وقال: ألم تسمع بكتاب السيدة بيتون في تدبير المنزل؟ لقد حدثتني أمي عن هذا الكتاب، فكان بمنزلة عونٍ كبيرٍ لي مُذ استقال طباخ السيد ويستكوت لتولي وظيفةٍ جديدةٍ. إني في الواقع أحب الطبخ جداً؛ وأجد أن الوصفات تشبه إلى حدٍ ما العملياتِ الحسابيةَ فما دمت تستخدم النسب الصحيحة، فإن النتيجة ستكون مُرضيةً في الغالب..

- أوه! فهمت. قال والد هيلينا بصوتٍ ضعيفٍ: نعم، أعتقد أن زوجتي كانت تمتلك نسخةً من هذا الكتاب.

دنت هيلينا فالتقطتِ الكتاب الذي سقط على الأرض. مبادئ الرياضيات. تجهمت ثم أعادته إلى الطاولة. ما نفعُ مثل هذا الكتاب المدرسي في المطبخ؟ شطّ فكرها لما رأت طبق الحنكليس الأسود الرقيق مغطىً بالدقيق الأبيض؛ ذاك الطبق الذي لم تعرفه من قبلُ؛ فقد كانت أمها تتحاشاه دائماً عند بائع السمك، وتفضل عليه شرائحَ السمك المقدد. ابتلعت هيلينا رضابها، وقالت لنفسها حازمةً أمرها أنْ لا بأس في تجربة أشياءَ جديدةٍ.

- أظن بأني في حاجةٍ إلى شرح الأمر.» قال ستانلي: لقد وجدتُ نفسي أتولى وظائفَ عدةً فكنتُ: كبيرَ الخدم، والطاهي، والبستانيّ، ومدبرَ المنزل في كثيرٍ من الأحيان، أيْ كلَّ شيءٍ إضافة إلى دوري كمدرّس. ثم أغلق فمه كما لو أنه أطنب في الكلام.

- لكن أبي قال إن السيد ويستكوت ثريٌّ جداً؛ فلماذا لا يوظف خدماً؟ سألت هيلينا.

- هيلينا! همس والدها بعينين ضيقتين.

- لا. لا. قال ستانلي: إنه سؤالٌ جيدٌ. وأشار إليهم بالجلوس مرةً أخرى، ثم فتح خزانةً أخرج منها صينيةً خشبيةً، ووضع عليها قماشةً من الكتان الأبيض، ووعاءً ذا إطارٍ ذهبيٍّ، فسكب بعض الحليب من إبريقٍ في كوبٍ وضعه إلى جوار الوعاء: كانت الأمور صعبةً هنا. لاك شفته السفلى مفكراً كمن يحاول معرفة مقدار ما عليه قوله

لهما: فقد استقال جميع الموظفين كما تريان. وظفتني الآنسة كاثرين ويستكوت منذ بضعة أشهرٍ، فأنا الآن الشخص الوحيد المتبقي هنا، ولذا أبذل ما أستطيع للحفاظ على إدارة المنزل؛ إذ مَن سيقوم بذلك إلايَ؟

فغرت هيلينا فمها تَهمُّ بطرح أسئلةٍ بدهيةٍ. لماذا أصبحتِ الأمور صعبة؟ ولماذا غادر خدم السيد ويستكوت؟ ثم إن السيد ويستكوت لا أطفال لديه، ففيمَ يحتاج المدرس؟

لكنها رأت أباها رفع يده قبل أن يتفلّت الحرف الأول من الكلمة الأولى من بين شفتيها فيما يعني أنْ «توقفي فوراً!» ورأت في قعر عينيه بوادر شررٍ تتقد.

أغلقت هيلينا فمها وتراجعت إلى كرسيها، ثم التقطت شريحة تفاحٍ ألقمتها أوربت من بين قضبان القفص. لقد ضاق صدرُها جداً أن يرى والدُها في طرح الأسئلة في هذا المنزل أمراً ينبغي تجنبه.

كان ستانلي يتجول في المطبخ ملقياً نظراتٍ متكررةً على كتاب الطبخ الخاص به في أثناء غمسه الحنكليس بالبيض وفتات الخبز قبل البدء بقليها على الموقد؛ ولمّا راحت تصدر أزيزاً رفع غطاء القدر فسكب الحساء في وعاءين وضعهما أمام هيلينا وأبيها. حدقت هيلينا في الوعاء فكان الحساء فيه أخضرَ اللون فبدا لها كبِركةٍ تغطي سطحَها الطحالبُ.

- آمل أن ينال الحساء رضاكما. قال ستانلي متجهماً: فوصفة السيدة بيتون تقتضي أن ألوّنه بعصير السبانخ، فلعلّي أضفتُ منه أكثر من اللازم بقليلٍ.

- لا ريب أنه ... لذيذٌ. قال والد هيلينا بحزمٍ وهو يتناول ملعقةً فيتذوقه: أليس كذلك يا هيلينا؟

- نعم؛ إنه جيدٌ! تمتمت هيلينا إذ سكبتِ الحساء المائع في فمها فكان طعم السبانخ طاغياً على طعم الهليون إلى حدٍّ ما.

كان ستانلي قد أعدّ صينية طعام السيد ويستكوت بعنايةٍ، وحرص على تنضيد عناقيدَ صغيرةٍ من العنب الأحمر الوردي في طبق جانبي؛ ثم قال:

- قد تَعجبان قليلاً أن تريا رجلاً يتولى الطهي؛ ولا ريب أن والدي لم يكن معجباً جداً بتولي دورٍ كهذا؛ لكن الضرورات تبيح المحظوراتِ كما يقال.

تساءلت هيلينا ما إذا كان ستانلي راضياً بخدمة السيد ويستكوت غريب الأطوار هذا، وبالعيش في هذا المنزل الغريب الذي تغص عوارضه الخشبية بالساعات؛ ولكن هذا الأمر وإن كان صحيحاً، فمن المحير حقاً اكتشاف منزلٍ كبيرٍ كهذا من دون أن يكون به طهاةٌ أو خدمٌ.

- أريد فقط أن آخذها إلى الطابق العلوي. قال ستانلي ملتقطاً الصينية، وقد بدا تعبيره أكثر كآبةً من ذي قبل، فكأنما ذكّره الحديث عن التغييرات في المنزل بأشياءَ كان يود نسيانها.

سُمع من داخل الردهة ضجيجُ شجارٍ مفاجئٍ ... كما لو أن شيئاً ما قد سقط ثم استُعيد؛ ضيّق ستانلي عينيه محدقاً نحو مصدر الصوت.

لمحته هيلينا يبتلع رضابه، ويهز رأسه (حركة خفية جداً كانت لتفوتها لو لم تكن تراقبه). من كان هناك؟ نظرت إلى والدها، لكنه كان مشغولاً بكشط ما تبقى في وعائه.

اهتزتِ الصينية في يدي ستانلي عندما غادر الغرفة على عجلٍ.

سكبت هيلينا جرعة حساءٍ أخرى في فمها، فكان مالحاً بعض الشيء، لكنه لم يكن أسوأ حساءٍ تذوقته على الإطلاق (فأفضل حساءٍ هو مرق اللحم الذي يُقدم في المدرسة شتاءً.) اعتدلت في جلستها، ومسحت شفتيها بمنديلها.

- إن هذا الحساء جيدٌ إلى حدٍّ ما بصرف النظر عن لونه الغريب. قال والدها ناظراً إلى الأعلى متبسماً.

سمعا من الردهة صوتاً في هيئة همساتٍ طارئةٍ.

- لا أظن أني جائعةٌ جداً في واقع الحال. قالت هيلينا وقد وضعت منديلها إلى جوار وعاءها: هل لكَ إلى أن تعذرني؟ سألت محاوِلةً بجدٍّ أن ترى ما يجري وراء

الباب.

- طبعاً، قال والدها: تبدين شاحبةً بعض الشيء. لا بد أن الرحلة أشعرتكِ بالضجر؛ فاذهبي للنوم، وسأتولى إطعام أوريت تفاحتَه بنفسي، ثم أحضره لك لاحقاً.

ابتسمت هيلينا ابتسامةً سريعةً، ودفعت كرسيها إلى الخلف، ثم اندفعت خارج الغرفة إلى أن باتت وهي تصعد الدرج قادرةً على سماع خطى ستانلي فوقها؛ بل كانت على يقينٍ أنها تسمع خطواتٍ خفيفةً لأشخاصٍ آخرين أيضاً؛ ولمّا همّت باتباعهم لفت انتباهها شيءٌ ما بين حامل المعاطف الفارغ وباب الخزانة؛ فقد ثُبتت على الحائط قصاصةٌ ورقيةٌ بحجم راحة يدها تقريباً؛ وكانت تحمل رسماً آخر بالقلم الرصاص لآلة طيرانٍ؛ لكنها كانت أكثر تفصيلاً من الرسم الأول من جهة أجنحة الآلة وإطاريها المستقيمين، كما كانت دفتها متناسبةً تماماً. سحبتها عنِ الحائط، ثم وضعت إبهامها على الثغرة الصغيرة التي خلّفها الدبوس أعلى الورقة، ثم طوتها طيتين ودستها في جيبها، وراحت تصغي إلى وقع الخطى التي تصعد الدرج إلى الطابق الأعلى.

6

غرفة الساعة

- عليكِ موافاتي في الطابق الأرضي خلال عشرين دقيقةً؛ فنحن في حاجة إلى البدء بالساعات قبل الإفطار. قال والد هيلينا بعدما طرق عليها البابَ بصوتٍ عالٍ، وكان صوته مشوباً بالإثارة.

تثاءبت هيلينا وجلست على سريرها.

- أسمعتِني يا هيلينا؟ قال وقد طرق الباب ثانيةً.

- نعم، أبي! صاحت هيلينا وهي تفرك عينيها؛ إذ كانت ليلةً مضطربةً بسبب دقات الساعات المنتظمة، وصيحات الطلاب المستمتعين باحتفالات اجتياز امتحاناتهم وضحكاتهم. لقد كانت تظن أن كامبريدج مدينةٌ هادئةٌ متواضعةٌ؛ غير أنها بدأت تدرك أنها قد تكون على خطأٍ. دقّتِ الساعات في الطابق السفلي مراراً وتكراراً معلنةً تمامَ الساعة السابعة. مدت هيلينا يدها تحت وسادتها واستلت فاتحةَ الرسم الذي وجدته معلقاً على جدار الطابق السفلي في الليلة السالفة؛ فتتبعت بإبهامها جناح آلة الطيران ودفتَها. من تُراه رسمها؟ أيكون الشخص ذاته الذي ترك المرآة على قفص أوربت؟ كان ستانلي قد أوصاها أن تخبره إذا ما عثرت على أية رسوماتٍ أخرى معلقةٍ على الجدران، لكنها لم ترغب في ذلك، ويرجع السبب في ذلك إلى تعليمات كاثرين من جهةٍ، وأنها أرادت اكتشاف من يرسمها والقصد من وراء ذلك.

نظرت هيلينا إلى قفص أوربت. كان لا يزال مغطىً بقماشته. قفزت من سريرها، ونزعتِ القماش مؤقتاً متوقعةً أن ترى شريطةً صفراء أخرى ... كهديةٍ أخرى. نظر إليها أوربت بفتور النائم، لكنها لم تقع على أية إضافاتٍ جديدةٍ. لم يكن باب غرفتها مقفلاً. أكانت حمقاء أن لم تخبر والدها بأمر اقتحام غرفتها؟ فلا ريب أنه سيغتاظ إن علم أن شخصاً ما تدخّل في ممتلكاته. ماذا لو دخل الدخيل إلى غرفة والدها فكسر شيئاً من معدات الساعات باهظة الثمن؟ هرعت ترتدي فستاناً قطنياً أزرق فاتحاً، وجوربين ثم انتعلت حذاءها؛ فلم يكن في مقدورها الالتزام بقاعدة كاثرين بكتم ما

قد يعرّض حياة أبيها للخطر.

تذكرت هيلينا نظرة السيد ويستكوت إلى أوربت عند وصولهما؛ فأدركت أنها كانت مزيجاً غريباً من الكراهية وشيئاً آخر. أتُراه هو من ربط المرآة؟ وهل يمكن أن يكون الرسامَ؟ لكنها في المقابل لم تره أو تسمعه مذ تركوه في مكتبه بعد ظهر اليوم السابق. ومع ذلك، فقد رأت في عينيه شيئاً غريباً لم تستطع تَبيُّنه ... فكأنما هو ضبابٌ ينقشع ببطءٍ صبيحةَ يومٍ شتويٍّ. تذكرت بترنحِ مقزِزِ العقد الذي وقّعه والدها في الأمس. صحيحٌ أنه حاول طمأنتها؛ ولكن كيف لها أن تكون كذلك إذا ما فقدوا ممتلكاتهم كلها في حال توقف الساعات؟

ولما نزلت هيلينا إلى الطابق الأرضي، وصلت لاهثةً مضطربةً بسبب أفكارها. دقت ساعة الزفاف الذهبية الموضوعة على الطاولة في القاعة دقاتٍ سريعةً متزامنةً مع دقات قلبها مما جعلها تشعر بمزيدٍ من الارتباك؛ فوقفت ونظرت إليها لثانيةٍ أو اثنتين فلاحظت وجود أوعيةٍ ذهبيةٍ صغيرةٍ فيها أزهارٌ مرصعةٌ بالجواهر تتلألأ وسط كل طبقةٍ. لقد كانت ساعةً غريبةً عجيبةً وباهظة الثمن على ما يبدو.

سمعت صرير لوح الأرضية يختلط بتمتمةٍ مهموسةٍ من داخل الغرفة المقابلة لمكتب السيد ويستكوت. أهو والدها؟ أبطأت لما دنت من باب المكتب فإذا بالسيد ويستكوت في الداخل يتحدث إلى شخصٍ ما بصوتٍ منخفضٍ بدأ مضطرباً جداً إذ سمعته يقول: «إنه تحذيرك الأخير يا مارشينغتون ... لا ... لا تطلب مني الاستماع. إنْ لم تتبع تعليماتي بدقةٍ فصلتُك من عملك.» كانت محادثةً متكلفةً من طرفٍ واحدٍ؛ ما يعني أنه ولا ريبَ يستخدم هاتفه. انكمشت هيلينا بعيداً عن الباب فراحت ألواح الأرضية تئن تحت قدميها. واضحٌ أن السيد ويستكوت شخصٌ لا يمكن تجاوزه.

- هيلينا؟ أهذه أنتِ؟ ناداها والدها من الغرفة المقابلة.

- ممم ... نعم يا أبي. أود أن أحدثك في ... أمرٍ! قالت هيلينا ناسيةً أمر السيد ويستكوت، واقتحمت عليه الغرفة، ثم توقفت برهةً إذ لفت انتباهها شيءٌ ما إلى جوار الباب المفتوح. إنه كرسيٌّ. يجلس عليه صبي يرتدي سروالاً أزرق، وحذاءً أسودَ ذا خطافاتٍ نحاسيةٍ على أربطته، وقميصاً أبيضَ ذا كشاكش عند الرسغين. كان

الرأس الأشقر متوجه نحو أبيها.

كان والد هيلينا يقف على كرسيٍّ يتفحص ساعةً طويلةً يشبه أعلاها قمم المعابد؛ فقال:

- إن ساعة خشبِ الماهوغاني هذه من تصميم مور أوف إبسويتش. أليست رائعةً؟ وداعبها بيده بكل احترامٍ.

حدّقت هيلينا في أبيها. ألم ير الصبيَّ؟

كان الصبي قد استدار في كرسيه ليرمقَ هيلينا بنظرةٍ جانبيةٍ بعينين زرقاوين ضيقتين وشفتين مستقيمتين.

- أترين أقراص الساعة الأربعةَ في كل ركنٍ منها يا هيلينا؟

التفتت هيلينا إلى أبيها.

- تعرض لنا هذه الساعةُ اليومَ والشهرَ، وتسمح لنا بالاختيار بين أن تدق أو تبقى صامتةً ... كما يتيح القرص الرابع الاختيار من بين سبع نغماتٍ، قال والدها بفخرٍ كما لو أنه مَن صنع تلك الساعة بنفسه: يا لها من نموذجٍ فذٍّ ورائعٍ!

- لا بد أن كل شيءٍ نال رضاكَ. أليس كذلك؟ قال قائلٌ من جهة الباب. إنه السيد ويستكوت. تحوّلت هيلينا نحوه؛ كان كرسي الصبي فارغاً. لقد غادر الغرفة من دون صوتٍ كأنما هو شبح أو طيفٌ. تذكرت هيلينا إحساسها في الأمس أن هنالك من يراقبها عند نزولها إلى الطابق العلوي؛ فانتصب شعر رأسها.

مالت عينا السيد ويستكوت نحو الكرسي الفارغ، ثم أشاح بهما مرةً أخرى مطلقاً تنهيدةً طويلةً؛ فأحست هيلينا أنها باتت كفراشةٍ حزينةٍ علقت أجنحتها في شبكةٍ فراحت تكافح للتحرر من خيوطها.

- كل شيءٍ ... رائعٌ يا سيدي. رد والدها وهو ينزل عنِ الكرسي، ويمسح يديه بمئزره القصير: إنها لأروعُ مجموعة ساعاتٍ حقاً. لا بد أن جمعها استغرق منك وقتاً طويلاً. أليس كذلك؟

- لا، لم يكن بالوقت الطويل. قال السيد ويستكوت بعد أن دخل الغرفةَ ببطءٍ؛ فكان صوته هشاً خفيفاً كعُصينٍ لذنٍ.

واستطال الصمت بين دقات ساعة الغرفة حتى ظنت هيلينا أنه قد ينكسر.

- حسناً! لقد كانت بعض اختياراتك ممتازةً. قال والد هيلينا: وأظن أن قيمتها ستزداد خلال السنوات المقبلة.

- لستُ مهتماً بقيمتها. قال ويستكوت والشقوق على جانبي فمه تغور: إنما أريدها أن تدق وحسبُ، ولا تتوقف.

- لك ذلك سيدي. ستدق على الدوام. قال والد هيلينا تحركت حنجرته حينما ابتلع رضابه، ثم تبسم للسيد ويستكوت ابتسامةً عريضةً لم تجد رداً بمثلها.

- أختي كاثرين تحب الحضور عند فحص الساعة. همس السيد ويستكوت وهو يسير نحو الساعة التي كان والد هيلينا يتفحصها تواً ثم أضاف: «كل يومٍ.» ورمشت عينه اليسرى ففركها: سأتركك الآن ... لعملك؛ فاليوم هو الاثنين؛ ولدي اجتماعٌ مع مجلس الإدارة في شركتي؛ شركة الطباعة.

- طبعاً، طبعاً. قال والد هيلينا.

استدار السيد ويستكوت وغادر الغرفة، وألقى على الكرسي المجاور للباب نظرةً أخيرةً.

- من كان ذلك الصبي؟ سألت هيلينا عندما أغلق والدها غطاء الساعة.

- عذراً؟ قال وهو ينقل الساعة بحنانِ أمٍّ تضع وليداً في مهدٍ.

- الصبي ... الجالس عند الباب على ذلك الكرسي هناك.

استدار والدها متتبعاً إصبع هيلينا المشير إلى الكرسي الشاغر، ثم دس يديه في جيوب سترته، وأجاب: لا فكرة لديّ عما تتحدثين عنه.

عضت هيلينا على شفتها السفلية بقوةٍ؛ فكيف لوالدها ألا يراه؟ بدا لها كما لو أن

ذلك المنزل الغاشمَ الغريبَ يوهمها برؤية أشياء لا وجود لها.

- أتدركين مدى أهمية هذه الوظيفة بالنسبة إلينا يا هيلينا؟ سأل والدها بهدوءٍ.

ردت هيلينا بإيماءةٍ خفيفةٍ.

- لقد سهرتُ نصف الليل على إعداد قائمةٍ بالساعات والمواقيت التي نحتاج إلى ربطها. قال لها بعدما التقط دفتراً ولوّح به لها: فلذا سنكون مشغولَين جداً؛ وهذا جانبٌ من قائمة الساعات والمواقيت التي نحتاج إلى ربطها. سنكون مشغولين جداً؛ وهذا ناهيك عنِ عملي الذي عليّ القيام به كرقيب. سأحتاج إلى مساعدتك.

- ولكن ... هنالك ما أود أن أحدثك بشأنه ...

- ليس الآن يا هيلينا. لدي عملٌ ملزمٌ؛ فهلّا تحققتِ من خزانة ساعات الجيب في الطابق العلوي لإعداد قائمةٍ بأحجام وأنواع الساعات وفرز مفاتيح الربط إنْ أمكنَ؟ قال ثم استدار للبدء بإزالة غطاء ساعةٍ أخرى.

ضغطت هيلينا على شفتيها، وأطرقت برأسها، وسارت نحو الكرسي الذي كان يجلس عليه الصبي؛ ولمّا ضعت كفها على المقعد الخشبي وجدته لا يزال دافئاً ما يعني أن الصبي لم يكن شبحاً أو طيفاً على الإطلاق، بل شخصاً آخر يعيش في منزل الساعات المائة ذاك.

7

الفتاة

أمضت هيلينا بقية يومها ذاك تجوب مع والدها أرجاء المنزل متتبعةً إياه من غرفةٍ إلى أخرى، محتفظةً بأوربت في قفصه، حريصةً على كتابة الأفعال الفرنسية على القائمة التي أصرت مدرستها أن تقتبسها كي لا تتخلف؛ كما ساعدت أباها كلما طلب مساعدتها (مرري لي كماشة مراقبة الجيب يا هيلينا. لا، لا، لا، ليس هذه، بل ذات مقبض خشب الجوز. أحتاج إلى بعض حوامل البندول النوّاس ... قومي بقياسها من فضلك) فراح رأس هيلينا يغرق في موج تعليماته وأوامره، التي تُذكرها على الدوام بالعقد الذي وقّعه والدها. كانت شرارات الغضب تستعر في أحشائها كاحتكاك أعواد الثقاب فيتلظى كل جسمها من التفكير في مصيرهما إنْ لم يُفلحا في إدامة عمل الساعات؛ لكن أباها بدا غير مهتمٍّ بالأمر على ما يبدو، فكأنما هو الغارقُ في عمله بالكامل، الراحلُ عن عالمهما بالكامل إلى عالمٍ آخر تماماً.

كان الصبي الغامض يظهر على مدار الساعة فوق كل كرسيٍّ قابعٍ إلى جوار باب كل غرفةٍ كأنما هو سحرُ ساحرٍ يؤدي خدعةً ذكيةً. حاولت هيلينا جذب انتباهه، لكن الصبي كان دائم النظر بعيداً.

Telegram:@mbooks90

عندما انتقلت هيلينا ووالدها إلى تلك الغرفة المزينة بورق الجدران النباتي؛ والتي فيها الساعات الطويلة في الطابق الثاني، اقتفى ذلك الصبي أثرهم بخطىً أخفَّ من الدخان؛ فتذكرت هيلينا تعليمات كاثرين عند وصولهما بأن لا يتحدثوا عما يشاهدانه في المنزل، لكنّ حكةً في حلقها كانت تحفزها لمعرفة المزيد عن هذا الصبي. لقد أيقنت أن والدها قد رآه كذلك إذِ كانت عيناه تنقضّان على الصبي تارةً وتشيحان عنه طوراً طيلة اليوم، إلا أنه لم يكلف نفسه محاولة التحدث معه لأن تعليمات كاثرين ولا ريب كانت في طليعة تفكيره. وبينما كان والدها راكعاً يتفحص رجلاً مكسورةً لإحدى الساعات، ركعت هيلينا إلى جواره وسألته بهدوءٍ من يكون ذاك الصبي في اعتقاده. أيكون ابنَ السيد ويستكوت؟

- لا تطرحي أسئلةً كهذه من فضلك. همس الأب بضراوةٍ تشنّج لها وجهُ هيلينا؛ ولكن كيف لها أن تُحجِم عنِ الحديث في هذا؟ فمن حق أي شخصٍ يشعر بعيونٍ تحدق فيه من وراء ظهره أن يعرف هويةَ الناظر إليه وسبب نظره ذاك.

حاولت هيلينا فتح موضوع الصبي وقرابته مع ستانلي بعد وجبة سمكٍ بالخبز المحمص وعصير الليمون الطازج الحامض جداً، والذي لذع لسانها؛ فسألته عن تفسير تحاشي السيد ويستكوت ذكرَ صبيٍّ يقيم في المنزل، وما إذا كان وجوده مسوغاً لوجود ستانلي بوصفه مدرساً.

- لقد طلبت مني الآنسة ويستكوت عدم التحدث عما يجول في هذا المنزل. قال ستانلي متجهماً، وفتح فمه كما لو أنه يهمُّ بالتوسع في بيانه هذا إلا أنه سرعان ما أغلقه وهز رأسه قليلاً فتمايل شعره الداكن.

اتكأت هيلينا للخلف في كرسيها مستنتجةً أن ستانلي أيضاً قد تلقى توجيهاً بكتم خبر ما قد يراه في المنزل، فاتسعت رقعة فضولها كمعدن يتعرض للتسخين.

قبيل الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم دُقَّ جرس باب المنزل بعدما غادر الصبيُّ الغرفةَ بنصف ساعةٍ، وقد راحت قدماه تخبطان الدرج نحو الجزء العلوي من المنزل؛ كانت هيلينا ووالدها لا يزالان في غرفة الساعات الطويلة في الطابق الثاني، وقد أزال والدها أغطية الساعة، وراح يفحص النوابض النحاسية والأذرع المعدنية والأوزان، وسُمع من بعيدٍ صوتُ بابٍ يُغلَق، وأقدامٍ تعدو فوق الدرج. أصواتٌ.

- «دينغ دونغ ... هيكوري ديكوري ... دوك كلوك تيك توك» ثرثر أوربت.

تسربت رائحة شروق الشمس وصفاء السماء الزرقاء والأزهار الوردية إلى الغرفة، على أثر دخول كاثرين التي راحت تنانيرها الطويلة تهمس للأرضية الخشبية بحفيفٍ كأنما هي أجنحةُ الحمائم؛ لكنها لم تكن وحدها؛ بل ترافقها فتاةٌ في مثل عمر هيلينا ممسكة بيدها ذات القفاز، فبعث فستانُها المصنوعُ من شيفونٍ أخضرَ خضرةَ أوراق الشجر في نفس هيلينا شرارةً من حسدٍ. عدّلت الفتاة خصلة شعرها الجانبية بيدها الحرة، وكان شعرُها الأشقرُ قصيراً يُبرز صغرَ أنفها وزرقة عينيها.

كان السيد ويستكوت يقف إلى الجانب الآخر من أخته حاملاً تحت عينيه هالاتٍ سوداءَ كالكدمات، وسرعان ما نظر إلى الفتاة، ثم تحوّل عنها. كانت عيناه تشيان بأسفٍ ما، وشفتاه ترتجفان فكأنما تتأرجح الكلمات على حافة لسانه. هنا لمعتِ الفكرة في رأس هيلينا كأنها مصباحٌ من مصابيح السيد ويستكوت الكهربائية. أيمكن أن تكون تلك الفتاةُ ابنتَه؟ وإنْ كانتِ ابنتَه، فهل هذا أن الصبي الغريب الذي كان يجلس في غرف الساعة هو ابنه بالفعل؟

- هلِ استدركتِ ما فاتكِ في دراستك؟ همست كاثرين للفتاة وهي تعدّل لها ريش النعام الأبيضَ الطويلَ على قبعتها الكبيرة المتقنة.

- نعم؛ عمتي كاثرين! همستِ الفتاة ناظرةً إلى كاثرين بشكلٍ رسميّ، ثم تحولت عينا الفتاة نحو السيد ويستكوت الذي تنهد وعدّل كتفيه قليلاً ثم مشى نحو الساعة حاملاً بندولها الرقاصَ ذا الواجهة القمرية. وضع كفه الأيمن على باب الساعة بشفتين ترتجفان، بينما راح يراقب تأرجح البندول ذهاباً وإياباً، فكان وجه القمر الملائكي يتأرجح بانتظامٍ إلى الداخل والخارج فكأنه يخفف شيئاً من ألم كتفيه.

- إنها لساعةٌ جميلةٌ جداً، تلك التي تحمل بصمة فوليامي لندن، والمصنوعة من خشب الجوز، وتصلح لثمانية أيامٍ. قال والدها متوجهاً نحو الساعة: وإنك لمحظوظٌ جداً بحيازة واحدةٍ منها في مجموعتك، فقد كان فوليامي صانع ساعات العائلة المالكة في القرن الثامن عشر.

- نعم، أنا على علمٍ بذلك! قال السيد ويستكوت ببرودٍ، ثم التفت نحو والد هيلينا: تقول إني محظوظٌ! قال بياناً لا استفهاماً كما لو أن الكلمة برتقالةٌ تحتاج إلى تقشيرٍ لكي تكشف عن شيءٍ مختلفٍ تماماً.

- أوه ... يا لببغائك الجميل! قالت كاثرين تاركةً يد الفتاة، تتوجه نحو القفص الذي وضعته هيلينا عند قدمي أبيها.

- «هيكوري ديكوري دوك ... هرب الفأر ... كواك كواك كواك ... هيكوري!» بدأ أوربت بالصراخ في حالة ذعرٍ تناثر لها عُرفه، فقفز من مكانه نحو أدنى قفصه.

تجمدت هيلينا. لمَ عساه يصدر كل تلك الضوضاء الرهيبة؟

- أوه! إنه طائرٌ رائعٌ! ألا توافقني الرأيَ يا إدغار؟ قالت كاثرين متجاوزةً صرخات أوربت، وصفقت بيديها فأضاء وجهُها بابتسامةٍ.

- كواك كواك كواك!

لاحظت هيلينا أن الفتاة تمضغ شفتها السفلية، وقد اتسعت عيناها.

- «أخرجيه من الغرفة يا هيلينا!» قال والدها بصوتٍ عالٍ وهو يهرع نحو القفص. «أنا آسفٌ جداً سيد ويستكوت. إنه لا يثير عادةً مثل هذه الجلبة. لا بد أن ذلك لرؤيته أشخاصاً جدداً ... وبيئةً جديدةً ...»

احمرّ خدا السيد ويستكوت وهو يحدق في أوربت يتمايل في قفصه.

- كواك كواك كواك! صاح أوربت ضارباً بجناحيه قضبان قفصه المعدنية.

- صه! اصمت أيها الطائر الجميل! قالت هيلينا ملتقطةً القفص، ثم سارت به سريعاً نحو الباب.

تغضّن جبينُ الفتاة، وأبدت مظهر التعاطف حينما مرت هيلينا إلى جوارها.

التهبت وجنتا هيلينا حرجاً، فرمقها والدها بنظرةٍ تشي بخيبة أملٍ، ثم تحول نحو السيد ويستكوت والساعات. لماذا كان أوربت يتصرف بذلك الشكل الرهيب جداً، وخاصةً حينما تكون في أمسّ الحاجة إلى أن يكون سلوكُه في أحسن حالاته؟

استدارت هيلينا عند الباب تنظر خلفها. كانت كاثرين تحدق فيها واضعة يدها على رقبتها، عابثةً بأزرار بلوزتها؛ فابتسمت لهيلينا ابتسامةً سريعةً مشرقةً، ثم تحولت عنها بعيداً فترنّح ريشُ قبعتها واهتز كما لو عاد حياً فطار.

8

الرسالة

في وقتٍ لاحقٍ من ذلك المساء، وبعد العشاء بمدةٍ طويلةٍ، أزالت هيلينا رسماً آخر لآلة طيرانٍ عن حائطٍ خارج غرفة الساعة الطويلة. من ذا الذي يضعها هنا؟ لقد باتتِ الآن متيقنةً أن الفتاة والصبي أخٌ وأختٌ وهما ولدا السيد ويستكوت؛ ولكن من منهما الذي يترك تلك الرسوماتِ، ولماذا؟ سبق أن قالت كاثرين إن زوجة السيد ويستكوت قد رحلت قبل ثمانية أشهرٍ؛ فأين رحلت؟ أكان الصبي والفتاة يتيمَي الأم أيضاً، مثل هيلينا؟ باستثناء أن هيلينا لم تكن يتيمةَ الأم تماماً؛ إذ لا يزال صوت أوربت يذكّرها بفقيدتها.

في الطابق الثالث، ألقت هيلينا نظرةً سريعةً نحو غرفتها التي استقر أوربت فيها ونام؛ وحان أوانُ البحث بنشاطٍ عن إجاباتٍ لبعض أسئلتها العالقة، فعبرتِ الدرجَ نحو ممر الغرف التي قال ستانلي إن السيد ويستكوت كان ينام فيها. لا بد أن الفتاة والصبي ينامان هنالك أيضاً. كان على جانبي الممر بابان، وآخرُ في نهايته، وكلها كانت مغلقةً؛ فبدت غريبةً جداً فكرة وجود السيد ويستكوت بكل مقتنياته وممتلكاته هنا بدلاً من الطابق السفلي. ما الذي دفعه لاستبدال جميع متاعه بالساعات؟ توقفت هيلينا وأمالت رأسها لمّا انجرف صوتٌ من الأصوات من وراء باب نهاية الممر. توقفت فجأةً بعدما كانت تسير على رؤوس أصابعها على طول الممر خادشةً بأصابع قدميها جوربيها. سماعُ محادثةٍ ما شيءٌ، والتنصت عمداً شيء آخر؛ لكنها بدت غيرَ قادرةٍ على السيطرة على نفسها. لعلها لو لم تضع أذنها على الباب، بل قامت بدلاً من ذلك بتمسيد السجاد المجعد بإصبع جوربها، لتمكنت من البقاء لفترةٍ تفي لسماع شيءٍ يستحق العناء.

- جيدٌ جداً! جيدٌ جداً! نعم، هذا بالضبط ما كنتُ أقوله. (ستانلي)

- ولكن هل يمكن لهذا التعديل أن يبقيها في الهواء لفترةٍ أطول؟ (كانت الفتاةُ المتحدثةَ!)

- طرحُ الأسئلة هو الشيء الصحيح! إنه الطريقة الوحيدة التي يمكنك من خلالها التأكد من أنكِ تتعلمين الأشياء الصحيحة. لقد قالت لي عمتك ذلك بلسانها. (ستانلي)

- لقد أرسلنا الرسالة؛ ولكن هل سيقرؤونها؟ (الفتاة)

سُمع صوتُ سعال ووقعُ خطىً تطأ ألواح الأرضية.

أبعدت هيلينا رأسها في عجالةٍ، وعادت أدراجها نحو الممر. بدا الأمر كما لو أن ستانلي كان يلقن الفتاة درساً في المدرسة؟ ولكن؛ أيكون الدرسُ في هذا الوقت من الليل؟

بعد أنِ ارتدت هيلينا ثوب نومها، وأغلقت أزرار أكمامها، فضّت آخرَ رسم عثرت عليه معلقاً على حائط الطابق السفلي. كانت الفتاة قد تحدثت عن «إبقائها في الهواء لفترةٍ أطول»؛ فلعلها إذن رسوماتُها؛ فإن كانت كذلك فعلاً فإنها إذن لموهوبةٌ حقاً. لطالما تمنت هيلينا لو أنها موهوبةٌ في شيءٍ ما أياً كان؛ إلا أنها كانت حالةً ميؤوساً منها تماماً في مجال الرسم؛ أما في دروس الموسيقى التي شجعتها والدتها عليها فكانت كارثيةً؛ فقد كان وجه معلمة الموسيقى، الآنسة كارترايت، يتلوى تلوّيَ المتوجّع كلما لمست أصابع هيلينا مفاتيح البيانو.

ولكن؛ إلى من كانت تلك الرسومات موجهةً؟ أكان في خطوطها وزواياها رسالةٌ سريةٌ مخبأةٌ في مكان ما؟ ربما ساعدها ستانلي في رسمها.

قلبت هيلينا الصورة، وتتبعت بإصبعها أثرَ النتوءات التي تركها قلمُ الرصاص في الورقة؛ لكن لم تعثر على أية رسائلَ مشفرةٍ. سمعت هيلينا صرير نوابض السرير في غرفة أبيها المجاورة ... لا بد أنه قصد سريره دون القدوم لتمني ليلةٍ سعيدةٍ لها بسبب طول انشغاله ذلك اليوم.

وبتنهيدةٍ أعادت طيّ الورقة لتضعها تحت وسادتها؛ فلما همّت أنْ ترتقيَ سريرها سمعت من بعيدٍ أسفلَ نافذتها صوتَ إغلاق الباب الأمامي، ووقعَ خطىً تنقر على الحجر. كان ذلك تحت نافذتها في وقتٍ متأخرٍ، أي بعد العاشرة بقليلٍ. كان الوقت متأخراً مساءً حين سمعت وقعَ خطىً تنقر على الحجر، وذلك في وقتٍ تكون فيه

نائمةً عادةً. أطفأت مصباح الزيت المحمول (إذ لا تزال لا تثق في الضوء الكهربائي المعلق على الحائط)، ودفعتِ الستائر للخلف، وراحت تنظر في الظلام؛ فإذا به السيد ويستكوت ... معتمراً قبعةً ومعطفاً، وينتظر عند الرصيف إلى أن توقفت عربةٌ يجرها حصانٌ يحمحم ويهز برأسه نحو الأسفل. قفز السائق من العربة، وانتظر صعود السيد ويستكوت؛ ثم مضتِ العربة بعيداً، وراحت حوافر الحصان تطرق صفحة الطريق في الظلام. أين كان ذاهباً في هذا الوقت المتأخر؟

***

- لقد أهمل صانعُ الساعات السابق ربطَ زنبركاتِ ساعات الجيب، وتركها في حالة فوضى. قالت هيلينا لوالدها بعد ظهر اليوم التالي، ثم افترشتِ الأرض إلى جوار قفص أوربت واضعةً المفاتيح أمامها مرتبةً حسب حجمها، فكان بعضُها صغيراً كظفر الإبهام؛ بل يكاد لصغره أن ينزلق بسهولةٍ بين ألواح الأرضية، وهي فكرةٌ دفعتها إلى وضع قطعة قماشٍ خضراءَ فوق الألواح تحسباً لذلك؛ فماذا لو فقدا المفتاحَ الوحيدَ لساعةٍ من الساعات فما عاد بالإمكان ربطُها؟ كان غضبها من والدها يوازي ما وجدته في التعامل مع الساعات من إرهاقٍ، ولذا كان عليها أن تساعد في التأكد من عودتهما إلى منزلهما من دون أن يفقدا أياً من ممتلكاتهما.

- فضلاً؛ هلّا قمتِ بتشغيل الساعات يا هيلينا بعد ترتيب المفاتيح؟ إنه يومنا الثالث هنا، ولا يزال بعضها من دون ربطٍ منذ آخر ساعةٍ متبقيةٍ ... ولذا ينبغي إنجاز ذلك اليومَ. سأذهب إلى الغرفة المجاورة لاستبدال التروس المترابطة وحوامل أوزان الساعات. قال بعجالةٍ وتشتتٍ، ثم مضى مجدداً نحو عالمه «الآخر»؛ عالمِ الأجزاء الميكانيكية القابعةِ في مكانٍ لا يُسمح لها بدخوله، ولا تكون فيه موضعَ الترحيب.

تنهدت هيلينا وأومأت برأسها ناظرةً نحو الصبي الجالس على الكرسي المجاور للباب بينما والدُها يغادر الغرفة حاملاً صندوقَ أدواته. عضّت باطن خدها. أحان الوقت لسؤال الصبي عن سبب جلوسه بصمتٍ في غرف الساعة يومياً؟

نهضت هيلينا وسارت نحو خزانة ساعة الجيب الخشبية، وفتحت أحد أدراجها؛ فكانت أكبر الساعات موضوعةً في الجزء الخلفي من الدرج، أما الساعاتُ الأصغرُ

ففي المقدمة، وكان بعضها مصنوعاً من فضةٍ ذاتِ نقوشٍ دقيقةٍ، وبعضها ذهبيٌ ذو أغطيةٍ رُسمت على المينا فيها مناظرُ ريفيةٌ، أو زهورٌ بريةٌ رقيقةٌ. التقطت هيلينا ساعةً ذهبيةً تَصدر عنها نقراتٌ سريعةٌ ففكّت غطاءها بعنايةٍ، واختارت لها مفتاحاً بدا مناسباً فأدخلته في فتحة الربط، وأدارته دوراتٍ عدةً؛ فهل كان ذلك كافياً لإبقاء الساعة تدق؟ لم ترغب في التفكير في عواقب توقفها إذا ما توقفت. أعادتِ الغطاءَ ومنحته تلميعاً سريعاً قبل إعادته إلى الخزانة. كان في هذه الساعات شيءٌ جميلٌ ومنومٌ إلى حدٍّ ما كرهتِ الاعتراف به، وذلك بدقاتها الخفيفة العذبة، ورسوم أقراصها، ونقوش أغطيتها. ما القصص التي يمكن لهذه الساعات أن ترويها لو كان في مقدورها التحدث؟ فكرت وتساءلت كم ساعدتِ الناسَ في الوفاء والالتزام بمواعيدهم إذ هي في جيوبهم.

- أتساءل أحياناً عن الأمر ذاته أيضاً. قال صوتٌ كأنه صوتُ صغير.

دارت هيلينا وقد تسرب الدفء إلى خديها. لا بد أن انهماكها في مهمتها جعلها لا تدرك أنها فكرت بصوتٍ عالٍ؛ إلا أن المتكلمَ ... لم يكنِ الفتاةَ؛ بلِ الصبي الجالس إذ ينظر إلى هيلينا وهو يمص شفته السفلى. تجهمت هيلينا واتخذت نحوه خطوةً، ثم أخرى؛ فكان فيه ما يختلف عمن عرفت من أولادٍ في المدرسة. تفحصته بجديةٍ أكثر بقدميه الصغيرتين، وأصابعه النحيلة وهي تستريح في حضنه. إنه ... ليس صبياً على الإطلاق؛ بل فتاةً! فتاةٌ بشعر صبيٍّ وملابس صبيانٍ.

رمشت هيلينا بعينيها متفكرةً في الفتاة التي رأتها في الليلة السالفة؛ فأدركث أن لكليهما العيون ذاتها، والأنف ذاته، والشعر القصير نفسه. أيمكن أن تكونا ... نعم كانتا كذلك! إنهما الشخص ذاته. شعرت هيلينا أن الاحمرار يتسرب في خديها عميقاً. عجباً: أتحبين الساعات وساعاتِ اليد؟ سألت فزاد الدفء في خديها تغلغلاً؛ فبدا لها السؤالُ غبياً جداً؛ فلماذا اختارت شفتاها هذا السؤال من بين كل الأسئلة التي تدور في عقلها؟

- ليس كثيراً. قالتِ الفتاة - وقد أغمضت عينيها، ونظرت إلى ركبتيها، بالصوت الخافت نفسه: وخاصةً في هذه الأيام.

- فلماذا إذن تقضين كل وقتك في غرف الساعات؟ سألت هيلينا عاقدةً حاجبيها، وراحت تقضم إبهامها إذ بدت كلماتها غبيةً ... مرةً أخرى! كانتِ الأسئلة التي أرادت هيلينا طرحها ترفرف في رأسها نافدةَ الصبر؛ ومنها مثلاً لماذا تلبس الفتاةُ ملابس الصبيان في النهار؟ (وخاصةً أنها تستطيع ارتداء أجمل الفساتين بدلاً من ذلك)، ثم أين هي والدتها؟ ولماذا لا يذكر السيد ويستكوت أن له ابنةً؟

ضمتِ الفتاة شفتيها معاً من دون أن تجيب؛ ثم دفعت نفسها عن الكرسي متنهدةً، وخرجت من الباب كما لو أن حوارهما القصير لم يحدث قط.

- حسناً! لم يسر الأمر على ما يرام. قالت هيلينا، ثم انحنت لتداعب ذيل أوربت عبر قضبان قفصه؛ فشعرت بالضيق والتعرق يجتاح خديها لما لاحظت بداياتِ صغيرةً لرقعةٍ صلعاء على جبين أوربت إذ بدا أنه يقضم ريشه؛ وهو أمرٌ لم يحدث من قبل؛ ولكن أوربت لم يكن يُحتجز في قفصه لفتراتٍ طويلةٍ؛ وكانت أمها قد قالت لها فيما مضى إن انتزاع الريش يدل على مله أو إحباطه، وهنا تذكرت صراخَه في الليلة الفائتة خلال فحص الساعة. مسكينٌ أوربت! لقدِ انقلبت حياته رأساً على عقبٍ، كحالها تماماً؛ ففي منزلهم؛ كان يُسمح له أن يحوم فوق رأس والدتها وهو يصيح فرحاً؛ حتى أن أباها قال ذات يومٍ: لا بد من قص ريش ذيله، وإلا طار يوماً متجاوزاً نافذةً مفتوحةً فيكون ذا آخر عهدنا به.

- تخيل لو تم حرمانك من حقك في التحرك. هذه هي حال طائرٍ يُمنع من التحليق. ردت أمها وقد عبست حينها، وهزت رأسها بشدةٍ، فانتهى الأمر عند هذا الحد؛ إذ لم يكن والدها يجيد جدال أمها في أي شيءٍ يتعلق بببغائها المحبوب.

تنهدت هيلينا، ثم نهضت عائدةً إلى خزانة ساعات الجيب فالتقطت ساعةً فضيةً كبيرةً بحجم قبضة يدها، وفكّت غطاءها الخلفي. أين هو ثقب مفتاح الربط؟ تحسست بإصبعها أجزاءَ الساعة الداخليةَ الفضيةَ الناعمةَ. يا لها من ساعةٍ غريبةٍ! لم تعرف لربطها سبيلاً، ولذا ربتت على ظهرها بلطفٍ، ثم وضعتها على أذنها فكانت تدق بشكلٍ جيدٍ مما يعني أن صانع الساعات السابق قد سبقهم إلى ربطها، ولذا وضعتها على وجهها في الدرج، وتفصحت بأصابعها حواف الدُرج؛ فسمعت صوتَ نقرةٍ لطيفةٍ،

وأحست بمفصلٍ يُفضي إلى حيزٍ داخليٍ صغيرٍ قد وُضعَت داخله بطاقةٌ صغيرةٌ مطويةٌ. ابتلعت هيلينا لعابها، ونظرت نحو الباب. لقدِ انصرفت الفتاة منذ فترةٍ طويلةٍ. تردد صدى خطى أبيها على الأرضية أعلاه. سحبتِ البطاقةَ وفتحتها فإذا بها قد كُتب على ظاهرها: «السيد فوكس؛ صانع ساعاتٍ يدويةٍ وجداريةٍ. روز كريسنت، كامبريدج.» قلبتِ البطاقة، فحُبست أنفاسُها في صدرها لما قرأت ما كتب على قفاها:

«ستتوقف ساعاتك أيضاً،

وستخسر كل شيءٍ؛

فارحل قبل فوات الأوان.»

9

فرار أوربت

في تلك الليلة، تسربت دقاتُ الساعات ورناتها ونغماتها من الطوابق الدنيا إلى هيلينا، فراحت كل حركةٍ ميكانيكيةٍ فيها تدعوها للتقلُّب في سريرها. «ستتوقف ساعاتك أيضاً.» وهذا يعني أن ساعات السيد فوكس قد توقفت سابقاً. أحست في بطنها مغصاً ففركته عساها تحل عُقد التوتر فيه لولا أنها كانت عُقداً عنيدةً لم تتزحزح؛ فأدركت أن عليها إخبار أبيها باكتشافها المثير للقلق، إلا أنه كان عند عشاء ذلك المساء مشتتاً تماماً، وشاحباً يخربش في دفتر ملاحظاته وملعقةُ حساء البصل في فمه؛ فلما فرغ من طعامه وعاد إلى العمل على الساعات مرةً أخرى، عكفت هيلينا على إزالة أطباق المائدة، بينما تولى ستانلي غسيلها فرأت عينيه تتحولان نحو بضعِ مظاريفَ جاثمةٍ على حافة النافذة. كانت عينا ستانلي مغمورتين بالتعب حين راح يحكّهما جرّاء تأثير البصل فيهما من فوق القدر. تنهد بعمقٍ؛ بينما أدركت هيلينا ببعض الندم أن مخاوفها جعلتها تَغفل أن ستانلي قد تكون لديه هواجسه الملحة هو الآخر.

- تراسلني أمي كل أسبوعٍ لإسدائي النصائح حول خيرِ وسيلةٍ أحافظ بها على هذه الأسرة رغم استغرابها من أني أعدّ هذا الأمرَ ضرورياً؛ أما والدي فيرى أنه لا ينبغي لي أن أبقى هنا على الإطلاق، ولا يفتأ يسألني متى أعود لتولي منصب متدربٍ.» قال ستانلي لها بعد أن تحول عنِ النظر إلى الظروف.

- أوه! قالت هيلينا.

- والدي مهندسٌ إنْ كنتِ تعلمين. تابع ستانلي: وقد بدأ مسيرته متدرباً في ورشةٍ، أما الآن فيعمل مع السيد أوستن ... وهو رجل يصمم السيارات ويصنعها؛ ولذا فإن أبي يرى أن عليّ أن أتبع نهجه ذاته، لا أن أكون هنا في كامبريدج مع كل كتبي تلك. كان أبي يساعد السيد أوستن في العثور على مكانٍ يقيم فيه مصنعاً جديداً ... فلما وجد له مكاناً ودّ لو أعمل فيه.

- يا إلهي! أيظن والدك والسيد أوستن أن شعبية هذه السيارات ستزداد؟ سألت هيلينا متفكرةً في ارتفاع عدد المركبات التي باتت تراها في طرقات في لندن، والتي يرى والدها أنها اختراعٌ رائعٌ، وغالباً ما يذكر هيلينا بمدى حماسته أن لاقى قانون السير لعام 1896 الاستحسانَ، إذ سمح للمركبات بزيادة سرعتها من اثنين إلى أربعة عشر ميلاً في الساعة داخل المدن؛ أما هيلينا فكانت ترى أن هذه الآلات صاخبةٌ ومرهقةٌ (وكثيراً ما تُشاهدها منتشرةً على جانب الطرقات)، وكانت تفضل صوت حوافر الخيول فوق الحصى على اهتزازات العجلات وعويل الفرامل.

- نعم. إن شعبية السيارات تزداد رواجاً يوماً بعد يومٍ. قال ستانلي: يقول السيد أوستن إن هناك حوالي عشرين ألفاً منها على طرق البلاد الآن، وقد يكون هناك أربعة أضعاف ذلك العدد في السنوات الخمس المقبلة؛ لكني لا أريد العمل متدرباً؛ فهنالك الكثير مما أرغب في تعلمه عن الهندسة؛ أشياء لا يمكنني تعلمها في ورشةٍ. كان في مدرستي مدرسٌ أقنع والديّ أن عليّ أن أحاول تحصيل منحةٍ دراسيةٍ لطلاب المدرسة الثانوية؛ واتضح لوالدي إني بارع في التعلم، والآن، ها أنا ذا هنا.

- وأنت الآن تعمل هنا مدرساً؟ سألت هيلينا أملاً في أن يخبرها بالمزيد عن الفتاة والدروس التي كان يعطيها لها.

- رأيت إعلان الآنسة ويستكوت عن حاجتها لمدرسٍ في صحيفة التايمز. قال ستانلي مومئاً: وأثناء المقابلة؛ رأيتُ مجموعة من كتب السيد ويستكوت الأكاديمية التي خلتُ أنها قد تساعدني في تعليمي الخاص، وأن هذا قد يسمح لي بتوفير بعض المال أيضاً؛ فقبلت المنصب بكل سرورٍ، لكن الأمور اتخذت منحىً غيرَ متوقَّعٍ لم أتخيله.

- أوه! أتفهم ذلك! قالت هيلينا وهي تزيل عنِ المائدة الفتاتَ. هذا يفسر وجود كتاب الرياضيات في المطبخ؛ إذ كان ستانلي يدرّس الفتاةَ، ويَدرُس في الوقت نفسه؛ هذا فضلاً عن واجباته حيال أسرة بأكملها وحده. لقد بدا كل ذلك ظلماً بطريقةٍ ما.

***

لما استسلمت هيلينا لفرار النوم من عينيها في تلك الليلة، تركت سريرها، وارتدت جورييها الصوفيين وسترتها. ضحك أوربت من تحت القماش؛ فرفعته وألقت عليه نظرةً خاطفةً.

- الأم تحب هيلينا. الأم تحب هيلينا. جاء صوت أوربت لطيفاً كتساقط الثلوج. «طائرٌ جميلٌ! طائرٌ جميلٌ! أنت طائرٌ جميلٌ! جميلٌ!» استطرد وهو يمسح رأسه ويضحك ضحكة أمها المشرقة المتناثرة كشلالٍ يتصبب من ينبوعٍ.

ومضت في رأسها ذكرى ... يومِ نزهةٍ لالتقاط الفراولة؛ إذ تلطخت شفتا أمها باللون الأحمر فضحكت بينما تغرب الشمس وراءهما.

- اضحك مرةً أخرى يا أوربت. أرجوك! قالت هيلينا بلسانٍ شعرت أنه لانتفاخه يفوق فمها. «اضحك مرة أخرى!» أضافت وقد تمسكت بقضبان قفصه، وأغلقت عينيها، وراحت تتخيل أمها راكعةً إلى جوارها، وقدِ ارتدت ثوب الدانتيل الفاتح، بينما يضوع منها عبيرُ الخزامى والأمل. أطرقت برأسها، ومسحت دمعةً تسللت فوق خدها، ثم رددن: «اضحك مرةً أخرى يا أوربت! أرجوك أيها الطائر الجميل.» لكن انتباه أوربت كان منصرفاً إلى المرآة التي ينقر عليها مراراً وتكراراً حتى ملأ الغرفة نقراً. لم تكن هيلينا تعرف متى سيحاكي أوربت ضحكة أمها مجدداً؛ فقد يقضي أسابيع يُنشد أغنياتِ الأطفال التي علمته إياها أمها، أو يثرثر بأي هراءٍ كان قبل أن يبعث ذات يومٍ لا ريبَ فيه بتقليد ضحكة أمها رعشةً خفيةً تسري في أوصالها. لقدِ اعتاد والد هيلينا مشاهدة تشنُّج فمها في الأيام والأسابيع التي تلت وفاة أمها، وذلك حين كانت هيلينا تجلس أمام قفص أوربت منتظرةً منه تقليدَ مَن تود لو أن لها أن تحدثها. لقد بدا لها رحيل أمها كدوامة ابتلعت في بؤرتها كل سعادةٍ كانت من المنزل، فكان أوربت الوحيدَ القادرَ على أن يعيد ربع تلك السعادة أدراجها.

سمعت هيلينا سعال أبيها القريب، ثم تلاه صريرُ السرير. لم يكن في نيتها أن تزعجه، لذلك كان يجب أن تمنع أوربت من اللعب بالمرآة. فتحت باب القفص الصغيرَ فأخرجته واحتضنته في يديها، ثم دسته داخل سترتها الصوفية فأغلقت أزرارها إلى أن لم يبق منه إلا رأسه مُطلّاً من ياقتها. كانت أمها تفعل ذلك أحياناً؛ وذلك إذا ما

كان مضطرباً فأرادت تهدئته معتقدةً أن لنبض قلبها صوتاً مهدئاً، ثم كانت تأخذه في نزهةٍ قصيرةٍ على طول الممر إلى أن يستقر اضطرابُه.

تسللت هيلينا من غرفتها متجاهلةً الظلال والزوايا الداكنة، تاركةً أوربت يقف على إصبعها (الذي كان يقضمه، ولكنه يبقيه هادئاً على الأقل)؛ ثم وقفت عند أعلى الدرج تستمع لطنين الساعات المتواصل المنجرف إلى أقاصي الممرات. سمعت أدناها سعالاً مخنوقاً، فنظرت من فوق الدرابزين لتسمع صريرَ بابٍ أيضاً؛ فتحولت إلى غرفة أبيها أسفلَ الممر؛ لكن الأصوات خبت، وكان الممر الآخر هادئاً جداً. أخذت نفساً عميقاً ثم قصدتِ الدرج لتتوقف عند الدرجة السفلى منه. ضوءٌ ما ... كان قادماً من غرفة الساعة الطويلة. تسللت هيلينا نحو الباب؛ فإذا بصوت أنفاسٍ سريعةٍ غاضبةٍ تنبعث من داخله: «حبيبتي إيفانجلين. «بُنيّ الصبيّ».» قال الصوتُ.

انكمشت هيلينا مجدداً في الظلال. إنه صوت السيد ويستكوت.

- هل سيحدث مجدداً؟ ساعاتي ... أخشى أني سأغرق تحت وطأة إبقائها تدق.

تلوّى أوربت وأطلق ضحكةً صغيرةً بالتزامن مع انطلاق رنين الساعات معلنةً نصف الساعة؛ فتجمدت قدما هيلينا فوق ألواح الأرضية. أثراها الساعاتُ تغطي تسكع هيلينا في أرجاء منزل السيد ويستكوت ليلاً لتسمع ما لا ينبغي لها سماعه؟

- ساعاتي ... ساعاتي ... تدق دائماً. لا يمكن أن يحصل ذلك ... لأن ذلك سيفتح كل أبواب الفظاعة ... تمتم السيد ويستكوت.

أحست هيلينا بشيءٍ يمَسُّ كمَّ سترتها، فهمَّت بالصراخ من وطأة الصدمة. إنها الفتاة تقف أمامها في ثوب النوم القطني الأبيض الطويل ... كانت عيناها واسعتين جامحتين كسماءٍ عاصفةٍ متلبدةٍ، أما شعرها القصير فمنتصبٌ ذو قمم مدببةٍ. سحبت كُمَّ هيلينا مجدداً واضعةً على شفتيها إصبعها تحثها على الهدوء، ثم أشارت إلى بابٍ مغلقٍ غير بعيدٍ عن مكان وقوفهما.

ضحك أوربت مرةً أخرى.

وبينما هيلينا والفتاة تقفان مصغيتين، بدا أن رنين الساعات ودقاتها قد خبت؛

فرقّت شفتا الفتاة التي أخذت بيد هيلينا تجرها نحو أسفل الممر.

***

وقفت هيلينا والفتاة في صمت في غرفة الساعة ذات الهيكل المكشوف، فكانت معدّاتُها النحاسية تعكس خلف واجهاتها الزجاجية ضوء القمر المتسرب إليها من فجوات ستائرَ ثقيلةٍ امتزج فيها اللون الأزرق بلون الزبدة.

ضمت هيلينا أوربت إلى صدرها متجاهلةً نقراتِه المؤلمةَ المتزايدةَ لإصبعها.

وضعتِ الفتاة أذنها اليمنى على الباب فانهالت من شعرها خصلةٌ فوق خدها. «لقد رحل الآن.» قالت همساً بصوتٍ متقطعٍ كما لو كان يحتاج ترطيبَه إلى واحدٍ من زيوت الساعات التي يستخدمها والد هيلينا.

- هلِ السيد ويستكوت ... هو والدك؟ همست لها هيلينا.

هزتِ الفتاة بوقارٍ أنْ نعم.

- أنا هيلينا. همست هيلينا معتقدةً أنها تعرف ذلك من خلال سماعها محادثاتها مع أبيها في غرف الساعة.

- أنا بوي . همستِ الفتاة وهي تعبث بزرٍّ في نهاية قميص نومها.

إنه الاسم الذي أطلقه عليها السيد ويستكوت في غرفة الساعة.

- لكنه ... ليس اسماً. قالت هيلينا مقطّبةً أنفها؛ لكن الفتاة بدت لها بوقوفها هنالك حافيةً بثوب نومها الطويل كفتاةٍ إلى حدٍّ كبيرٍ، فتساءلت هيلينا «كيف لها أن تظن خلافَ ذلك».

- حسناً، هذا هو اسمي. همست بوي بحدةٍ، لكن عينيها رقّتا لمّا نظرت إلى أوربت الذي كان يتلوى ويتلوى داخل سترة هيلينا. ربما كان ببغاؤها حسن التصرف حينها، لكن هيلينا تعلمت فيما مضى ألا تثق كثيراً في ببغاء الأمازون الأزرق.

- «مه!» همست هيلينا لأوربت لمّا أطلّ برأسه لينقر ذراعها. «أوه! من فضلك

أوربت... أحسِنِ التصرفَ. سأعيدك إلى قفصك في الأعلى خلال دقيقةٍ واحدةٍ.» لكنها لم تكنِ الكلماتِ التي ود أوربت سماعها؛ ولذا فقد فك بحركةٍ قويةٍ واحدةٍ أحد أزرار سترة هيلينا، وراح يدب طول ألواح الأرضية قبل أن يَخفق بجناحيه خفقاً قوياً بلغ به السقفَ، فحفَّ بقمة ساعةٍ هيكليةٍ نحاسيةٍ طويلةٍ ونفيسة جداً كما يبدو؛ فحدقت هيلينا بفزعٍ في طائرها الثمين إلى أن بلغ نبض قلبها شحمتَي أذنيها؛ وذلك أن أوربت إذا ما عطّل أياً من تلك الساعات كُلفت هي ووالدها بحزم متاعهما ... قبل أن يُلقيَ السيد ويستكوت بهما بعيداً.

10

بوي

- لا. همست هيلينا. «يا إلهي ... أوربا؛ انزل في الحال.»

لكن أوربت تجاهل هيلينا؛ ولماذا يختار طاعتها بعدما تمكن أخيراً من فرد جناحيه والشعور باندفاع الهواء بين ريشاته؟ انقض أوربت فارتطمت أجنحته بقبةٍ زجاجيةٍ أخرى للساعة التي اهتزت وترنحت.

- «حذارِ!» همست هيلينا.

راح أوربت يطير في دوائرَ تُزيغ الأبصار، وتردد صدى صيحات رضاه الصغيرة في جميع أرجاء الغرفة.

- أرجوك انزل يا أوربت! ستسبب لنا مشكلات جمةً. أمرته هيلينا بهمسٍ صارمٍ.

كانت بوي واقفةً وظهرُها إلى الباب بينما اتسعت عيناها بهجةً، وانصرف رأسُها جرّاء المشهد أعلاه كما لو أنها تشاهد أعظم أداءٍ لسيركٍ على الإطلاق.

سُمع صوت ارتطامٍ عالٍ، وخدش مخالب.

تغلغل الرعبُ في أوصال هيلينا تغلغل أشجار الكرمة. حطّ أوربت على واحد من الرفوف المثبتة في جدران الغرفة، وكان خشبه لشدة صقله شديدَ اللمعان، ولذا راحت مخالبه تصدر طقطقةً خلال مسيره على طول ذلك الرف فيثني رقبته أحياناً لنقر الساعات الموضوعة على الرف.

- أوه! لا. قالت هيلينا بصوتٍ لاهثٍ مختنقٍ: بوي ... ساعديني رجاءً! إنّ أضر أوربت بالساعات ...

هبّت بوي بلمح البصر لتقف أمام الرف، ومدت ذراعها الأيمن كما لو تتوقع من أوربت أن يطير فيحط على يدها.

حدق أوربت في بوي بنظرةٍ متعجرفةٍ، وواصل النقر على الواجهة الزجاجية

للساعة.

- لن ينزل من تلقاء نفسه. نحن بحاجةٍ إلى شيءٍ نقف عليه حتى نتمكن من إمساكه. همست هيلينا واثقةً أن القبة قد تحطم في أية لحظةٍ فتتناثر على الأرض ملايين القطع الزجاجية الشبيهة بالجليد.

استدارت بوي وهرولت نحو إلى الباب؛ فخالت هيلينا للحظةٍ أنها ستستدعي أباها لمساعدتها؛ لكنها بدلاً من ذلك التقطتِ الكرسي الخشبي المجاورَ للباب فحملته نحو الرف. دنت هيلينا منها، لكن بوي كانت قدِ ارتقت الكرسي.

- أوربت لا يعرفك؛ فكوني حذرةً، لأنه لا يحب الغرباء أحياناً ... قالت هيلينا حين توقف أوربت عن نقر القبة الزجاجية، وراح يتسكع على طول الرف مصدراً بقدميه نقراً إلى أن غدا على مستوى نظر بوي.

- مرحباً؛ مرحباً؛ مرحباً! جاك وجيل صعدا قمة التل! قال أوربت مغرغراً مميلاً رأسه.

مدت بوي يدها فانتبهت هيلينا إلى أنها كانت ترتجف. قفز أوربت على معصم بوي ومشى على ذراعها ليجد في ثوب نومها لمسةً استكشافيةً. نزلت بوي عنِ الكرسي ثم جثمت فمدت هيلينا يدها ببطءٍ لتضم أوربت الذي لم يقاوم، بلِ اكتفى بنقر أصابعها بمودةٍ.

- شكراً لك! قالت هيلينا وقد غمرها الارتياح، فافترشت الأرضَ، وراحت تقبّل أوربت محتضنةً إياه بينما قلبه الصغير ينبض فوق راحتيها.

تورد عنق بوي فابتسمت لها هيلينا ابتسامةً صغيرةً كابتسامة متآمرَين قد علما أن سرهما في مأمنٍ.

- لماذا سُمي طائرك أوربت؟ سألت بوي بصوتٍ رقيقٍ، ثم لعقت شفتيها وانتظرت.

- أمي هي من أسمته كذلك. قالت هيلينا بهدوءٍ بينما هي تسمع أنفاس بوي القصيرة السريعة المترقبة، فنظرت إليها منتظرةً أن تكمل: وقالت ... أنه حين كان

يطير كان يطوف بها طوفانَ الأرض في فلك الشمس.

أطرقت بوي برأسها مبتسمةً كما لو أن التفسير أسعدها.

- لماذا أسموكِ بوي؟ ولماذا ترتدين زي الصبيان؟ وهل أنتِ من يرسم صور الآلات الطائرة، ويعلقها على الجدران ... ومن أهدى أوربت تلك الهدية؟ و ... لماذا والدك ... مهووس بالساعات؟ قالت هيلينا إذ تمايل أوربت بين يديها وتطايرتِ الكلمات داخلها كالفقاعات، ثم توقفت وأخذت نفساً مرتعشاً لما أدركت أنها أمطرت بوي بوابلٍ من الأسئلة.

- كان لأمي ذات يومٍ طائرٌ. قالت بوي مداعبةً غُرف أوربت. وكان اسمه ماكسيميليان فخلتُ أن أوربت سيفرح بالمرآة التي راح يلعب بها. محزنٌ قول أبي أن عليه أن يظل حبيسَ قفصه اليومَ بطوله.

- فأين أمك الآن؟ سألت هيلينا بحذرٍ إذ لم تكن ترغب في إخافة بوي وإحراجها كالمرة السابقة، لكنها في الوقت ذاته في حاجةٍ لبعض الإجابات على الألغاز التي تتوارى في أركان المنزل.

- إنها في فرنسا منذ أكتوبر الماضي. قالت بوي بهدوءٍ.

- هل تقصدين أنها ... في إجازةٍ مثلاً؟ سألت هيلينا إذ لفتها طول غيابها عن عائلتها.

راحت عينا بوي تتلبدان دمعا.

- أنا آسفةٌ. إني أُكثِر من الأسئلة. أليس كذلك؟ لو كان أبي هنا لوبخني ربما جداً لعدم تحرّي التهذيب. قالت هيلينا.

حدّقت بوي في هيلينا للحظةٍ كالمتفكرة فيما قالته تواً.

- أعتقد أن غياب أمك محزنٌ جداً. أظنك تفتقدينها. قالت هيلينا.

- أفتقدها جداً. قالت بوي مداعبةً بلطفٍ ريش ذيل أوربت: فأين أمك؟

- أوه! ... إنها ... ممم ... لقد ماتت. قالت هيلينا.

اتسعت عينا بوي.

- «لكني بخيرٍ ... حقيقةً؛ فقد مر عام تقريباً على موتها، وأكاد أعتاد ذلك.»

ألقت بوي على هيلينا نظرةً من لم يصدق ضامةً شفتيها معاً.

- حسناً! في الواقع، لستُ بخيرٍ إطلاقاً؛ فأنا أفتقدها ... في كل يومٍ، بل أعجز في بعض الأحيان عنِ التفكير في سواها. تنهدت هيلينا مبتلعةً رضابها: لكن عزائي أن أوربت لا يفتأ يذكرني بها، كما أن أبي ما زال معي رغم قضائه وقتاً أطول في ورشة الساعات الخاصة به مقارنةً بما يقضيه من وقتٍ معي في المنزل.

- أبوانا متشابهان إذن. قالت بوي بكآبةٍ.

- ممم! ... ربما. قالت هيلينا معتقدةً أن والديهما مختلفان تماماً، وأنها ما كانت لترغب في استبدال والد بوي ذي العيون الباردة بأبيها ولو بعد مليون سنةٍ أو تزيد.

- يقضي والدي معظم وقته في شركة الطباعة الخاصة به. قالت بوي وهي تدس ركبتيها تحت ثوبها وتلف ذراعيها حولهما، عندما يكون في المنزل ... يظل منهمكاً مشتتاً بسبب الساعات.

فكرت هيلينا في أمسيات لندن الطويلة التي كان يقضيها أبوها في العمل فلا يعود أحياناً إلا بعدما أن تكون قد هجعت وأوربت بمدةٍ. ربما كان أبواهما أكثر شبهاً ببعضهما مما ظنت.

- كنا نستخدم تلك الغرفة ذات الساعة الهيكلية كمكتبةٍ. قالت بوي وقد نهضت فجأةً وأسبلت ذراعيها ثم التفتت من فورها: كنا نلعب جميعاً فيها ألعاب الطاولة مساءً أمام النار المتوهجة فيضحك أبي وأمي عند ذلك.

- هل ستكونين في غرف الساعة غداً؟ سألت هيلينا لما أثارت بوي مزيداً من اهتمامها إلى حد ما فرغبت في التعرف إليها بشكلٍ أفضل.

- هل ستكونين هنالك؟ سألت بوي بإيماءةٍ مبتسمةً لهيلينا ابتسامةً خجلى.

- نعم. أجابت هيلينا بابتسامةٍ دافئةٍ: حسناً! أرى أن أعيد أوربت إلى قفصه قبل أن يتسبب بمشكلات أخرى. أضافت؛ ولما غادرتا الغرفة حدقت هيلينا في المدفأة المتثائبة، والجدران والأرضيات العارية، والساعات التي تدق بلا هوادةٍ فكان من الصعب أن نتخيل أن تلك الغرفة كانت ذات يومٍ تنضح ضحكاً وسعادةً؛ ولذا أيقنت أن السيد ويستكوت وعائلته قد مرا بخطبٍ جللٍ أوى بحالهم إلى ما هي عليه الآن.

11

أجزاء الساعة

نظرت هيلينا مجدداً نحو الكرسي المجاور لباب غرفة ساعات الجيب؛ لكن بوي لم تأتِ إلى أيٍّ من غرف الساعة في ذلك الصباح؛ وكانت قد تمنت لهلينا ليلةً طيبةً أمس في أعلى الدرج، وعادت إلى غرفتها فحفظت هيلينا في ذهنها البابَ الذي توارت خلفه. أيُّ اسمٍ غريبٍ هو اسمُ بوي! عجيبٌ أيضاً أن تكون أمها في فرنسا؛ فهل يفسر غياب زوجة السيد ويستكوت حزنه واضطرابه كميزانٍ وُضعت أوزانٌ كثيرةٌ في جانبٍ واحدٍ من دماغه؟ ربما كان لبوي عينا أبيها الصغيرتان الحزينتان الزرقاوان الياقوتيتان؛ إلا أن هيلينا اعتقدت أنهما لم تكونا كذلك دائماً؛ ولها أن تتخيل الجلد عند حوافها إذ يتجعد عند الضحك المتكرر. ربما يمكنها المساعدة في رسم ابتسامةٍ على وجه بوي، وسيكون من الجميل أن تحظى بصديقةٍ تتحدث إليها في هذا المنزل الغريب.

- هيلينا ... تعالي بسرعةٍ! صاح والدها لاهثاً من الجانب الآخر للغرفة لمّا سقطت كماشة ساعته من يده أرضاً محدثةً جلبة وارتطاماً مسموعاً.

نحّت هيلينا بوي من تفكيرها، والتفتت بلهفةٍ لرؤية أبيها واقفاً منحنياً فوق الطاولة. لعله وجد رسالةً أخرى من السيد فوكس.

- انظري إلى هذا المؤقّت البحري الأروع. قال مشيراً إليها.

- مؤقت. كررت هيلينا وقد تباطأت نبضاتُ قلبها إلى نبضاتٍ أكثر ثباتاً.

- لقد كانت مخبأً أسفل الخزانة، وهو نسخةٌ أصليةٌ من صنع جون هاريسون نفسه. كنتُ أعلم أن عائلة هاريسون قد باعت هذه القطعة الفريدة في مزادٍ علنيٍّ، أما أن أراها هنا ... في هذا المنزل ... حسناً.» قال والدها وعيناه مغرورقتان.

- إنه ... جميلٌ! قالت هيلينا وهي تهز كتفيها وقد تغضن أنفها، كان صوت أبيها مشحوناً بالعاطفة، فنظرت إلى ما لفت انتباهه فإذا بها ساعةٌ وُضعت في صندوقٍ

خشبيٌ عاديٌ، وبدت كساعةِ جيبٍ فضيةٍ يملكها عملاقٌ من العمالقة. لا ريبَ أنها بدت عاديةً جداً مقارنةً ببعض ساعات السيد ويستكوت الفاخرة الأخرى.

- جميلٌ؟» قال والدها بنبرة المستنكِر غيرِ المصدق. «ألا تذكرين أني أخبرتك ذات مرةٍ كيف حل هاريسون لغز اكتشاف موقع سفينةٍ ما في البحر بالنسبة إلى خط الطول ... وموقعها من الشرق أو الغرب؟

هزت هيلينا رأسها، فقد روى لها والدها قصصاً كثيرةً عن الساعات وساعات اليد على مر السنين، إلا أن تلك القصص راحت تتلاشى مثل حبات مطرٍ تغلغلت بين الحصى في يومٍ دافئٍ.

- لقد مات آلاف البحارة قبل اختراع هذا الجهاز. تابع والدها بحماس: كان مصير سفنهم أن تتحطمَ على الصخور إلى قطعٍ صغيرةٍ، أو تتعرض إلى هجوم القراصنة لأنهم لم يكونوا يستطيعون معرفة مواقعهم بدقةٍ. أضاف وارتدى قفازين قطنيين ليمسك بالساعة كما لو أنها هشةٌ قد تتفكك بين يديه في أية لحظةٍ. «اسمعي!» قال وهو يضعه على أذن هيلينا. «ماذا تسمعين؟»

تيك ... تيك ... تيك ... تيك ... تيك ... تيك ... تيك ... تيك ... تيك ...

- إنها آليةٌ سريعةٌ؛ بل لعلها أسرع من كل الساعات الأخرى. قالت هيلينا وهي تنظر إلى الساعة بدهشةٍ.

- نعم. قال والدها مبتسماً: إنها تدق على وجه الدقة خمسَ مراتٍ في الثانية الواحدة، وهذا ما يجعلها قادرةً على إعطاء الوقت الدقيق في البحر. لقد غيرتِ الآليةُ الموجودة داخل هذا الكرونومتر العالمَ، وجعلت من جون هاريسون رجلاً ثرياً إذ نال النصيبَ الأوفى من الجائزة الكبرى التي قدمها البرلمان عام 1714 لأول شخصٍ يحل معضلة خطوط الطول، وما كان لذلك الحدث إلا أن يحظى بضجةٍ كبيرةٍ، ويغدوَ قصةً تُروى فيما بعد.

«يا له من أمرٍ مذهلٍ!» قالت هيلينا في نفسها محفزةً ذهنها على الإصغاء إلى قصص أبيها بعنايةٍ أكبر في قادم الأيام؛ فمن العجيب فعلاً أن يكون في مقدور

ساعة أن تغير العالم بهذه الطريقة. نظرت إلى خزانة ساعات الجيب وفكرت مرةً أخرى في رسالة السيد فوكس المخفية. يبدو أن لبعض ساعات هذا المنزل قصصاً مثيرةً ترويها.

- هل يمكنك بلوغ زنبرك هذه الساعة وإعادة توصيله؟ فأصابعك أصغر من أصابعي. سأل والدها بعدما أعاد الكرونومتر إلى الخزانة، وفتح دُرجاً طويلاً التقط منه إحدى ساعات الجيب.

انحنت هيلينا فوق تروسها ومسنناتها فبلغت داخلها، وأعادت تثبيت السلسلة بتؤدةٍ.

- أحسنتِ. أنت سريعةٌ في التقاط الأشياء، ويسعدني ما تبدينه من اهتمامٍ، يا هيلينا. قال والدها وهو يتفحصها عن كثبٍ مومئاً لها برأسه برضىً.

رغم غضب هيلينا المستمر إزاء والدها، إلا أن وهجَ رضىً صغيراً سرى متسللاً بين جوانحها.

- أنا مضطرٌ إلى الخروج لفترةٍ قصيرةٍ. قال والدها وهو يغلق غطاء الساعة الخلفي. فعليَّ جلب بعض الأجزاء الميكانيكية والزنبركات من متجرٍ في شارع ريجنت.

- يمكنني الذهاب إلى هناك نيابةً عنك. قالت هيلينا بلهفةٍ.

- حسناً! لكني لستُ متأكداً ما إذا كان ذهابك إلى كامبريدج وحدك فكرةً جيدةً! أجاب والدها.

- من فضلك يا أبي. أعدك أن أعود سريعاً، فإني أريد أن أرى المدينة.

مسح والد هيلينا على لحيته، ونظر إلى النافذة والشمس التي تكافح في سبيل اختراق سحابةٍ تزحف على ارتفاعٍ منخفضٍ.

- نحن هنا منذ ثلاثة أيامٍ، وسيكون من الجميل أن أستنشق بعض الهواء النقي، ثم يمكنني إكمال واجب الملاحظات التي طلبت مني الآنسة جاكوبس إنجازها خلال غيابي عن المدرسة. قالت هيلينا راجيةً أن يؤدي كلامها هذا إلى حل المشكلة،

فلطالما كان والدها شديدَ الاهتمام بمواصلة هيلينا لدراستها رغم جهلها في الغالب بما قد تمنحها إياه دروسُها من مهاراتٍ تحتاج إليها لبلوغ الرشد والنضوج؛ فدروس الملاحظات تُفرَض عليهم نهايةَ كل يومٍ دراسيّ، وهي دروس تقوم على تدوين ما يمكنهم رؤيته خارج نوافذ المدرسة؛ وهو عملٌ مملٌّ، إذ لا تتباين الملاحظات المدونة كثيراً إلا عند تغير الطقس.

- حسناً! ربما يستطيع ستانلي أن يدلّك ... رد والدها وقد بدا أكثر اقتناعاً بقليلٍ.

- نعم! قالت هيلينا وهي تلتقط قفص أوربت: سأقصده لأطلب منه ذلك فوراً.

- شكراً لك. سيمنحني ذلك بعضَ الوقت للعمل على هذه الساعات. قال والدها وقدِ ابتسم بضجرٍ فلاحظت هيلينا بفزعٍ اللطخات الداكنة تحت عينيه.

ردت هيلينا على ابتسامته بابتسامةٍ، واجترعت حرقة الذنب الصغير؛ ورغم ما أسعدها من مدح أبيها، إلا أن ذهنها لم يكن في ذلك الصباح مشغولاً سوى بشيءٍ واحدٍ ... هو الرسالة الموجودة على بطاقة السيد فوكس، وهي فرصتها لزيارة متجره؛ روز كريسنت، لتفهم تماماً ما تعنيه الرسالة المخبأة في ساعة الجيب.

12

كامبريدج

أخذت هيلينا نفساً عميقاً من الهواء بينما هي تتخذ شارع ترومبيتنجتون قاصدةً متجر السيد فوكس في شارع روز كريسنت. بدتِ البطاقة التي اكتشفتها مخبأةً داخل الساعة، والتي تحمل رسالتها الغريبة، كحجرٍ ساخنٍ في جيب تنورتها. اهتزت فوق كتفها الحقيبةُ القماشية ذات الرباط فتمتمت: «اسكت يا أوربت!» كانت أمها قد صنعت تلك الحقيبة خصيصاً لببغائها فقامت بتبطينها بقماشٍ مخمليٍّ ناعمٍ أزرقِ اللون داكنٍ، كما حرصت على اقتصاص قطعٍ منتظمةٍ في قماشها للتهوية (وكي يتمكن أوربت من إخراج رأسه ومشاهدة العالم من حوله ... وهو أمرٌ يحب القيام به في شوارع لندن)، ثم إنه غدا مألوفاً لأصحاب المحلات التجارية المحلية هناك إذ ترى الناس يتوقفون للاستفسار عن صحته ويحثونه على التحدث والغناء. مذ قرأت هيلينا رسالة التحذير التي أرسلها السيد فوكس، أدركت أنها لا تستطيع ترك أوربت بمفرده في منزل السيد ويستكوت ... حتى لو وعدها والدها بالإشراف عليه. ربما كان الهواء النقي بمنزلة تغييرٍ يتلقاه ببغاؤها بالترحيب فيمنعه من مضغ ريشه الذي كان يتساقط في قاع قفصه بانتظامٍ مقلقٍ خلال اليوم الماضي.

- «هيكوري ... ديكوري ...» صاح أوربت بمرور رجلين على دراجتين يرتديان ستراتٍ مخططةً خطوطاً كقصب الحلوى، وينظران إليه ضاحكين، وقد رفعا قبعتيهما المصنوعتين من القش تحيةً لهيلينا، ثم واصلا سبيلهما.

تلطخت أطراف ثوب هيلينا في المياه المتدفقة بسرعةٍ من مصرفٍ مفتوحٍ في أثناء عبورها الشارع، وكان اليوم مملاً يحجب ضبابه ضوء الشمس، ويحمل البرد في هوائه؛ إلا أن كتفي هيلينا استقاما رغم ذلك بارتياحٍ لوجودها في الخارج بعدما ظلت عالقةً داخل منزل السيد ويستكوت القاتم.

ألقت نظرةً خاطفةً على خريطة ستانلي المرسومة على عجلٍ، فكان عليها أن تواصل المسير في ذات الشارع مروراً بكلية بيترهاوس وكلية كنيسة كينغز لتصل

إلى ساحة السوق؛ ولما سألت هيلينا ستانلي عن كيفية التعرف إلى المكان المنشود أجابها ببساطةٍ:

- كلية كنيسة كينغز لا تحتاج إلى دليلٍ ووصفٍ يا هيلينا؛ وستعرفينها حالما ترينها.

- أقول ... هل تعلم أن غرفتي في كلية كنيسة كينغز تقع إلى جوار غرفة تشارلز داروين القديمة؟ قال شابٌّ (بدا كمن ابتلع ثمرة برقوقٍ) وكان متكئاً على درابزين كلية بيترهاوس: وقد رأيتُ له بعض مجموعات الخنفساء ... فكانت استثنائيةً إلى حدٍّ ما.

- «سمعتُ ابنه جورج يلقي محاضرةً فلكيةً في الفصل الدراسي الماضي ... كان شاباً رائعاً. أجاب صديقه لما مرت هيلينا على مقربة منه: الفلك ... علم النبات ... فهناك الكثير مما يجب تعلمه في هذا العالم إذن، ويبدو أنه المكان المناسب لذلك.

كان هنالك ممرٌّ كبيرٌ ذو أعمدةٍ حجريةٍ يحفّ مدخل بيترهاوس، فتوقفت لترى كنيسةً صغيرةً من خلفها فِناءٌ، وكان المكان ينعم بجوٍّ من هدوءٍ وسكينةٍ وخصوصيةٍ، وبدا مكاناً مختلفاً تماماً عن ضواحي لندن إذ يلعب الأطفال بالحبال في جادتها، وتتجاذب الأمهات من فوق أسوار حدائقهن أطرافَ الأحاديث في أثناء نشر الغسيل.

كانت هيلينا تشرب بشراهةٍ خلال مسيرها، وكان متجر الخياط الأنيق يعرض العباءاتِ السود وقبعاتِ الخريجين التي رأتِ الطلابَ يرتدونها وهم يهرعون بين المباني؛ كما شاهدت حصاناً يجر حافلةً رُسم على ألواح سطحها العلوي إعلانٌ لصابونٍ وفحمٍ، ورأت عرباتٍ تؤجّر لحفلات الزفاف والجنائز. نهض رجلٌ بقبعةٍ أنيقةٍ على سطح العربة وأشار إلى الشارع فاتبعت هيلينا موضع نظره. لا بد أنه لم يكن يشير سوى إلى شيءٍ واحدٍ: إنه المبنى الحجري الضخم ذو اللون البرتقالي بنوافذه ذات الزجاج الملون. تقدمت هيلينا مسرعةً إلى أن بلغت كوكبةً صغيرةً من المتاجر، فتوقفت تحت إحدى مظلاتها، وراحت تحدق في كلية كنيسة كينغز. ربما كان في لندن مبانٍ رائعةٌ ... منها كاتدرائية القديس بولص، ومجلسا البرلمان؛ ولكن هذا المبنى كان مختلفاً فعلاً؛ فقد جعلتها قممه وأبراجه ونوافذه اللامعة التي تبلغ

الضباب تقشعر وتشعر بالدوار قليلاً. صادفت ثلة شاباتٍ ثرثاراتٍ يحملن رزماً من الكتب فدفعنها بعيداً عن أحلام يقظتها.

- كلهم سقطوا ... كلهم سقطوا ... صاح أوربت.

- أوه! ببغاء! قالت امرأةٌ طويلةٌ ذاتُ شعرٍ متموجٍ، وأسنانٍ مستقيمةٍ جداً: يا لجلاله!

- هيا يا إستير. قالت أخرى: علينا إعادة هذه الكتب إلى المكتبة.

لوحت إستير لهيلينا سريعاً، وركضت خلف صديقتها.

حدقت هيلينا فيهما، وتذكرتِ المقال الذي قرأته أمها في الجريدة بصوتٍ عالٍ العام الماضي. رغم السماح للنساء بالدراسة في جامعة كامبريدج وتعلم أشياء منها العلومُ الطبيعية والجيولوجيا، تماماً كحال تشارلز داروين، إلا أنه لم يكن يُسمح لهن بنيل شهادةٍ جامعيةٍ في نهاية دراستهن. «كم هذا فظيعٌ!» قالت هيلينا لنفسها بكآبةٍ بينما هي تمص قطرة كمثرى، وتداعب أوربت.

- مؤسفٌ ألا يتساوى الرجال بالنساء. قالت أمها حينها. «هيلينا فتاةٌ ذكيةٌ نابغةٌ تهتم بكل شيءٍ. انظر كيف يتغير العالم يا إسحاق، فلدينا اليوم الكهرباء والسيارات، وراح الناس يَعرجون في السماء تلك الآلات الطائرة الهائلة، فلماذا تُحرَم من الخيارات ذاتها التي يتمتع بها الرجال إذا ما قررت ما ستفعله في حياتها؟

- أتفق معك يا عزيزتي. أجاب والدها: ولكن بعض الناس، للأسف، لا يحظون بفكرٍ تقدميٍ كشركة صانعي الساعات. لم تمر سوى عشر سنواتٍ على حريق لندن الكبير حين اتخذوا أول تلميذةٍ لهم.

- ستتاح لهيلينا المزيد من الفرص في حياتها. أنا متأكدةٌ من ذلك. قالت والدة هيلينا مبتسمةً ناظرةً إلى هيلينا وهي تكدس على الأرض كتلاً خشبيةً كي يسقطها أوربت.

عرفت هيلينا أنها تريد المزيد، وشعرت بذلك في نقيّ عظامها وأعماق كيانها كله، ولكن القضية أكبر من ذلك؛ فقد كانت تراودها أسئلةٌ كثيرةٌ تحتاج إلى إجاباتٍ. لا

ريب أنها لا تريد قضاء بقية حياتها في ارتداء فساتينَ جميلةٍ، وجلوسٍ في صالةٍ خافتة الإضاءة للرتق أو الحياكة أو الرسم، أو التزام دراساتٍ قائمةٍ على الملاحظة ... وكل ما من شأنه أن يجعلها يائسةً؛ ولكنها رغم جهلها بما تود فعله عندما تكبر، إلا أنها شعرت بشدة وطأة هذا التمييز والتفاوت، وأدركت أنها تستطيع أن تفعل ما يفعله أي صبيٍّ ذكرٍ، وأنها ولا ريبَ ستفعل ذلك يوماً ما.

تحولت عن الطلاب، وأخرجت ساعة جيبها، فكانت في حاجة إلى حث خطاها إذ لا ينبغي لها أن تتأخر على أبيها، وكان عليها أن تزور السيد فوكس، وتكتشف بالضبط سبب قيامه بوضع تلك الرسالة في ساعة جيب السيد ويستكوت، وتجمع بعد ذلك أجزاء الساعة. كانت تدرك تمام الإدراك أنه لا ينبغي لها أن تكون السببَ في توقف الساعات، وفقدانها كلَّ عتادها. تخيلت قفص أوربت يتأرجح في يد السيد ويستكوت، وعائلتها محشورةً تحت يده الأخرى بينما هو يمشي بكل ممتلكاتهم الدنيوية قاصداً مغرب الشمس.

وبعد نظرةٍ سريعةٍ على الخريطة، دست يديها في جيوبها، واتجهت نحو متجر فوكس؛ صانع الساعات فكان لقلبها نبضٌ لم يرتح له صدرُها.

13

متجر السيد فوكس

تم بناء متجر فوكس لصناعة الساعات عند منحنى شارع روز كريسنت، وهو شارعٌ مخفيٌ تقريباً له شكلُ هلالٍ، وقد ضُم إلى ساحة السوق الصاخب. اجترعت هيلينا ما تكتّل في حلقها من غصةٍ بحجم البصلة، وهي تنظر إلى نافذة المتجر الذي بدا لها مهجوراً إذ لم تر عرضاً لامعاً لساعات اليد وساعات الجدران. مجرد قطعة قماشٍ كستنائيةٍ طويلةٍ تحمل بصمات أشياءَ لم تعد موجودةً.

منذ وفاة والدة هيلينا، باتت إحدى وسائل التسلية المفضلة لدى أبيها في عطلة نهاية الأسبوع تكمن في بحثه في لندن عن متاجر ساعاتٍ جديدةٍ يزورها، فيقضي هنالك وقتاً طويلاً في تفحص محتويات النوافذ البراقة في الوقت الذي كانت فيه هيلينا تتململ وتتثاءب.

ما الذي جرى لجميع ساعات السيد فوكس؟

فتحت هيلينا باب المتجر فرن الجرس.

- ثلاثة فئرانٍ عمياء ... ثلاثة فئران عمياء ... صاح أوربت وقد تحرك في حقيبته رامشاً بعينيه الخرزيتين.

- كم ذا مثيرٌ للفضول يا أوربت! همست هيلينا ماسحةً على رأسه. كانت خزائن العرض الزجاجية داخل المتجر فارغةً هي الأخرى، وكانت طاولة العمل الخشبية خاليةً، وقد أُغلق الباب خلف المنضدة؛ فهل عليها أن تطرق الباب لترى ما إذا كان السيد فوكس خلفها؟ نظرت نحو باب المتجر فلاحظت شيئاً لم تره لما دخلت؛ لافتة معلقة على الباب تقول: «مفتوح» ما يعني أن وجهها المتوجه إلى الخارج يقول إن المتجر «مغلق». شعرت هيلينا بثقلٍ مفاجئٍ في ساقيها و لم تعد شركة فوكس لصناعة الساعات شركةً عاملةً.

اتخذت قراراً سريعاً بأنِ انغمست أسفل المنضدة، وطرقت الباب خلفها بخفةٍ،

فسمعت صوت صريرٍ فوق رأسها ... شخص ما يسير على الأرضية أعلاها. طرقتِ الباب مرةً أخرى وبقوةٍ أكبر هذه المرة فسمعت سعالاً، لكنه لم يكن سعال رجلٍ، بل أشبه بسعال طفلٍ.

فتحتِ البابَ ونظرت إلى أعلى الدرج المظلم، وقالت:

- مرحباً. جئتُ أنشد السيد فوكس. أهو هنا؟ فلم تتلقَّ رداً، بل سمعت صريراً آخر من تلقاء ألواح الأرضية. شخصٌ ما هناك بالتأكيد؛ فلمَ لم ينزل؟ «مرحباً!» نادت مجدداً: لقد جئتُ من منزل السيد ويستكوت، وأود جداً لو أتحدث إلى السيد فوكس.

صرير ... صرير ... صرير ... صرير.

تنامى إلى مسمعها صوتُ خطىً تنزل الدرج متوجهة نحوها، فإذا بصبيٍّ لم يتجاوز العاشرة يقف أمامها بجسمه النحيل وشعره الداكن، وكفيه المنقبضين، وفتحتَي أنفه اللتين تتسعان كخطم حصانٍ.

- اغربي عنا. لم يعد لدينا ما تأخذينه. قال بصوتٍ متذبذبٍ.

اهتزت الحقيبة على أكتاف هيلينا فضحك أوربت بهدوءٍ.

- كل ما هنالك أني ... أريد التحدث إلى السيد فوكس. قالت هيلينا ناظرةً إليه.

- تقولين إنك قادمةٌ من منزل السيد ويستكوت. قال الصبي وعيناه الواسعتان لا تفارقان حقيبة أوربت التي تهتز وتتمايل.

- نعم ... ففيه يعمل أبي. كما قلتُ ... قالت هيلينا مومئةً برأسها.

- أبوك. أهو صانع وحارس ساعاتٍ لدى السيد ويستكوت كما كان أبي؟ سأل الصبي مقترباً خطوةً، فاشتمت هيلينا رائحة ملابسَ وجلدٍ غير مغسولٍ، فقاومت رغبتها في حك أنفها.

- ممم ... نعم. لقد بدأ العمل هناك منذ بضعة أيامٍ. نحن من لندن و ...

فأمسك الصبي بيدها من دون سابق إنذارٍ، وراح يسحبها نحو أعلى الدرج.

- مه! صاحت هيلينا بحدةٍ: اتركني حالاً. ولوت ذراعها في محاولةٍ لإرخاء قبضته، لكن قبضة الصبي كانت قويةً للغاية، فسحبها درجتين أخريين للأعلى.

- كواك ... كواك ... كواك! صاح أوربت منذراً.

تشبثت هيلينا بالحائط بيدها الحرة لمنع نفسها من السقوط إلى أسفل الدرج والتعثر مما قد يؤذيها هي وأوربت؛ لكن الصبي استمر في سحبها للأمام إلى أن بلغوا أعلى الدرج.

هناك تحررت هيلينا أخيراً، وتفقدت أوربت في عجالةٍ، فكان ريشه منتفخاً، وكانت عيناه الخرزيتان تنظران إليها بسخطٍ، فأدركت هيلينا شعوره، ووضعت يديها على وركها، ونظرت إلى الصبي، وقالت:

- ما تظن نفسك فاعلاً؟ لا يحق لك التجول ممسكاً بيد فتاةٍ و ... أوه ... وعلقت كلماتها في فمها إذ رأت إلى يسار الدرج غرفةً صغيرةً، وعلى ألواح الأرضية، تحت نافذةٍ جورجيةٍ كبيرةٍ، كانت هناك فتاتان صغيرتان لهما خدود غائرة، ولكليهما الشعر الأسود الأملس ذاته كشعر الصبي. كانت إحدى الفتاتين تمص إبهامها، بينما الأخرى جالسةٌ وظهرها مستند إلى الحائط، وركبتاها تعانقان صدرها.

- هؤلاء أختايَ. قال الصبي بهدوءٍ فنظرت هيلينا في عينيه الدامعتين ليبدو الأمر كما لو أن قتاله وقوته التي أبداها في الطابق السفلي قد تلاشت فجأةً. «أنا رالف.» قال بصوتٍ منخفضٍ. «رالف فوكس.» وراح يعبث بياقة قميصه الذي فقد أحد أزراره.

- السيد فوكس هو والدكم؟ قالت هيلينا بتردٍد متحولةً نحو أختيه، ثم عادت لتنظر إليه مرةً أخرى بينما تشق فكرةٌ رهيبةٌ طريقَها إلى أحشائها.

أومأ رالف.

- أكان ... يعمل لدى السيد ويستكوت؟

أومأ رالف مرةً أخرى.

- ماما! قالت إحدى الفتاتين بدموعٍ انهمرت من عينيها بهدوءٍ. متى ستعود؟

- ستعود، لا ريبَ ، حين تحصل لنا على بعض الطعام، وتجد لنا مكاناً نعيش فيه. قال رالف بهدوءٍ وقد مشى نحوها فركع ومسح وجهها بكم قميصه: فلا تقلقي يا هيتي. لن تتأخر في ذلك.

- أهذا منزلكم؟ سألت هيلينا، وقد راح قلبها يركل صدرها بقوةٍ. كانتِ الغرفة فارغةً لا شيء فيها سوى دلوٍ معدني من الماء يقبع في الزاوية، وكوبين من الصفيح.

- كان كذلك قبل أن نفقد كل متاعنا. قال رالف وصوته مترعاً بالبؤس

- فقدتموها؟ قالت هيلينا متفكرةً في العقد الذي لم ترغب في تذكره.

- حسناً ... لم نفقدها؛ بل أخذها السيد ويستكوت إذ توقفت ساعاته فأخذ منا كل ما لدينا من أثاثٍ وصورٍ، ولم يُبق حتى على الصورة القبيحة لعمتنا المتوفاة التي لم يحبها أحدٌ. لقد أخذ جميع ساعات أبي وأدواته أيضاً. لقدِ اختفى كل شيءٍ، بما في ذلك السيد الشاب فيليبس الذي كان يعمل مساعداً لأبي في المتجر، فما عاد أبي الآن قادراً حتى على كسب لقمة عيشه؛ لقد اقترض المال لاستئجار هذا المحل وشراء معداته؛ فاقترض واقترض، وسار كل شيءٍ على ما يرام إذ كان السيد ويستكوت سيدفع له ثروةً صغيرةً لقاءَ إبقاء الساعات تدق، وكان في مقدور والدي سداد ديونه لولا أن سارت الأمور على نحو خاطئٍ ففقدنا كل شيءٍ الآن.

- ولكن ... ولكن ... متى حدث هذا؟ سألت هيلينا بخوفٍ تقبض أصابعه القارسةُ على قلبها.

- كان ذلك قبل بضعة أسابيع. هل قلتِ إن والدك يعمل لدى السيد ويستكوت الآن؟ قال رالف وقد تراخى كتفاه.

أومأت هيلينا برأسها.

- وهل جعله السيد ويستكوت يوقّع على أية أوراقٍ؟

- يقضي والدي كل أيامه في مكتب محامي السيد ويستكوت محاولاً إنجاز هذه

الأوراق إن صح التعبير.

وضعت هيلينا يديها على خديها المشتعلين. لقد ألزم السيد ويستكوت والدَ رالف بتوقيع العقد أيضاً، ثم توقفتِ الساعات فخسروا كل شيءٍ. أمسكت بحقيبة أوربت بقوةٍ أكبر، وفكرت في أبيها الذي ينتظر أن تعود إليه بأجزاء الساعة، مما يجعله يختفي مرةً أخرى في عالم الإصلاح والصيانة.

- عليكم أن تتركوا بيت الساعات ذاك في الحال. قال رالف بوجهٍ يتلوى غضباً. «لا تنتظروا توقف الساعات، فإنها ستتوقف لا محالة، فقد أحسن أبي العناية بها، فهو ... أو لعله كان ... أفضل صانع ساعاتٍ في كامبريدج، والجميع يعرف ذلك. لقد كان ماهراً جداً، ولم تكن أمي في حاجةٍ إلى العمل قط؛ أما الآن فتقول إنها مضطرةٌ إلى ذلك.

- ساعات ... ساعات ... ساعات! صاح أوربت ضاحكاً.

- لقد وجدت هذه ... مخبأةً في إحدى الساعات. قالت هيلينا لرالف محدقةً فيه بذعرٍ، وقد أخرجتِ البطاقة الصغيرة من جيب معطفها وأعطته إياها.

- إنها كتابة أبي. قال رالف إذ أخذها منها وشهق: كان ذا تحذيراً، ولكنه جاء متأخراً جداً على ما يبدو. ستتوقف الساعات معكم أيضاً، وسيأخذ السيد ويستكوت كل متاعكم فينتهي بكمُ الأمر – كما سينتهي بنا على الأرجح - في ورشة العمل الواقعة على طريق ميل ...

14

الحصى

عندما تركت هيلينا رالف وأختيه لم تلاحظ برودة الضباب الهائم، وصيحات الباعة في السوق، وثرثرات طلاب الجامعة، ودوامة أجراس الدراجات، وصياح أوربت ونعيقه وقضمه أكمام معطفها؛ فقد كان نبض رأسها يوافق وقعَ خطاها وهي تمشي. كان والدها يضاهي السيد فوكس في صنع الساعات وربطها، وكانت متأكدةً من ذلك؛ لكن الساعات توقفت مع السيد فوكس رغم أنه بذل قصارى جهده. ما الذي فعله السيد ويستكوت بممتلكات عائلة فوكس؟ كيف له أن يجرّدهم من كل شيءٍ؟ كيف له أن يترك تلكما الفتاتين الصغيرتين جائعتين جالستين على ألواح الأرضية. كان رالف على حقٍّ حين قال إن الأمر سينتهي بهم في ورشة العمل إنْ لم تكن لأبيهم وأمهم وسيلةٌ لتوفير طعامهم وكسب رزقهم. إنْ كان السيد فوكس مديناً، فلا ريب أن وظيفة حارس الساعة ذات الأجر الجيد في منزل السيد ويستكوت كانت تبدو حلاً لجميع مشكلاته؛ لكن خطته لكسب المال جاءت بنتائجَ عكسيةٍ بأفظع الطرق.

كانت هيلينا ووالدها يسيران أحياناً إلى جوار ورشة العمل القريبة من المكان الذي يعيشان فيه في لندن، فكانت عيناها تنجذبان إلى المبنى المبني من الطوب الأحمر، والذي كان يذكّرها بصورٍ رأتها في الصحف للمطاحن الصناعية الطويلة والموحشة في الشمال. أدركت هيلينا أهمية تحاشي أن ينتهيَ بهم الأمر في ورشة عملٍ مهما كلف ذلك، فهي ملاذ الفقراء والمشردين وإنْ وفّر لهم سقفاً ينامون تحته، ووجباتٍ وملابس، ولكن ذلك مقابل عمل الناس فيها لساعاتٍ طويلةٍ مملةٍ، فيسمعون أصوات الرجال في الفناء وهم يقطعون الأخشاب، ويسحقون الحجارة، وهو عملٌ بدنيٌّ شاقٌّ يكسبهم ما يكفي من المال للبقاء. كانت الدوامات البخارية تتصاعد من النوافذ المفتوحة عند اغتسال النساء وغسلهن؛ فيقول والدها بحزن:

- لا بد أن أولئك الأشخاص هناك قد مروا بأوقاتٍ عصيبةٍ، فتلك الورشات هي أسوأ مكانٍ قد ينتهي إليه امرؤٌ يحترم ذاته ويهتم بصحته.

***

بدأ قلب هيلينا يخفق حين راحت تسير أخيراً تقصد منزل ويستكوت الذي كان يلوح في الأفق كعملاقٍ غاضبٍ، فتسطع نوافذه الكثيرة في وجهها كحبات مطرٍ تنهمر بغتةً فتصفع وجه الأرض. كانت تمد يدها إلي مِطرقة الباب النحاسي لما باغتها وميضُ ألمٍ في قدمها اليمنى فقالت: «أوه!» وانحنت تفرك ساقها. ما الذي حدث للتو؟ التفتت لترى صبياً من عمرها واقفاً إلى جوار سياجٍ مستطيلٍ قرب الدرجات، ثم نظرت إلى حصاةٍ متوسطة الحجم ملقاةٍ بجانب حذائها الأيمن.

- أأنت من رماني بتلك الحصاة؟ سألت هيلينا مستنكرةً وهي تنحني لالتقاط الحصاة التي بدت دافئةً كما لو أنها حُبست في قبضة شخصٍ ما فترةً كافيةً.

كان الصبي يقف مستقيم القوام، إلا أن هيلينا خالت أنها رأت ذقنه تتمايل. كان حذاؤه مصقولاً بالغَ الألق، وكان طوق قميصه ناصعاً كلفافة ثلجٍ، فلم يكن زيه زي فتىً من فتيان الشارع الذين قد يرمون الغرباء بالحصى.

سألتك؛ هل أنت من رماني بهذه الحصاة؟ قالت هيلينا وهي تقترب نحوه خطوةً.

أطلَّ أوربت برأسه من حقيبته في ذات اللحظة بالضبط، فقام الصبي بإخراج حصاة أخرى من جيبه، ورمى بها هيلينا فانحرفت ولم تصبها هي والببغاء، بل أصابت واجهة باب السيد ويستكوت الرمادي مجلجلةً.

سرى في جلد هيلينا سخطٌ كأنه طقطقة مطرٍ غزيرٍ.

أخذ الصبي من جيبه حصاةً أخرى فرماها فوق رأس هيلينا لترتد عن الباب إلى أسفل الدرج فكادت تصيب أوربت.

- استمع يا هذا. توقف عن ذلك حالاً ... صرخت هيلينا وهي تتوجه نحو الصبي أسفل الدرج.

- «كواك ... كواك ... كواك!» صاح أوربت. «بوب غدا ابنَ عرسٍ. أمي ... أمي ... كواك!»

- الآنسة جراهام!

تجمدت هيلينا، وشحُب وجه الصبي فالتفت وبدأ يركض في الشارع.

التفتت هيلينا، فإذا بيد السيد ويستكوت تمسك بقبضة الباب من جانبه، وقد ازاد وجهه رماديةً أكثر من المعتاد، فشعرت حياله بحرارة سخطٍ يكاد ينفجر لطريقته الرهيبة في التعامل مع رالف وعائلته.

- سيد تيرينس! سمعته يهمس محدقاً جهةَ الصبي.

- «مرحباً. مرحباً. طائرٌ جميلٌ. ساعات. تيك-توك.» صاح أوربت ساخراً.

- ذلك الولد ... هو من كان يرمي الحصى على بابك. قالت هيلينا ضامةً أوربت إلى صدرها أكثر.

- أعلم ذلك! قاطعها السيد ويستكوت وانحنى لجمع الحصى عن الأرض، وقبض عليها بشدة جعلت هيلينا تعجب من أنه لم يفتتها.

Telegram:@mbooks90

مرت سيدةٌ ورجلٌ نبيلٌ يتنزهان في فترة ما بعد الظهر، فنظرا إليهم نظرةً طويلةً فضوليةً من تحت مظلتهما.

تتبعت هيلينا نظر السيد ويستكوت نحو رأس الصبي المتواري، وبدت لها الكلماتُ التي تكورت في شفتي السيد ويستكوت ببتلاتٍ تتساقط من زهرةٍ: «بوي؛ ابنتي المسكينة!»

علق دماغ هيلينا في شراك الارتباك؛ إذ ما علاقة ابنة السيد ويستكوت بهذا الطفل؛ رامي الحصى؟

استدار السيد ويستكوت ودخل المنزل مجدداً، ولما همّت هيلينا بارتقاء الدرجات وراءه لاحظت أن الصبي قد توقف عن الجري، وأخذ ينظر نحو عربةٍ مغلقةٍ توقفت إلى جانب الطريق، وقد أحنى حصانها رأسه وراح يضرب بحوافره تحت وابل المطر؛ ثم رأت يداً بقفازٍ ظهرت من إحدى نوافذها فأسقطت في راحة الصبي المفتوحة شيئاً له بريقٌ، فتبسم الصبي لمن في العربة ابتسامةً متوترةً متذبذبةً، ثم قبض كفه

وانطلق مسرعاً تطارده الأمطار في الطريق. «يا لها من أحداث يومٍ غريبةٍ» قالت هيلينا في نفسها. كانت ألغاز هذا المنزل تزداد في كل يومٍ، لكن هيلينا باتت أكثر تصميماً على حلها من أي وقتٍ مضى.

15

المظلة

بعدما أعادت هيلينا أوربت إلى قفصه، وعلقت سترتها المبللة حتى تجف، جلست تفرك عينيها غيرَ راغبةٍ في شيءٍ أكثر من الاستلقاء، وسحبت غطاء السرير فوق رأسها، وأخذت تفكر في كل الأشياء الغريبة التي حدثت لها هذا اليوم. لقد توقفتِ الساعات لسببٍ ما لما كان السيد فوكس يعمل هنا. ظن والدها أن العقود التي أبرمها هو والسيد فوكس ستكون لاغيةً وباطلةً إذا ما تفحصها محامٍ؛ لكنه أخطأ الظن على ما يبدو، فقد قال لها رالف إن محامي السيد ويستكوت قد نفذ فعلاً بنود ذلك العقد، واستحوذ على ممتلكات عائلة فوكس.

- هيلينا؟ صاح والدها بعدما طرق بابها وأطلّ برأسه: لقد بدأت أخشى أن تكوني قد ضللت طريقك في المطر! أحتاج أجزاء الساعات التي ذهبتِ لجلبها؛ فإحدى ساعات الطاولة تعمل بطريقةٍ غريبةٍ. هلّا أحضرتها للطابق السفلي في الحال؟

غدا عقلُ هيلينا العاصفُ عادةً خالياً كلوح مدرسةٍ مُسحت كتاباته، وهي تتبع أباها. قِطعُ الساعات! لقد نسيت أن تقصد شارع ريجنت لإحضارها إذ كانت مشتتةً جداً خلال تجوالها في المدينة ولقائها برالف، فكيف ستفسر عدم جلبها لتلك القطع الآن؟ لم ترغب في التحدث إلى أبيها عن عائلة فوكس لأنها تعلم أن ذلك سيصرفه عن وظيفته؛ واتضح لها فجأةً وضوحَ الشمس الشارقة مدى أهمية هذه الوظيفة التي تعتمد عليها معيشتهم كلها.

كان الصبي الجالس بصمتٍ على كرسيٍّ إلى جوار الباب، هو أول ما رأته هيلينا لما دخلت غرفةً تحف جانبيها طاولاتٌ تحتمل وزن عربةٍ وساعاتِ طاولاتٍ، فتبسمتِ ابتسامةً خفيفةً. لقد قُص شعرُ بوي الأشقرُ بدقةٍ مما يوحي بمهارة يد مصفف شعرها الخبير، وهذا ما جعل هيلينا تدس أصابعها على طول ضفيرتها الجعداء الحرة كذيل حصانٍ. ما شعور من كان لها مثل ذلك الشعر القصير؟ قد يمنحها ذلك برودةً في الصيف الحار، لكنه سيجعلها تشعر بالبرد في الشتاء أيضاً. هل يتوقف المارة في

الطرقات للتحديق فيها بشيءٍ من الفضول؟ خطرت لها فكرةٌ ما. ربما كان هذا هو السبب وراء قيام الصبي الفظيع في الخارج برمي الحصى على الباب الرئيس، ولعله السبب كذلك وراء شعور السيد ويستكوت بالأسف نحو الصبي؛ فلا يخفى على أحدٍ أن اختلاف المظهر يميز الشخص عن أقرانه، ويلفت الانتباه إذا ما كان اختلافه غريباً؛ ما يعني أن هنالك سبباً قوياً ومهماً لارتداء بوي ملابسَ مختلفةً ... سبباً لا بد أنها تؤمن به جداً.

- الطردَ من فضلك يا هيلينا! قال والدها لما استدار نحوها.

- ممم ... أنا ... لا طرد معي! قالت هيلينا بفمٍ جف كرملٍ في بيداء، وقد تراخى ذراعاها على جانبيها.

- لماذا؟ قال والد هيلينا لما انتصب مطلقاً تنهيدةً عميقةً، أما بوي فقد رمشت عيناها نحو هيلينا فلم تفارقها.

- لقد ... ضللتُ ... أعني ... فقدتُ الخريطة التي رسمها لي ستانلي ... فلم أجد متجر صانع الساعات. أضافت هيلينا والحرارة تتسرب إلى ظهرها.

- كيف لك أن تضيعي وشارعُ ريجنت لا يبعد أكثر من ميلٍ عن مكاننا هذا؟ ألم تفكري في سؤال أحد المارة عنه؟ قال والدها وقد أدى ضيقٌ مفاجئٌ إلى اتخاذ وجهه ملامحَ لم تعهدها البتة؛ فعرفت هيلينا أنه ود لو يوجه لها بعض الكلمات النابية؛ لكنه لم يجرؤ على ذلك لوجود بوي هناك تراقب المشهد بعينين باتتا لا تفارقان هيلين الآن. كان برعم الصداقة الذي تفتح بينهما برعماً جديداً وحساساً، وكانت الثقة؛ من منظور هيلينا، سمةً شخصيةً مهمةً لا بد من توافرها الصديق، وقد أثبتت أنها على عكس ذلك. عُمر خداها بدفقة حرجٍ فنظرت نحو قدميها وقالت:

- آسفةٌ يا أبي. أنا ... سأذهب لأجلبها غداً.

- قد يكون الأوان قد فات حينها. لم يبق سوى نصف ساعةٍ على موعد تفحص الساعة. كل ما أتمناه هو ألا ينظر السيد ويستكوت إلى هذه الساعة بالذات عن كثبٍ. قال والدها متنهداً بشدةٍ: لقد خاب ظني فيكِ يا هيلينا.

نهضت بوي فجأةً، وخرجت من الغرفة صاعدةً للطابق العلوي.

تبعتها هيلينا راجيةً لو تغدو من ضآلة الحجم ما يمكّنها من التسرب تحت ألواح الأرضية بعيداً عن خيبة أمل والدها الفظيعة فيها.

***

في تمام الساعة السادسة إلا عشر دقائق وقف السيد ويستكوت مع أخته عند باب غرفة ساعة العربة والطاولة. كانت كاثرين تحمل مظلةً سوداءَ تنهال منها سيول الماء على ألواح الأرضية في القاعة، وكانت رائحة الياسمين تفوح منها في الغرفة أمامها.

- يا له من صيفٍ غير معقولٍ نواجهه. الآن ... أين هي ابنة أخي العزيزة تلك؟ قالت كاثرين.

- أنا هنا. قالت بوي ناظرةً إلى أبيها، فاتسعت عينا هيلينا إذِ استبدل بقميص بوي وسروالها وحذائها فستاناً وجوربين أبيضين، وقد شد قوسٌ من ساتانٍ أحمرَ شعرها القصير عن وجهها، وجرى تلميع حذائها الجلدي الأبيض بشكل مدهش.

نظر السيد ويستكوت إلى ابنته بعينين ترمشان سريعاً، ثم أشاح النظرَ بعيداً.

ضاقت شفتا بوي بينما استمرت في التحديق في أبيها بعينين ترجوان منه شيئاً لم تفهمه هيلينا.

- انظر إلى ابنتك، إدغار. ألا تبدو لك رائعةً؟ قالت كاثرين لشقيقها الذي كان قد حول نظره نحو ساعة الطاولة الخشبية التي قال والد هيلينا إنها تحتاج إلى استبدال أحد أجزائها؛ ذلك الجزء الذي نسيت جلبه؛ فعضت شفتها السفلية بقوةٍ.

- دقات هذه الساعة ... تبدو ... أخف من المعتاد. إنها ... هي ... لن تتوقف؛ أليس كذلك؟ قال السيد ويستكوت بتجهمٍ مُدنياً أذنه من الساعة، فبدا خداه رماديين كالفولاذ.

تنهدت كاثرين بصوتٍ عالٍ، وعبثت بمشبك مظلتها.

- اسمح لي أن أؤكد لك سيد ويستكوت ... أنه لا ساعة من ساعات هذا المنزل

عرضة لخطر التوقف. قال والد هيلينا بصوتٍ واثقٍ، لكنّ ذقنه كانت ترتعش.

ابتلعت هيلينا رضابها.

- أأنت واثقٌ مما تقول؟ سأله السيد ويستكوت محدقاً فيه.

شبك والد هيلينا يديه معاً، وأومأ برأسه بقوةٍ.

- يُقال إن هذه الساعة كانت ذات يومٍ للسير إسحاق نيوتن. تمتم السيد ويستكوت قائلاً وقد جالت عيناه بعيداً، وهو يحدق في الوجه غير المعتاد لساعة الطاولة وسلسلة حلقاتها التي توضح مراحل القمر ورموز الأبراج.

انطلقت من فم والد هيلينا شهقةُ عجبٍ.

- لقد وضع نيوتن قانون الجاذبية. همس السيد ويستكوت. وكان رجل علمٍ ومنطقٍ ... وهي سجايا تستحق إعجاباً كبيراً. أضاف ثم نهض واقفاً، وتحول نحوهم وقد ابيضّ وجهه: أرجوك أن تعي عني حقّ الوعي حين أقول إنه لا ينبغي لأية ساعةٍ من ساعات هذا المنزل أن تتوقف. أبداً؛ فإن توقفت ... قطع كلامه وراح يفرك رقبته.

ودت هيلينا بصمتٍ لو يواصل كلامه. لمَ لا ينبغي للساعات أن تتوقف ؟ إنه لأمرٌ لم تفهمه. ما الذي يخشاه السيد ويستكوت؟

- أوه! إدغار ... حقاً. لِم تُضطرنا إلى الحديث إلى ما لا نهاية عن ساعاتك تلك؟ قالت كاثرين، ثم فتحت مظلتها بنقرةٍ من معصمها، وهزتها فتناثرت قطرات الماء عنها كماسٍ مسالٍ.

- كاثرين! دوى الصراخ من شفتي السيد ويستكوت في جميع أنحاء الغرفة.

نكصت بوي خطوةً إلى الخلف.

تعثر والد هيلينا بالطاولة فهز الساعات التي وُضعت عليها.

أمسكت هيلينا بذراع أبيها.

أسقطت كاثرين مظلتها أرضاً فارتطمت بشدةٍ.

دنا السيد ويستكوت من أخته فالتقط المظلة الساقطة بأصابعه التي تخبطت في محاولةٍ لإغلاقها.

- أنا ... آسفةٌ ... لم أقصد ... قالت أخته وقد تورّد خداها في كفاحها للعثور على كلماتٍ تشرح موقفها.

- لا تفعلي ذلك في منزلي مرةً أخرى. قال السيد ويستكوت صارّاً على أسنانه خلال خروجه من الغرفة، والماءُ يَقطر في أعقابه من المظلة، وقد توهجت عيناه، واكتست وجنتاه الرماديتان اخضراراً كاخضرار من نال منه دوار البحر.

تبادلت بوي وهيلينا نظراتِ القلق.

أخرجت كاثرين من جيبها منديلاً ربتت به على زوايا عينيها الدامعتين.

- لا بأس عليك آنسة ويستكوت؛ فبضع قطراتٍ من الماء لن تضر بالساعات. قال لها والد هيلينا وقد دنا منها خطوةً.

- ليستِ الساعات هي ما يقلقني. قالت كاثرين بتجلدٍ متتبعةً شقيقها بعينيها، وقد أخذت منديلها واستنثرت فيه استنثاراً أنيقاً، وتبسمت تبسماً رقيقاً لوالد هيلينا.

أخذت هيلينا من صندوق أدوات أبيها قطعة قماشٍ ثنتها لتمسح بها قطراتِ الماء عن ألواح الأرضية.

- لا. لا. لا. توقفي أرجوك. صاحت كاثرين متغضنةَ الجبين طالبةً من هيلينا التوقف؛ ثم رفعت ذقن هيلينا بيدها المحشورة في القفاز الذي كان جلده ناعماً جداً، فبدت أصابع كاثرين تدس في بشرتها همساً خفياً: ليس دورك في الحياة أن تنظفي مخلفات الآخرين. هل تفهمين؟ أضافت كاثرين بصوتٍ ووجهٍ باتا شرسين جداً فجأةً كلبؤةٍ تحمي أشبالها.

- ممم ... أنا آسفةٌ ... نعم. قالت هيلينا جامعةً قطعة القماش في قبضتها متسائلةً عن مقصد كاثرين من قولها هذا. ربما لم تكن تضطر إلى الطهي في بيتها، لكنها كانت قد تولت دور أمها في الغسيل، وتغيير الأغطية، وتنظيف الأرضيات؛ وإلا كيف كان

لهذه الأعمال أن تُنجز؟

- الأمر نفسه ينطبق عليك. قالت كاثرين لبوي التي حكت أنفها وبدت حائرةً نوعاً ما؛ ثم أرخت كاثرين أصابعها عن ذقن هيلينا، وأخذت من يدها القماش وانحنت تمسح الماء بنفسها، ثم اعتدلت تعيد القماش المبلل إلى والد هيلينا الذي بدا جلياً منزعجاً من تصرف كاثرين التي خلعت قفازيها الرطبين وراحت تملّس ثوبها: حسنٌ! بما أن أخي يشعر بتوعكٍ هذا المساء، فلعلك؛ سيد جراهام؛ تتفضل باستعراض بقية الساعات لي.»

- نعم ... نعم؛ طبعاً، يا آنسة وستكوت. سيكون ذلك من دواعي سروري. قال والد هيلينا لما وضع قطعة القماش في صندوق أدواته، وشبك يديه معاً.

- هلّا بدأنا ... بغرفة الساعات الطويلة؟ فإني أود جداً لو أرى عتادها وآليتها، وأتحقق من أن كل شيءٍ يجري على ما يرام. رائعٌ جداً في نظري ... أن أرى كيفية عملها.

أومأ والد هيلينا برأسه بقوةٍ، وأشار لكاثرين أن تتقدمه لما ترددت أصداء دقات الساعات وضرباتها ورنينها في أرجاء المنزل.

تبسمت كاثرين لهيلينا وبوي تبسماً لطيفاً، وراحت تنورتها لما غادرتِ الغرفة تتراقص كأوراق شجيراتٍ في غابةٍ تتساقط في فصل الخريف.

«يا لها من أمسية غريبة» قالت هيلينا في نفسها. لقد بدا سلوك السيد ويستكوت أكثر اضطراباً. مسكينةٌ هي كاثرين! كم هو فظيعٌ أن تكون أخاً لمن يصرخ فيك بتلك الطريقة ... وذلك بسبب تناثر قليلٍ من الماء. بوي مسكينةٌ أيضاً. أيمكن أن يكون هذا هو السببَ وراء جعل أمها تقضي إجازةً طويلةً خارج المنزل؟ ربما يمكن لهيلينا مساعدة بوي في إرسال رسالةٍ إلى أمها لإخبارها بأن عليها العودة إلى المنزل حالاً. لا ينبغي لبوي أن تعيش في هذا المنزل بصحبة أبيها وحدها. بدأت هيلينا تخال أن السيد ويستكوت مصابٌ بالجنون.

16

متاهة الكتاب

سمعت هيلينا صدى صوت الباب الرئيس يتردد من أسفل نافذتها، بينما هي تستعد للنوم، فاختلست نظرةً من بين ستائرها لترى السيد ويستكوت يتخذ العربة كما فعل قبل بضع ليالٍ تماماً، ثم شاهدتِ الحصان إذ ينساب في الظلمات بعد ذلك؛ فما حاجته إلى الذهاب في تلك الرحلات الليلية؟ فلو قضى وقتاً أطول مع بوي لكان كلاهما أسعد ربما.

ركعت هيلينا وفتحت غطاء قفص أوربت الليلي، وراحت تربّت على رقبة الببغاء من بين القضبان قائلةً: «إنه لمنزلٌ كئيبٌ يا أوربت، وأخشى أنه يُبعد أبي عنا ... وأنا لا أحب ذلك مطلقاً.» قهقه أوربت بلطف. «ما كانت أمي لتسمح بحدوث هذا.» أضافت هيلينا همساً

- الأم تحب هيلينا! الأم تحب هيلينا! قال أوربت حانياً رقبته تحت أصابع هيلينا. فملأت ضحكة والدتها المشرقة المثيرة أركانَ الغرفة الصغيرة، وحبستِ الهواء في رئتي هيلينا، فأغمضت عينيها، وجلست على الأرض بغصةٍ تلسع حلقها إذ تذكرت لما كانت وأمها تتقافزان على الأرصفة لمقابلة أبيها في ورشته.

- الناس ينظرون إلينا. قالت هيلينا متلهفةً حينها.

- فلينظروا! قالت أمها بضحكةٍ كالشمس ألقاً: ما قيمة الحياة إنْ حُرمنا ما يبهجنا من قفزٍ أو سواه؟

ضحكت هيلينا معها، ممسكة بيد أمها بقوة أكبر وقد تجاهلت نظرات المشاة الآخرين وهم يسيرون في شوارع المدينة.

مسحت عينيها بأكمام ثوب نومها، وقالت ليلة سعيدة لأوربت وغطت قفصه بلطف. وضعت ذراعيها حوله، ووضعت خدها على القماش، وشعرت باهتزازات أوربت اللطيفة تتوقف في الليل. فجأة كانت لديها رغبة شديدة في أن تُعانقها ذراعا

والدها وأن يستنشق رائحة زيت الساعة، الذي كان يتبعه في كل مكان مثل كلب مخلص. لكنها لم تجرؤ على سؤاله. لن يقدّر مثل هذا الطلب التافه وهو ضائع في عالمه الميكانيكي. فجأة أصبح الأمر أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى لمعرفة مكان وجود والدة بوي. ربما تحمل المفتاح لإصلاح الأشياء التي حدثت بشكل خاطئ في هذا المنزل الغريب. عندما كانت بوي ووالدها في الغرفة نفسها، تصرف والدها كما لو أنها لم تكن هناك. لماذا كانت ذلك؟ تساءلت عما إذا كانت بوي تعرف أن والدها قد أخذ ممتلكات عائلة فوكس الرخيصة. لقد اعتقدت بطريقة ما أنه إذا علمت بوي أن عائلة فوكس متوجهة إلى ورشة العمل، فستكون حريصة على مساعدتهم مثل هيلينا.

تسللت هيلينا عبر الممر إلى غرفة نوم بوي بعد أن أطفأ والدها النور. توقفت في منتصف الطريق، ولاحظت أن صورة أخرى لآلة طيران كانت معلقة على الحائط تحت ضوء كهربائي منير. حيث إن هذا كان أكثر من مجرد رسم تخطيطي، مع تسمية جميع أجزاء الآلة. أجنحة. المراوح. الدفة. المحرك. من كان المقصود؟

كان باب بوي مفتوحًا بعض الشيء، والنور مطفأ، لكن صوت الأصوات الناعمة كان يتسرب من أسفل الباب المغلق في نهاية الممر. مشت هيلينا إلى الأمام، ووضعت أذنها هذه المرة على الباب الخشبي، الذي أحدث صريرًا خفيفًا عندما استندت إليه. بدا أنه لا فائدة من التظاهر بالتسكع، والتقاط كلمة هنا وهناك. كانت هناك أشياء تحدث في هذا المنزل تتطلب إجابات وربما كانت الجرأة هي الطريقة الوحيدة لاكتشافها.

فُتِح الباب بقوة وسقطت داخل الغرفة، وقعت على ركبتيها محدثة ضربة قوية.

- أاووووه... صرخت وقد شعرت بحرارة أسفل ظهرها. نظر إليها ستانلي. كانت أكمام قميصه مرفوعة حتى مرفقيه وكان وجهه مشرقًا ومتحمسًا.

- هيلينا... قال بصوتٍ هادئ: كم هو لطيف منك الانضمام إلينا. قالها كما لو كانت مدعوة إلى حفل شاي، ويبدو أنه غير مدرك للساعة المتأخرة للغاية. ناهيك أن هيلينا لم تتلق دعوة ولم يكن هناك صينية بها أكواب وقطعٌ من الكعك يمكن رؤيتها.

وقفت هيلينا في عجلة من أمرها، والدم ينبض في رأسها. كانت الغرفة مملوءة بالكتب. الكتب الموضوعة فوق الكتب تصطف على الجدران الأربعة، حتى السقف تقريبًا. لكنها لم تكن مكدسة على طول الجدران فحسب، بل موضوعة أيضًا في صفوف بارتفاع الكتفين تميز الغرفة مثل رقعة الشطرنج العملاقة. وقفت هيلينا على أطراف أصابعها ورأت أنه توجد في المنتصف مساحة كبيرة بما يكفي لوضع سبورة صغيرة قائمة وكرسيين ومكتب مدرسي خشبي. كانت الضبية تجلس على المكتب، وقد قطبت حاجبيها بدهشة.

- من فضلك هل يمكنك إغلاق الباب، لا نريد إزعاج بقية المنزل. هيا، ألق نظرة على الكتب في أثناء سيرك. قال ستانلي وهو يشير لها بأن تتبعه.

أغلقت هيلينا الباب بهدوء، ومشت عبر متاهة الكتب إلى وسط الغرفة، وأصابت بطريق الخطأ مجلدًا أو مجلدين بمرفقها (فوضعتهما في مكانهما، خوفًا من أنها إذا لم تفعل ذلك فسوف تنهار الغرفة بأكملها من حولها، مثل لعبة الدومينو كبيرة الحجم).

كانت بوي تنظر إلى ستانلي بترقب. لقد سارع بالعودة إلى السبورة ووقف الآن أمامها. كان مكتوبًا على السبورة ما يشبه صفوفًا من المعادلات الرياضية بخط يد خطاط ماهر. وكانت رزم من الكرات الورقية مبعثرة على الأرض من حوله.

كانت هيلينا منزعجة بسبب عدم التحدث عن الاشياء التي تظهر في المنزل حيث إنه لا يجب الآن تجاهلها تمامًا.

- لماذا ... تعطي دروساً لبوي في وقت متأخر جداً من الليل؟

التقط ستانلي قطعة قماش ومسح الجانب الأيمن من السبورة حتى اختفت المعادلات. نفض قطعة القماش، فملأ الهواء بغيمة من غبار الطباشير. فسعلت هيلينا.

- يمكنك أن تبقي هذا سراً؟ أعتقد أنك قد تكونين قادرةً على ذلك، وإلا فلن تثق بك بوي كثيرًا. سأل ستانلي متجاهلاً سؤال هيلينا

نظرت هيلينا إلى بوي، وشعرت بمتعة كبيرة تغمرها. بدت ثقة بوي وكأنها شيء ثمين ويستحق الحصول عليه.

- نعم... أستطيع أن أحتفظ بسر. قالت هيلينا

رغم أن الأسرار الوحيدة التي طُلب منها الاحتفاظ بها من قبل كانت تتعلق بأشياء مثل مفاجآت عيد الميلاد أو هدايا عيد الميلاد. كان لديها شعور قوي بأن الأسرار في هذا المنزل ستكون مختلفة تمامًا. كانت كفاها تتعرقان، فمسحتهما بقميص نومها.

تنحنح ستانلي، ونظر إلى بوي. أومأت بوي له برأسها قليلاً.

- كما تعلمين، تم توظيفي منذ بضعة أشهر لدى الآنسة ويستكوت كمعلم خاص. تعليم بوي هو متعة. إن لدى بوي القوة لعرض قدراتها على مجموعة واسعة من المواضيع. وبشكل خصوصي جيدة في موضوع الهندسة ... وخاصة مجال الطيران الذي يعد أحد اهتماماتي الخاصة.

نظر ستانلي إلى بوي نظرة فخر، مثلما يفعل أحد الوالدين لطفله.

ابتسمت بوي ابتسامة عريضة لم ترها هيلينا من قبل. لقد أشرق وجهها إشراقة شبيهة بالنجوم.

- إن الأوقات صعبة في عائلة ويستكوت بعد رحيل بقية الموظفين. قال ستانلي وقد تصلّب صوته.

تذكرت هيلينا نسخة ستانلي المشهورة من كتاب إدارة الأسرة الذي ألفته السيدة بيتون. في تلك اللحظة أدركت الدور العظيم الذي لعبه في هذا المنزل، حيث قام بتعليم بوي محاولاً تعويض الموظفين الذين غادروا.

- إني مصمم على متابعة دراستي الخاصة على الرغم من واجباتي المنزلية المفاجأة، وإن بوي ستظل تتلقى التعليم الذي تم تغييني لتقديمه. سوف تحقق أشياء رائعة – تمامًا كما تتمنى عمتها. أشار ستانلي إلى السبورة. كنا نعمل معًا في المساء على مبادئ الطيران. هل سمعت عن الأخوين رايت وآلاتهم الطائرة؟

أومأت هيلينا برأسها، وهي تستذكر الصور المعلقة على الجدران.

- تمامًا ... مثل عمل والدي في مجال السيارات، إن موضوع تصميم آلات الطيران، جديد وجريء. تخيل أجنحة الطيور. القوة والإمكانات. قالت.

- قد نطير جميعًا في الهواء ذات يوم إلى أماكن جديدة، مثل ببغائك الجميل. قال ستانلي بحزن.

- لكن ... هذا ... يبدو مستحيلًا. قالت هيلينا: لم يطِر الأخوان رايت في الهواء أكثر من دقيقتين.

- مستحيل؟ ... هيلينا، لا يوجد شيء مستحيل في هذا العالم! قال ستانلي.

- تخيلي لو أن أعظم المخترعين في العالم قد تبعوا هذا الرأي. يعتقد السيد أوستن ووالدي أن السيارة ستصبح ذات يوم من الأشياء المعروفة ومتاحة للجميع. لماذا لا تطير الآلات أيضًا؟ من المعروف أن الأفكار الصغيرة تحول المستحيلات إلى إمكانيات.

أمعنت هيلينا النظر فيه، وقد ترسخت الكلمات في عقلها. التفتت إلى بوي، ومشت نحو مكتبها.

- ما زلت أجد رسومات آلات الطيران الخاصة بالأخوين رايت لقد رسمتهم، أليس كذلك؟

- نعم قالت بوي وهي تعض طرف قلمها الرصاص.

- إنهم حقًا جيدون جدًا. ولكن لماذا نعلقهم على الجدران؟ سألت هيلينا.

نظرت بوي إلى ستانلي.

- تُظهر رسومات بوي الكثير من المهارة. لكن السيد ويستكوت لا يهتم للمهارة في الوقت الحالي. قال ستانلي بتردد: في الحقيقة، إنه غير مهتم لأشياء كثيرة مطلقاً.

تذكرت هيلينا كيف كانت بوي تنظر إلى والدها بشغف أثناء فحص الساعة، وكيف

كان يميل دوماً نحو الساعات بدلاً من ابنته.

- كم هو مؤسف أن تضع بوي الرسومات على الحائط للفت نظر والدتها. فكرت هيلينا.

أطرقت الفتاة برأسها وبدأت بتظليل جناح آلة طيران وقالت:

- لقد كتبنا رسالة إلى الأخوين رايت. نعتقد أننا صممنا طريقة لنبقي آلاتهم في الهواء لفترة أطول.

- ولكن كيف؟ سألت هيلينا.

لقد بدا الأمر مستحيلاً. كيف يمكن لمعلم شاب وفتاة تبلغ من العمر اثني عشر عامًا أن يعرفا أكثر من اثنين من أشهر المخترعين في العالم؟

- سأدرس العلوم الميكانيكية في جامعة كامبريدج بدءً من سبتمبر». قال ستانلي: سأكون أول فرد في عائلتي يذهب إلى الجامعة، ولكن لا يزال والداي في حيرة من أمرهما ولا يتفقان مع هذا الأمر تمامًا. لقد تعلم والدي مهنته في أثناء عمله، ولكنني أريد أن أتعلم المزيد عن نظرية الأشياء، وأن أفهم بشكل صحيح كيفية عمل الآلات. الطيران هو أحد مجالات اهتماماتي العديدة ويبدو أنني نقلت هذا الاهتمام إلى بوي. إن الآنسة ويستكوت معجبة باكتشافاتنا وهي تدعم جهودنا بشكل كامل. كان صوته يعلو ويعلو.

توسعت عينا هيلينا. تذكرت أن ستانلي أخبرها أنه تولى هذا المنصب في هذا المنزل بسبب الكتب التي يمكن أن تساعده في دراساته الخاصة. لم يكن مجرد مدرس. كان على وشك الالتحاق بإحدى أشهر الجامعات في العالم، مما يعني أيضًا أنه كان ذكيًا للغاية. لقد أصبحت معجبة به أكثر وأكثر. ولكن بينما كان ستانلي وبوي يعملان على خططهما الطموحة، جل ما كانت تفكر فيه هيلينا هو محنة عائلة فوكس بسبب تصرفات السيد ويستكوت، والتهديد الذي كان يخيم على هيلينا ووالدها. شعرت هيلينا بارتعاش في عينها اليسرى. كانت في حاجة إلى معرفة ما إذا كانت بوي تعرف الأسباب الكامنة وراء سلوك والدها غير المبرر. لكن إخبار بوي بالحقيقة

الكاملة بشأن العقد الموقع يعني أنها خرقت قاعدة السيد ويستكوت. إذا اكتشف أنها أخبرت ستانلي وبوي بالعقد، فيمكنها أن تقول وداعًا لأوربت وبقية ممتلكاتهما.

قال ستانلي بأنه يثق ببوي كثيراً، لكن هل يمكنها الوثوق بها أيضاً؟

17

أجزاء الآلة

- لا، لم يكن والدي ليفعل ذلك. قالت بوي وقد رمت بكرسيها إلى الخلف حتى ارتمى في كومة من الكتب.

تهاوت الكتب فوق الكتب، ورمت بالمزيد من الكتب التي تهاوت على الأرض في كومة.

- أووه! حذار وإلا استيقظ كل من في المنزل! قال ستانلي متوجهاً إلى الأمام لإنقاذهم.

- لم يكن والدي ليأخذ ممتلكات عائلة أخرى. لن يجعل السيد فوكس أو والدك يوقعان مثل هذا العقد قالت بوي غير آبهةٍ بكلام ستانلي الذي لم يستطع أن يوقف سقوط الكتب على الأرض واحدًا تلو الآخر.

- لكنه فعلها. قالت هيلينا ببساطة.

- أنت لا تعرفين والدي. إنه شخص جيد. قالت بوي وقد ضمت ذراعيها لصدرها.

شعرت هيلينا بالانزعاج.

- لكنه ليس كذلك حقًا» فكرت هيلينا. «لماذا لا تستطيع بوي رؤية ذلك؟ والدتك في فرنسا. والدك فظ مع عمتك. إنه يتجاهلك ... ويتجاهل رسوماتك. ماذا يحدث يا بوي؟

عضت بوي على شفتيها معًا ولم تجادل، وهذا ما جعل هيلينا متأكدة من أنها تخفي المزيد من الأسرار.

- يجب أن تكون هذه الكتب على الرفوف في المكتبة، لا مكدسة هنا لإفساح المجال للساعات. - ما الذي يجعل والدك مهووساً بمراقبة دقات الساعات؟ قالت هيلينا وهي تنظر إلى أكوام الكتب المبعثرة في أرجاء الغرفة

كان ستانلي لا يزال يلتقط الكتب، ويتمتم في نفسه. انحنت بوي لالتقاط كتابين، بينما كانت تعض شفتها السفلى.

أحست هيلينا بوهج في صدرها فاستدارت وعبرت فوق الكتب وصولاً إلى الباب. لقد كانت مخطئة في اعتقادها أن بوي يمكن أن تكون حليفًا. كانت تأمل فقط ألا تركض بوي إلى والدها أو عمتها وتكرر ما قالته لها هيلينا بشأن العقود التي تدور على مدار الساعة. إذا فعلت ذلك، فإنها ووالدها سيكونان في ورطة هائلة.

***

كانت هيلينا تسير ذهابًا وإيابًا في غرفتها. لم تصدق الصبية أن والدها قد أبرم العقود أو أخذ أغراض عائلة فوكس. لم تستطع السماح لتلك العائلة الفقيرة بأن ينتهي بها الأمر في ورشة العمل نتيجة لأفعال السيد ويستكوت الفظيعة. وكان عليها أن تتأكد من أن والدها لم يسمح بحدوث الشيء نفسه لهما ، ولهذا هي في حاجة إلى العثور على بعض الإجابات. ارتدت هيلينا سترتها وفتحت باب غرفة نومها. نزلت السلالم المقمرة خلسة، وكانت دقات الساعة تخفي أصوات ألواح الأرضية بين الحين والآخر. بدأت بحثها في غرفة ساعات الجيب، وفتحت كل ساعة في حالة وجود حجرات سرية تخفي المزيد من الرسائل المخفية.

تسللت إلى غرفة الساعات الطويلة، ووقفت أمام الساعات ذات الرقاص المدور، وقد تبين أن السيد ويستكوت معجبًا بها بشكل خاص. كانت الغرفة باردة كالقبر ورحبة في الوقت نفسه، فركت أنفها. بدت الساعة مألوفة بشكل غامض، لكنها لم تدرك ماذا كان يحدث. تأرجح الرقاص بشكل مخيف في الظلام، وأعاد وجه القمر الملائكي نظرتها. بدأت الساعات تدق على النصف، مما جعل هيلينا تقفز. لم تظن أنها ستعتاد على الدقات والضربات. بدأت صاعقة من الكلمات تتخبط داخل رأسها مثل محادثة غير مرغوبة استمرت لفترة طويلة. وضعت يدها على قلبها الذي ينبض بسرعة بينما اختفى الصوت. كانت في حاجة إلى الإسراع. لن يكون من المفيد أن يقبض عليها السيد ويستكوت بعد عودته من تجواله الليلي الغامض.

في الطابق الأرضي، توقفت خارج باب مكتب السيد ويستكوت. لم يكن هناك

شعاع من الضوء يأتي من تحته، ولم تسمعه يعود من حيث كان.

«أين يذهب ليلاً؟ وضعت يدها على مقبض الباب وأدارته بتردد. لقد كانت مقفلة بالطبع.

- هيلينا؟

أدارت هيلينا، ووضعت يدها على فمها وقالت:

- كنت فقط... كنت فقط... شهقت وقلبها ينبض بقوة بين أضلاعها.

- كنت أدرس في المطبخ وسمعت ضجيجاً. ألا تستطيعين النوم؟ قال ستانلي وهو يحمل قلم رصاص في يده.

هزت هيلينا رأسها بينما عاد قلبها ينبض بشكل طبيعي.

- هيا بنا، سأسخن لنا بعض الحليب. هذا ما كانت تفعله أمي عندما أكون قلقاً في الليل. ابتسم ستانلي سريعًا لهيلينا، ثم استدار ونزل أسفل درج الطابق السفلي.

نظرت هيلينا إلى إحدى الساعات الطويلة. كان ستانلي يدرس في الساعة الحادية عشرة مساءً، عندما كان معظم الناس نائمين في الفراش. منذ فترة قصيرة كان يقوم بتدريس بوي المعادلات ويتحدث عن الآلات الطائرة في غرفة مليئة بالكتب. تنهدت هيلينا قليلاً وأحسّت بالتعب فجأة بسبب كل ما يحدث في المنزل.

وقف ستانلي عند الموقد لتسخين الحليب في وعاء نحاسي. حرك الحليب بملعقة خشبية، وحركه في دوائر منومة. استندت هيلينا على الحائط. كانت طاولة المطبخ مليئة بالكتب المغلفة بالجلد وأوراق مليئة بالكتابة اليدوية الأنيقة. وفكرت في المكان الذي حصل عليه ستانلي بشق الأنفس في جامعة كامبريدج ودوره في تدريس الصبي حتى يتمكن من كسب ما يكفي من المال لإعالة نفسه.

- لماذا تقوم بالطهي والعناية بالمنزل يا ستانلي؟ لماذا تحاول جاهداً إرضاء السيد ويستكوت، خاصة أنه ... لا يقدر جهودك؟

- لا بد أن هذا كله يبدو غريبًا بعض الشيء بالنسبة إليك وإلى والدك. ابتسم

ستانلي وهو ينظر إلى الحليب فأومأت هيلينا برأسها. التفت ستانلي للنظر إليها: تتكون السيارات وآلات الطيران من العديد من الأجزاء الميكانيكية المختلفة. في بعض الأحيان تنكسر هذه الأجزاء وتحتاج إلى إصلاح. تقول والدتي في كثير من الأحيان إن الناس مثل الآلات... قد يحتاجون أحيانًا إلى القليل من الإصلاح أيضًا.

- هل تتحدث عن...السيد ويستكوت؟ وبوي؟ قالت هيلينا.

- أومأ ستانلي برأسه، رافعاً المقلاة عن الموقد عندما بدأ الحليب في الغليان ثم سكبه في كوبين.

- لكنك سمعتني أخبر بوي عن العقد الذي جعل والدي يوقعه من أجل السيد ويستكوت ... وما حدث لعائلة فوكس. قالت هيلينا: السيد ويستكوت ليس لطيفًا على الإطلاق ... فهو غريبٌ ... وفظيع وإنه ... يستمر بالخروج ليلًا و ...

- آه! لكن ... قاطعها ستانلي: في بعض الأحيان، لا يكون من الجيد اتخاذ قرار بشأن شخصية الشخص أو ظروفه حتى معرفته بشكل أفضل. هناك أسباب تجعل الناس يتصرفون بالطريقة التي يتصرفون بها، وهي الأسباب التي غالبًا ما تصبح واضحة بمرور الوقت. لقد عامل السيد ويستكوت عائلة فوكس بشكل سيئ، ولكن قد يكون هناك سبب لسلوكه.

- حسنًا، لا أستطيع بالتأكيد التفكير في سبب وجيه وراء تفضيل السيد ويستكوت ساعاته على ابنته ومعاملة عائلة فوكس بهذه الطريقة. قالت هيلينا متناولةً من ستانلي كوبًا وهي تنفخ في الحليب الدافئ «هذا أمر فظيع.»

شرب ستانلي حليبه وهو ينظر إلى هيلينا بثبات وقال:

- لست متأكدًا قليلاً مما سيكون عليه الحال عندما أبدأ في الجامعة. أتخيل أن الطلاب الآخرين قد يكونون مختلفين عني، ولديهم مزايا في الحياة لم أطلع عليها. لكنني أرى الآن أنه حتى أولئك الذين لديهم المزايا، مثل عائلة ويستكوت، لا يزال من الممكن أن يعيشوا حياة مضطربة. السيد ويستكوت لديه نوع غريب من الحزن خلف عينيه. أرى ذلك في عيون ابنته أيضًا. لكن ليس من شأني التدخل في شؤونهم،

فأنا أقوم بالمهمة التي أتقاضى أجرًا مقابلها، وأحاول أن أساعدهم في أثناء وجودي هنا.» وتبسم ستانلي لهيلينا بلطف: أليس هذا ما سيفعله أي شخص إذا ما رأى من يحتاجون إلى مد يد المساعدة؟

أومأت هيلينا برأسها، وتذكرت كل اللطف الصغير الذي تلقته هي ووالدها بعد وفاة والدتها. الوجبات الساخنة وعروض الغسيل والمساعدة في التنظيف. كان ستانلي على حق. ربما كانت في حاجة إلى أن تكون أكثر تفهمًا قليلًا.

- لقد استمتعت بالتحدث إليك هذا المساء، هيلينا. لكن يجب أن أذهب إلى النوم، لدي الكثير لأقوم به في الصباح.

كانت عينا ستانلي متعبتين كثيراً إذ كان يعمل طوال ساعات النهار والليل من أجل عائلة لا تبدو كالعائلة على الإطلاق.

- سأغسل الأكواب ووعاء الحليب عندما أنتهي. قالت هيلينا

- أستطيع أن أفعل ذلك. رفض ستانلي.

- أنا أصر. قالت هيلينا بحزم: اذهب الآن... من فضلك. لن يستغرق الأمر مني دقيقة واحدة.

- حسنًا، إذا كنت متأكدةً. قال ستانلي ممتناً

- متأكدةٌ تمامًا. قالت هيلينا مبتسمة.

جففت هيلينا يديها بقطعة قماش واستدارت لتنظر إلى المطبخ المرتب. حبست التثاؤب. لقد كان يومًا طويلًا ومثيرًا للدهشة وكانت مستعدة للنوم. عندما استدارت للمغادرة، أنار المطبخ ضوءٌ قريب ثم اختفى. عبست هيلينا، واستدارت لتنظر إلى ألواح الزجاج الداكنة. أصوات أقدام تمشي خارجاً. كان هناك شخص ما في الخارج في حديقة السيد ويستكوت ... ومعه فانوس. وقفت على أطراف أصابعها عند نافذة الطابق السفلي. لم تكن طويلة بما يكفي لرؤية الحديقة أعلاه. هل كان السيد ويستكوت؟ ترى من أي مكان قادم، ولماذا كان الآن في الحديقة ليلاً؟ بدا ستانلي

غير آبهٍ بتجوال السيد ويستكوت في أثناء الليل. وربما لو تبعته ستكتشف السبب وراء سلوكه الغريب.

18

بطاقة بريدية

توجهت هيلينا إلى الباب الخلفي وفتحته، وتسللت عبر الدرجات الحجرية المؤدية إلى حديقة السيد ويستكوت وأطلت عبر العشب تحت ضوء القمر. كانت هذه هي المرة الأولى التي تكون فيها في الحديقة، حيث لم ترها من قبل إلا من نوافذ الطابق العلوي. غمر القمر أوراق الشجر بضوء أبيض ناعم، وكانت الأشجار تتأرجح وتلوح كما لو كانت تلقي التحية. كان هناك أرنب وحيد يقفز في الظل. كانت سعيدة بصحبته بينما كانت عيناها تتابعان الضوء الذي كان يتحرك بالقرب من جدار الحديقة. كانت تتبع ظلها، صعدت هيلينا الدرجات المتبقية بسرعة وركضت عبر العشب الطويل جدًا، فأحست بدغدغة كاحليها العاريين. فجأة أصبحت نقطة الضوء أكثر سطوعًا ثم اختفت، كما لو أن فم عملاق ابتلعها. دارت حول نافورة حجرية مهجورة بلا ماء، ومرت بمقعد خشبي تتدلى منه شرائط من الطلاء المتقشر كالجلد. تسارعت ضربات قلبها في صدرها، وانحنت خلف صف من الأشجار.

كان هناك مبنى من الطوب يقبع خلف المنزل مكون من طابق واحد، وهو إسطبل قديم. ومع ذلك، لم تعد هناك خيول الآن، بل مجرد فناء صغير مرصوف بالحصى وثلاثة أبواب للإسطبل. كان أحد الأبواب مفتوحًا من النصف الأعلى، وكان هناك ضوء يومض في الداخل. انحرفت هيلينا نحو الباب نصف المغلق وجلست تحته. كانت الصدمات والضربات تأتي من داخل الإسطبل. خطرت لها فكرة مفاجئة. هل كان هذا هو المكان الذي كان السيد ويستكوت يخزن فيه أغراض عائلة فوكس؟

ربما عليها أن تواجهه وتصر على إعادة ممتلكاتهم على الفور! تذكرت نظرات عينيه الحادة مما جعل هيلينا ترتجف وتنسى الفكرة فوراً. صوت طقطقه. تجمدت هيلينا. لقد وخزت رائحة الياسمين أنف هيلينا القابعة من فوق باب الاسطبل.

- كاثرين ويستكوت. شعرت هيلينا أن يديها رطبتان وباردتان في آن واحد.

- أين هما؟ تمتمت كاثرين وكانت رائحة الياسمين تزداد قوة. راحت تقترب من

الباب نصف المغلق.

أخذت هيلينا نفسًا عميقاً وركضت مسرعة حول جانب المبنى، انطوت على نفسها بالقرب من وعاء نباتات كبير مقلوب. المزيد من خشخشة وسحب الأشياء عبر الأرض. ماذا كانت كاثرين ويستكوت تفعل؟ ثم سمعت صوت إغلاق الباب. أدارت كاثرين ويستكوت ظهرها إلى الظلام والفانوس يتأرجح في ذراعها اليمنى.

انسلت هيلينا خلفها مختبئةً بظلال الجدار العالي من الطوب الذي يفصل حديقة السيد ويستكوت عن حديقة جيرانه.

توقفت مؤقتًا، وشاهدت كاثرين تمر إلى جوار المنزل متوجهة نحو الممر المؤدي إلى شارع ترومبيتنجتون. كانت البوابة الجانبية مفتوحة، وكانت الشوارع مشعّةً بضوء متوهّجٍ عبر الممر. سمعت هيلينا شخير حصان، ورأت عربة تنتظر. استندت إلى الحائط، وكان الطوب باردًا ومتفتتًا على راحتيها.

كانت كاثرين ويستكوت تتسلل حول حديقة شقيقها ليلاً. كانت هيلينا تعتقد أن الناس يتسللون في الظلام فقط عندما كانوا يفعلون أشياء يريدون إخفاءها.

***

استيقظت هيلينا على صوت ضجيج وضوضاء قادمة من الغرف الموجودة أسفل غرفة نومها.

- « هيكوري ديكوري» صاح أوربت من تحت الغطاء.

قفزت من السرير وسحبت الستائر. كانت الساعة قد تجاوزت السابعة والنصف صباحًا، ومع ذلك فقد تجمع حشد صغير من المتفرجين على الرصيف خارج منزل السيد ويستكوت.

كان ستانلي يقف على الدرجات، وابتسامته تملأ وجهه. كان يوجه رجلاً يرتدي الزي الأحمر. يقف على سلم يحمل خرطومًا سميكًا.

كانت هيلينا تنظر الى طول الخرطوم الذي يصل إلى شاحنة حمراء يجرها حصان

وعليها الحرفان CCVB على جانبها. شركة المكنسة الكهربائية البريطانية.

سمعت طرقات سريعة على بابها، فدخل والدها بوجه مضيء وقال:

- لقد قام السيد ويستكوت بتعيين إحدى شاحنات التنظيف التابعة لشركة htooB لتأتي وتزيل الغبار من غرف الساعة. بسرعة، هيلينا! يجب أن نكون حاضرين للتأكد من عدم تعرضها للتلف. لقد سمعت أشياء عظيمة عن هذه الآلة ... هل تصدقين ... آلة يمكنها إزالة الغبار من الغرف! من كان يتصور مثل هذا الشيء؟

ارتدت هيلينا فستانها وربطت حذائها نصف ربطة، وركضت إلى الطابق السفلي.

كانت بوي تقف عند مدخل غرفة الساعة الطويلة، مذهولة مما رأت.

- هل سبق لك أن رأيت أي شيء مثل ذلك؟ همست لهيلينا. لقد نسيت ما دار بينهما من حديث الليلة الماضية. «لقد شاهد ستانلي إعلانًا في إحدى صحف لندن عن هذه الآلة. عندما رآه والدي، قال إنه يجب إحضاره إلى كامبريدج على الفور لتنظيف غرف الساعة. كانت هيلينا ترى أنها كانت نظيفة للغاية بالفعل.

- «انتبهوا للساعات! اهتموا بالساعات!» صاح والد هيلينا الذي كان يتنقل في الغرفة حاشراً نفسه بين الساعات والخرطوم فشعرت هيلينا بضحكات داخلها ثم انبعثت ضحكة مكتومة من شفتي بوي.

نظرتا إلى بعضهما بعضاً وابتسمت هيلينا.

- لا. لم أر شيئًا غريبًا كهذا في حياتي كلها.

تلاشت ابتسامة بوي قليلًا، وحكت أنفها وقالت بهدوء:

- ما قلته الليلة الماضية ... أجد صعوبة في تصديق أن والدي يمكن أن يفعل شيئًا كهذا ... هذا فظيع!

- أنا آسفة يا بوي، لكن ما قلته هو الحقيقة. قالت هيلينا وقد قفت قريبة من بوي حتى تلامس ذراعاهما.

- هل ستأتين معي؟ أريد أن أريك شيئًا ما. قالت الفتاة وقد أدخلت يديها في جيوب سروالها.

أومأت هيلينا برأسها وتبعت بوي إلى غرفة ساعات الجيب المجاورة. أغلقت بوي الباب وذهبت لتقف إلى جوار النافذة. أخرجت قطعة من جيبها ومدتها إلى هيلينا. لقد كانت بطاقة بريدية. في المقدمة كان هناك رسم لسيدة على تلة تحمل مظلة حمراء ياقوتية. تنظر من خلال أشجار النخيل وصولاً إلىٰ بحر الزبرجد. في الجزء العلوي من البطاقة المكتوبة باللون الأبيض، كُتب: «فندق إمبريال، ساحل العاج.» قلبتها هيلينا لتقرأ الكلمات الموجودة خلفها:

1905

أعزائي،

آمل بشدة أن أعود إلى المنزل الشهر المقبل!

لقد اشتقت إليكما كثيرًا، وإني أخيراً أشعر بالتحسن.

أنا أفكر فيكم طوال الوقت وأنا

لا أريدكم أن تقلقوا بشأن شيء ما. أنا لا أستطيع الانتظار

حتى نجتمع جميعاً. سأكتب مرة أخرى قريباً

لتعرفوا ترتيبات سفري.

مع حبي،

الأم.

- لم أسمع شيئًا من أمي منذ وصول هذه البطاقة البريدية الأخيرة قبل ثلاثة أسابيع ويومين. أنتظر وصول البريد كل يوم و ... لا توجد أخبار. قالت بوي مستاءة.

- لكن لا بد أن والدك يشعر بالقلق الشديد. ألم يقل شيئًا؟ سالت هيلينا.

- أريد أن أتحدث معه بشأن هذا الأمر، لكن عمتي كاثرين قالت إنه لا ينبغي لي أن

أقلقه. تقول ... إنه لم يكن على ما يرام. قالت بوي.

أعادت هيلينا البطاقة إلى بوي. كانت متجعدة كثيراً كما لو تم إعادة كتابتها مرات عدة.

- هل اسم والدتك إيفانجلين؟ سألت هيلينا وهي تتذكر تمتمات السيد ويستكوت في إحدى غرف الساعة قبل بضع ليالٍ.

- لماذا؟ سألت بوي.

- منذ ليلتين، عندما هرب أوريت... سمعت والدك يقول هذا الاسم، لقد قال اسمك أيضًا. قالت هيلينا.

- لذا، فهو يفكر فيها. قالت بوي وقد أشرقت عيناها قليلاً.

- ولكن، طبعاً، يجب عليه ذلك! قالت هيلينا بحزم: عندما لا يكون شخص ما هنا، لا يتوقف عن ذكرها فحسب. تنهدت بوي: ولكن يبدو الأمر كما لو أن والدتك اختفت فجأة؟ لماذا ذهبت إلى فرنسا؟ سألت هيلينا: تقول في البطاقة إنها تكتسب قوة.

- لقد ذهبت إلى منتجع صحي. قالت بوي ملتفة لتنظر من النافذة.

- هل كانت... هل هي ... مريضة؟ سألت هيلينا.

هل كانت والدة بوي مريضة، تمامًا كما كانت والدتها؟ ...

- ليس تماماً، قالت بوي وهي تطوي البطاقة وتضعها في جيبها. تنهدت هيلينا. كان التحدث إلى بوي بمنزلة رقصة غريبة ... خطوة للأمام واثنتان للخلف: ربما يمكننا الذهاب إلى المدينة إلى مكتب البريد، وإرسال برقية إلى الفندق؟

- لقد ساعدني ستانلي على القيام بذلك بالفعل. قالت بوي: لقد تلقينا ردًا يفيد بأنها غادرت. لم تترك عنواناً.

- أووه! قالت هيلينا مستغربة: كم هو غريب ومقلق!

- ها أنت ذي! قال ستانلي وهو يومئ برأسه نحو السلة مندفعاً إلى الغرفة وفي

يديه سلة من الخيزران من أجل عائلة فوكس: هل يمكنك أن تسدي لي معروفًا بتوصيل هذه المؤن إلى عائلة فوكس؟ من فضلك أخبريهم أنني آسف جدًا للمصاعب التي واجهوها وأرغب في المساعدة بأي طريقة ممكنة. السيد فوكس رجل طيب. ودفع السلة إلى يدي هيلينا: من فضلك أبلغي السيد فوكس تحياتي وأخبريه أنني... آسف. أمسكت هيلينا مقبض السلة بإحكام، على أمل ألا تكون العائلة قد انتقلت فعلاً إلى ورشة العمل.

- أنت تعتقد أنه كان خطأ والدي ... عائلة فوكس فقدوا أشياءهم؟ سألته بوي بهمس.

- نعم، هو كذلك. قال ستانلي بلطف: ولكن كما كنت أقول لهيلينا الليلة الماضية، سيكون هناك سبب وراء أفعاله. لا أعتقد أن والدك رجل قاس.»

- سأذهب إلى السيد فوكس مع هيلينا» قالت الفتاة، ووقفت منتصبةً، ووضعت يديها في جيوب سروالها.

- لكنك ... لم تخرجي منذ أسابيع ... هل أنت متأكدة ...؟ قال ستانلي وقد تلوّن وجهه ذعراً.

- يجب أن أرى بنفسي ما فعله والدي بهذه العائلة. قالت بوي بحزم.

ابتسمت هيلينا لبوي ابتسامة صغيرة، شاكرة أنها قد غيرت رأيها. سيقومون بزيارة سريعة لعائلة فوكس، وستكون قادرة على جمع أجزاء الساعة التي نسيتها في اليوم السابق، الأمر الذي سيسعد والدها. لكنها تلعثمت عندما فكرت فيما قد يجدونه عند وصولهم إلى متجر السيد فوكس، وما سيكون رد فعل بوي عندما تعلم التبعات الحقيقية لسلوك والدها الرهيب وغير المبرر. شعرت بالخوف قليلاً لكنها علمت أن هذا ليس الوقت المناسب للشعور بالضعف. لقد كانت تأمل فقط أن زيارة السيد فوكس ستقودهم خطوة أخرى نحو اكتشاف الحقيقة.

19

الجسر

لا بد أنهما يبدوان ثنائيًا غريبًا، فكرت هيلينا بينما كانت هي وبوي تسيران نحو وسط المدينة. فتاة ترتدي زي صبي، تحمل ببغاء في حقيبة، وفتاة تحمل سلة محملة بالمؤن. كانت عيون أوربت مشرقة، ورأسه يدور في المشاهد والأصوات: سيارات مزدحمة وسط رجال وسيدات يرتدين فساتين جميلة وقبعات شاش. طلاب يركبون دراجات مرتدين أكمام قصيرة، الطيور تزقزق في الأشجار، وأصواتهم تبعث ألحاناً في الهواء.

- الأم الجميلة، هامبتي ... دمبتي، كلهم يسقطون. صرخ أوربت، بينما كانت سيدة ترتدي قبعة كريمية كبيرة مزينة بأزهار التوت الأحمر بلون الدماء. استدارت السيدة ونظرت إلى أوربت وهيلينا وبوي خجلةً مما قاله. كتمت هيلينا ضحكتها. ابتسمت بوي ذات الخدين الممتلئين. مستنشقين الهواء المنعش. كانتا تسيران على طول شارع ترومبيتنجتون، مرورًا بمبنى حجري ملون بالأصفر، أعطى هيلينا انطباعًا بأنها قلعة صغيرة، جدرانها مشققة ونوافذها مقوسة.

- هل هذه كلية جامعية أيضًا، مثل بيترهاوس؟ سألت هيلينا بوي، وهي تحدق في قمة حجرية منحوتة فوق مدخل مفتوح. قال رجل كان مرتدياً قبعة يقف عند المدخل: هذه كلية بيمبروك يا آنسة. قال نافخاً صدره كما فعل أوربت عندما كان يحاول إثارة إعجابه. لقد قمت بتعليم بعض من خيرة الناس في بلدنا، بما في ذلك أصغر رئيس وزرائنا على الإطلاق، السيد ويليام بيت الأصغر، الذي كان في الرابعة والعشرين من عمره فقط. علاوة على ذلك، منذ ما يزيد قليلاً عن مائة عام، ساعد في قيادة بريطانيا في الحروب ضد نابليون وفرنسا. ربما كانت هذه الكليات عبارة عن قلاع من نوع ما - معاقل لإبقاء الطلاب مختبئين عن العالم الخارجي بينما يتعلمون أشياء عظيمة ومهمة، مما يسمح لهم بالقيام بأشياء عظيمة ومهمة لاحقًا في حياتهم.

فكرت في طموحات ستانلي للدراسة في كامبريدج ومساعدة الأخوين رايت في

اختراعاتهم، ومخاوفه بشأن الاختلاف عن الطلاب الآخرين. وبتصميمه واهتمامه بالآخرين، كان يستحق مستقبلاً جيدًا.

- لماذا أنت مهتمة جدًا بالأخوين رايت؟ سألت هيلينا بوي، بينما يعبرون شارع بيمبروك.

- هل تريدين حقًا أن تعرفي؟ قالت بوي مداعبةً تاجه بلطف: حسنًا، لا أعرف الكثير عن العلم ... وأبي دائمًا يشعر بخيبة أمل كبيرة من النتائج التي أحصل عليها في امتحانات الرياضيات ... لكني مهتمة، نعم.

- إن رسوماتك رائعة حقًا. لم أذهب إلى المدرسة مطلقًا، لكن كان لدي مربية قبل مغادرة أمي. من المؤكد أنها لم تكن مهتمة جدًا بتعليمي أي شيء مفيد، لكن ستانلي ... حسنًا ... لم أقابل شخصاً مثله من قبل. قد لا يفهم والديه المستقبل الذي اختاره لنفسه، لكنه يتابعه على أي حال. أنا معجبة بذلك. قالت هيلينا.

- أنت في حاجة إلى ثلاثة أشياء من أجل الطيران. قالت بوي وتوقفت فجأة رافعة جناحيها كطائرة: رفع، ودفع إلى الأمام والسيطرة. يحاول الأخوان رايت استخدام هذه المبادئ لجعل آلات الطيران الخاصة بهم تأخذ إلى الهواء. لكن حتى الآن لم ينجحا. لقد درست أنا وستانلي تصميمات الآلات، وننظر إلى أجزائها منفردة ونعتقد أنه إذا نقل الأخوان رايت الدفة بعيدًا عن الأجنحة، فهذا سيسمح للطيار بزيادة السيطرة، والسماح لآلاتهم بالبقاء في الهواء لفترة أطول.

- لكن ... هل فعلت ذلك؟ سألت هيلينا وهي تحك أنفها.

- أعتقد أنه عندما يعلمك شخص مثل ستانلي أشياء مثيرة للاهتمام، من الأسهل التوصل إلى أفكار مثيرة للاهتمام. قالت بوي وعيناها تتلألأن: لم يكن كل شيء من صنيعي ... بل اخترع ستانلي معظمه. لقد كان يتحدث إلى أشخاص في الجامعة ... فهم متحمسون لذلك أيضًا. كحال عمتي كاثرين. أعتقد أنني أود الذهاب إلى الجامعة ذات يوم، ربما لدراسة العلوم الميكانيكية.

- أتمنى لو كنت جيدةً في شيء ما. قالت هيلينا وهي تشعر بالسعادة من أجل بوي

وبقليل من الحسد أيضاً، وتتساءل: كيف تمكنت من إيجاد شيء تستمتع به وتتفوق فيه؟

- هل تذهبين إلى المدرسة؟ سألت بوي.

- لا أستطيع أن أتخيل أن أدرس في فصل دراسي مناسب مع أطفال آخرين. «أود أن أجربه.» أومأت هيلينا وهي تفكر في صفها ذي النوافذ العالية، ووهج الشمس في الصيف، والصقيع الذي يرتسم على ألواح الزجاج في الشتاء، وحالات السعال ونزلات البرد التي تنتقل من طفل إلى آخر. مثل لعبة العلامة ومكتب المعلمة في المقدمة مع وضع العصا المخيفة فوقه، مما يشجع على الطاعة في جميع الأوقات. ثم فكرت في متاهة الكتب الموجودة في الطابق العلوي من منزل بوي، وفي تصميم ستانلي على التعلم.

- لن أحاول أن أتخيل شكل المدرسة أكثر من اللازم ... أنت محظوظة لأن ستانلي يتولى تدريسك ... وأتساءل ما إذا كان الأخوان رايت سيردان على رسالتك؟ قالت هيلينا وهي تسير: فقط فكري يا بوي. ربما يدعونك للذهاب إلى أمريكا... توقفت إذ تخلفت بوي عن الركب. سقطت أذرع آلتها الطائرة على جانبيها وكانت تحدق أمامها، وقد اختفى البريق من عينيها.

- أوه ...انظروا إلى الشارع. قالت هيلينا بفزع وهي تنظر إلى عربة تخلصت من حمولتها من الفحم عند تقاطع شارع ترومبيتنجتون وشارع سيلفر.

- عليك أن تسيري على طول شارع سيلفر، وتعبري الجسر وتذهبي على طول ذا باكس إذا كنت تريدين الوصول إلى المدينة. ناداهم رجل يرتدي ملابس سوداء موجهاً حركة المرور، في حين قام آخر بجرف الفحم بعربة إلى الشارع مرة أخرى.

- في هذا الاتجاه؟ صاحت هيلينا.

- على طول النهر همست بوي.

- أوه، كم هو جميل. لم أر النهر بعد. أود أن أرى القوارب. قالت هيلينا ببهجة.

أسرعت هيلينا عبر شارع سيلفر، بينما كانت بوي ترتجف خوفاً من تقدمها إلى الأمام، حتى اختفت المباني على كل جانب كي يتضح الجسر. كانت مجموعات من الرجال والنساء يجلسون في قوارب طويلة وضيقة ذات نهايات مربعة ومسطحة القاع – والتي سرعان ما علمت أنها تسمى بونت. قام الرجال الذين يقفون في الجزء الخلفي من كل زاوية بدفع أعمدة خشبية طويلة على مجرى النهر لدفع القوارب إلى الأمام. على طول ضفة النهر، كانت أشجار الصفصاف منغرسةً في المياه المتلألئة، بينما وضعت السيدات اللواتي يرتدين السراويل أغطية على ركبهن وسلال النزهة المصنوعة من الخيزران عند أقدامهن، المليئة بزجاجات البوب الشفافة، وزجاجات الشمبانيا وعلب الكعك. انتقلت ضحكاتهم وصيحاتهم عبر المياه واقتربت هيلينا من فوق الجسر، يتخللها فرحٌ بهذا المشهد الرائع. أدركت فجأة الهدوء الذي خلفها. قلة الخطى والنقيق وغناء أوربت. كانت بوي واقفةً على الجانب الآخر من الجسر. أخذت أوربت بالقرب من صدرها، كما لو كانت تحاول حمايته من شيء ما. كانت عيناها واسعة، لم تكن مستغربة بل خائفة، ألقت هيلينا السلة من ذراعها وركضت عائدة عبر الجسر.

- ما الخطب؟ سألت وقلبها يدق بين أضلعها. ألقت نظرة خلفها، توقعت أن ترى رجلاً يحمل فأسًا يركض نحوهم، لكنها بدلاً من ذلك رأت مشاة آخرين مسرعين؛ رجلاً يدفع عربة يدوية، وطلاب دراجات وسيارات أجرة تجرها خيول متناثرة. كانت عيون بوي لا تزال مندهشة. كانت يداها تهتز وهي تمسك أوربت. صرخ الطائر، «هيكوري-ديكوري»، ورمشت عيناها. تقدمت هيلينا، ومدت يدها إلى الأمام وأخذت أوربت بلطف من يدي بوي المرتجفتين. من الواضح أن بوي لم تتمكن من إخبار هيلينا بالمشكلة، وشعرت هيلينا بذلك الآن لم يكن الوقت المناسب للتساؤل عن سبب خوف الصبي. لقد بدأت تدرك أن طرح الأسئلة الأولى التي تخطر على بالها قد لا يكون دائمًا هو الأسلوب الأفضل. كان ستانلي على حق في اعتقاده أن هناك دائمًا سببًا وراء سلوك الشخص. ربما كان من الأفضل أن نترك الناس يتكلمون في وقتهم الخاص. لكنهما كانتا تحتاجان إلى عبور الجسر فوق النهر للوصول إلى روز كريسنت لتوصيل الطعام إلى عائلة فوكس وجمع أجزاء الساعة لوالدها.

- تعالي! قالت هيلينا وهي تمد يدها فنظرت إليها بوي وهي ترتعش، فطمأنتها بالقول: ليس هناك ما يدعو إلى الخوف حقًا. «أنا وأوربت هنا.»

بدأت بوي بتحريك عينيها، كما لو كانت تزيل المخاوف التي جمدتها على الجانب الخطأ من الجسر وقالت:

- سنجد طريقًا آخر للعودة إلى المنزل إذا كان الفحم لا يزال موجودًا ولم يحجب الطريق. سيكون كل شيء على ما يرام، يا بوي.. أعدك.

- وضعت بوي فجأة يدها في يد هيلينا ووافقت أن تمشي معها عبر النهر. الثقة التي وضعتها بوي فيها جعلت هيلينا تدفع كتفيها إلى الخلف وتعقد العزم على بذل قصارى جهدها لتصحيح الأمور التي سارت بشكل خاطئ للغاية بالنسبة إلى عائلة ويستكوت.

20

السيد فوكس

رنت هيلينا الجرس وفتحت باب متجر السيد فوكس. كان هناك رجل كثيف الشعر يكنس الأرض. كان رالف وشقيقتاه يجلسون على طاولة المتجر، ويضربون بأرجلهم الأرضية الخشبية. صاح رالف:

-أبي... هذه هي الفتاة التي كنت أخبرتك عنها. التي مع الببغاء. من منزل السيد ويستكوت.

قفز عن المنضدة وركض نحوهم، وهو ينظر مليّاً إلى السلة التي كانت هيلينا تحملها. أسند السيد فوكس الفرشاة إلى المنضدة ومسح يديه في سرواله.

- أنتِ! قال وهو يشير إلى بوي: كنت تجلسين في غرف الساعة بينما أعمل أحيانًا.

- إنها ... ابنة السيد ويستكوت. قالت هيلينا وأومأت بوي له برأسها بحذرٍ.

- ولديك الجرأة أن تأتي لزيارتنا هنا بعد ما فعله والدك بعائلتي ... قال السيد فوكس، وقد اشتاط غضباً.

- أوه لا يا سيد فوكس. قالت هيلينا وقد أحست أن بوي تصلبّت إلى جوارها، فأمسكت بيدها قبل أن تتمكن من الخروج من المتجر: لم تكن تعلم شيئًا عما فعله والدها.

- حقاً؟ قال السيد فوكس بفظاظة. نظرت بوي إلى عينيه بشجاعة فأومأت برأسها وأفلتت يدها من قبضة هيلينا فكانت عيناها تشعّان ناراً.

- أخبرني بكل ما فعله والدي. ولا تنس أي جزء. إذا كانت شخصيته ليست حقًا كما اعتقدت، فأنا في حاجةٍ إلى أن أعرف. وأعدك بأنني سأفعل كل ما بوسعي لمساعدتك.

***

كانت هيلينا تعرف أنها سترى ألواح الأرضية والجدران العارية و الغرف الخالية من الأثاث الواقعة فوق المتجر. لكن بوي لم تكن كذلك. لقد كانت تجول بنظراتها حيث البقع على الجدران عند الصور المعلقة، وكانت السجادة تغطي ألواح الأرضية أمام المدفأة، والمقعد العاري.

- أبي... هل فعل هذا؟ قالت بوي بصوت خافت.

- أعلم أنه والدك، لكنه رجل لديه الكثير ليجيب عنه. قال لها السيد فوكس منزعجاً لقد أصبح وجه هيلينا كما المنديل المجعد، بينما كانت تسير ببطء حول الغرفة الفارغة من أبسط الأشياء التي يمكن إيجادها في المنزل.

تمايل أوربت وصرخ، وكانت حقيبته تتأرجح فوق كتف هيلينا.

- لقد عثرت على بطاقتي داخل ساعة الجيب. قال السيد فوكس وهو ينظر إلى هيلينا: كنت أتمنى أن يقوم صانع الساعات الجديد بفحص تلك الساعة، لأنها ساعة نادرة. وأردت أن أحذر من يعين في المنصب بعدي. أنا آسف لأن الوقت قد فات.

- لكن الوقت لم يفت بعد. قالت هيلينا: فالساعات لم تتوقف مع والدي.

- تقصدين حتى الآن قال السيد فوكس متجهمًا.

- لا يمكننا حقًا أن نفقد أشياءنا ... إذا فقدت ببغائي ... قالت هيلينا أحست بالغثيان ...

قام السيد فوكس بمداعبة رأس أوربت بلطف. ضحك الببغاء وأخذ يترنح من جهة إلى أخرى. ضحكت أخوات رالف.

- يمكنك إخراج ببغائك من حقيبته إذا أردت؟ قال السيد فوكس. «النوافذ مغلقة. كان لدى أختي ببغاء وكان فناناً عظيماً في أساليب الهروب، كان في مقدوره أن يفتح قفصه بنفسه. في إحدى المرات، طار من نافذة المطبخ، فوق جدار الحديقة وعلى حبل الغسيل الخاص بالجيران. ويمكنك تخيل ما حدث بعد ذلك. تجعّد أنف السيد فوكس ... طبعاً، اضطررت إلى إعادة غسل سروال السيدة بيركلي. كان أمراً

فظيعاً. ثم اشترى أبي قفلًا ومفتاحًا للقفص بعد ذلك. لم يهرب أوربت بل أطلق ضحكة والدة هيلينا: يا لها من ضحكة رائعة حقاً! طائرك يقلدك جيدًا. قال السيد فوكس وهو يداعبه.

شعرت هيلينا كما لو أن مشهدًا من الفراشات قد طار إلى بطنها. لم يكن السيد فوكس يحتاج إلى أن يعرف أن الضحكة التي جاءت من منقار أوربت لا تخصها. ضحكت أخت رالف الصغرى مرة أخرى ووقفت إلى جوار هيلينا.

- هاك، لقد أحضرت لك بعض الطعام من ستانلي. قالت هيلينا ومررت السلة للسيد فوكس: إنه يرسل لك تحياته.

مشت بوي على رؤوس أصابعها. كانت تنظر إلى الخطوط العريضة الباهتة على الحائط الذي كان يوحي بوجود صور معلقة في أحد الأيام.

- لقد قدم لنا ستانلي وليمة. قال السيد فوكس للابنة الكبرى بلطف، وهو يحدق داخل سلة النزهة: خذيها إلى أمك وأخبريها أن هنالك شخصين آخرين سيتناولون الغداء باكراً. سنأكل في الحال.

- أوه! لا! قالت بوي ... هذا الطعام لك.

- لست منزعجاً، بل لعلي قادر على أن أشارك القليل مما أملك. أصرّ السيد فوكس: أنتم ضيوفنا ولن أسمع المزيد عن ذلك. سنأكل هنا. أحضر الغطاء، هيا رالف؟

وضعوا بطانية مربعة باللونين الأزرق والأصفر أمام المدفأة (كان رالف قد استعارها من صاحب الحانة المجاورة). استخدموا مجموعة متنوعة من الأطباق والسكاكين والشوك المقطعة (التي قال السيد فوكس أنه اقترضها من أصحاب الإسكاف عبر الهلال) لإعداد شرائح لحم الخنزير والجبن المفتت ورغيف الخبز المقرمش ومجموعة متنوعة من التفاح.

- لديكم جيران طيبون قالت بوي وهي تنظر إلى رالف وأخواته وهم يجلسون متربعين على السجادة، وأعينهم تلمع وهم يمضغون الطعام.

دخلت السيدة فوكس الغرفة بهدوء وانضمت إليهما على البطانية، حيث جلست بعينين باهتتين، تلقي بنظرات الشك على بوي وهيلينا، قالت بصوت مكتوم:

- لن يكونوا جيراننا لفترة أطول.

- أنا ... آسفة حقًا على مشكلاتك. قالت بوي بصوت متقطع قليلاً. قدمت إلى والدة رالف طبقًا من الطعام فنظرت إليها السيدة فوكس لبضع ثوان. لانت عيناها القويتان قليلاً وتمتمت: «شكرًا لك.»

- الساعات إذن! قالت هيلينا محاولة أن تبعد الضغط عن صدرها وتطعم أوربت حفنة من البذور: لماذا تعتقد أنهم توقفوا يا سيد فوكس؟

- أنا أعرف مهنتي. كان كل ترس وعجلة وزنبرك في ساعات السيد ويستكوت في حالة عمل مثالية. قال السيد فوكس وضع شريحة من لحم الخنزير في فمه ومضغها جيداً.

- فكيف كان من الممكن أن تتوقف إذن؟ سألته بوي مستغربةً.

- تدخل بشري. لكن ... من سيفعل ذلك؟ قال السيد فوكس بحزم.

- وهل يعني ذلك أن هذا سيحدث مرة أخرى مع أبي؟ سألت هيلينا، فنظرت بوي إليها ثم نظرت إلى الخبز والجبن في طبقها.

- لا أعرف. قال السيد فوكس وهو يلقي نظرة سريعة على بوي: لكن الشخص المسؤول هو شخص يعرف شيئًا عن الساعات. كان السيد ويستكوت سعيداً للغاية في الصباح الذي توقفت فيه الساعات، وكان وجهه أقل رمادية من المعتاد. لقد تحدث معي عن الساعات، وأثنى على عملي قبل أن يغادر المنزل. كنت هناك طوال اليوم أعمل في الطابق الثاني. عندما عاد السيد ويستكوت إلى المنزل في ذلك المساء، كان قد تغير تماماً. كانت عيناه جامحتين... مثل عاصفة فوق المستنقعات. في أثناء فحص الساعة، لاحظت أن بعض الساعات الطويلة الموجودة في الطابق الأرضي قد توقفت. لم أكن في تلك الغرفة طوال اليوم. كان وجه السيد ويستكوت عندما اكتشف ... حسنًا... توقف السيد فوكس، وفرك أنفه كما لو كان يحاول محو

الذاكرة: في وقت لاحق من ذلك المساء، وصل رجل وصبي صغير إلى متجري بعربة وأخذا ممتلكاتنا. منذ ذلك اليوم كنت في مارشينجتون - محاميّي السيد ويستكوت – أتوسل إليهم لإعادة ممتلكاتنا. أشعر ببعض التعاطف منهم، لكن أي شخص قد يظن أن شفاههم قد أُلصقت يجب أن نفتحها سريعًا، وإلا فإنني أخشى أنها ستكون بمنزلة ورشة عمل لنا.

- سوف أساعدك في استعادة أغراضك يا سيد فوكس. أعدك. وسوف أعرف لماذا يتصرف والدي بشكل رهيب. أنت على حق، يجب القيام بشيء ما، وأنا وهيلينا سنكون من سيفعل ذلك. وقفت بوي، ونفضت الفتات عن سروالها ودست شعرها خلف أذنيها.

حدقت هيلينا في بوي. كانت عيناها أكثر اشتعالاً الآن مما كانتا عليه عندما وصلت لأول مرة. لقد ابتلعت قطعة خبز بصعوبةٍ بدت وكأنها عالقة في حلقها، وفجأة خطرت لها فكرة. هل كانت بوي منزعجة مما فعله والدها أم كان هناك سبب آخر؟ وقال فوكس إن الساعات أوقفتها أيدي البشر. قامت بوي بتثبيت رسومات على الجدران، في محاولة يائسة لأن يلاحظها والدها. هل فعلت شيئًا آخر لجذب انتباه والدها وهو ما تندم عليه الآن؟ كانت دائمًا في غرف الساعة. أخذت هيلينا رشفة من الماء، وابتلعتها مرة أخرى، وفقدت شهيتها فجأة. كانت الفكرة فظيعة جدًا بحيث لا يمكن الاعتراف بها، ولكن ربما كان اليأس الهادئ الذي شعرت به في بوي هو الذي دفعها إلى القيام بشيء مروع، وكان الرد على الساعات المتوقفة تحت لسانها طوال الوقت.

21

الدكتور بارينغتون

كانت هيلينا تستخدم فرشاة صغيرة لتنظيف أشرعة طاحونة هوائية وهي تعض على شفتيها. عندما دقت الساعة، هزت السفينة على أمواج خشبية صغيرة ودحرجت تمثالًا من أبواب الكنيسة. ظل عقلها يفكر في بوي وعائلة فوكس وأدركت منذ البداية أنها قامت بتنظيف أشرعة طاحونة الهواء مرتين في أثناء شرودها. عندما انتهت، قامت باستبدال القبة الزجاجية للساعة الآلية بعناية، وقامت بتلميعها نهائيًا بكم فستانها. جلست بوي في وضعها المعتاد قرب الباب. تحول وجهها إلى شكل لم تره هيلينا طوال الأيام الخمسة التي قضتها في كامبريدج لقد بدت ملامحها ملونة عن غير العادة. كانت أطراف أذنيها وردية اللون. كانت عيناها الزرقاوان أكثر إشراقاً من أي وقت مضى وزجاجية. كان خداها حمراوين مثل أطراف أذنيها. كانت بوي تثرثر في أثناء سيرهما من متجر السيد فوكس إلى شارع ريجنت لالتقاط أجزاء الساعة المنسية من اليوم السابق.

- أين يمكن أن يأخذ والدي أشياء فوكس؟ ماذا يريد معهم؟ لماذا لم تعد والدتي إلى المنزل؟ هل تعتقدين أن والدي مريض؟

- لم تكن لدى هيلينا أي إجابات عن أسئلة بوي، ولذلك ظلت صامتة، وهي تجرجر حذاءها على طول الرصيف، بينما كانت بداية اليوم المشمسة محاطة بالغيوم ورذاذ خفيف. هل أوقفت بوي الساعات؟ لم تكن على علم بعقود الساعة، لذا لم تكن لتدرك الآثار المترتبة على تصرفاتها. هل هذا هو السبب وراء اشتعال عينيها شرراً بعد مغادرة عائلة فوكس، ولماذا كانت مصممة على المساعدة؟

***

دخلت كاثرين إلى الغرفة قبل الساعة السادسة مساءً بقليل، مرتديةً معطفاً أزرق اللون يشبه وردة الذرة.

- فتاتي العزيزتان! قالت كاثرين وقد كانت تحمل بين ذراعيها صندوقًا أخضر

بحجم مقعد كرسي بوي تقريبًا. وكان مربوطاً بشريط أحمر. وضعته على حضن بوي: إنه من أجلك! قالت وهي تنحني لتطبع بوي قبلة على رأسها.

غيّرت بوي ملابسها كالعادة قبل فحص الساعة، وتخلصت من ملابس الأولاد واستبدلت بها تنورة ذات طيات زرقاء منتصف الليل وبلوزة كريمية ذات ياقة من الدانتيل. ظنّت هيلينا أن بوي بدت أكثر ارتياحًا مع نفسها عندما ارتدت ملابس كهذه، كما لو كانت هذه هي شخصيتها الحقيقية. ولكن إذا كان الأمر كذلك، فمن الذي كانت تحاول إرضاءه عندما ارتدت ملابس الأولاد؟ كانت عيناها مقفلتين على الهدية. أوه، أن يكون لديك عمة جميلة تشتري الهدايا وتوزع القبلات مثل الحلوى. كان لها عمٌّ من جهة والدتها، لا يزورها كثيرًا، وكان والدها طفلًا وحيدًا مثلها تمامًا. سحقت هيلينا شعور الحسد تحت كعب حذائها. تسلل الاحمرار إلى خدود بوي. قامت ببطء بسحب الشريط حول الصندوق، وتركته ينجرف إلى الأرض بالقرب من كعب حذاء عمتها. كان كعبا الآنسة ويستكوت سميكين بالطين. و حواف معطفها متسخةً من الأسفل. عبست هيلينا، وهي تتذكر زيارة كاثرين الغريبة إلى الإسطبلات في الليلة السابقة، عندما لم تكن حتى ضيفة في المنزل. نزعت بوي طبقات من المناديل الورقية الرقيقة، وأخرجت كتابين بغلاف مقوى. ارتعشت أصابع هيلينا بسبب خيبة الأمل. كانت تتوقع فستانًا جميلاً، أو ربما زوجًا من النعال المطرزة. نظرت إلى العناوين. تاريخ الهندسة المعمارية مشكلة مان فلايت.

- تأكدي من قراءة كل كلمة، يا ابنة أخي العزيزة. أنت لا تعرفين أبدًا إلى أين قد يقودانك. قالت بوي مبتسمة وقامت وعانقت عمتها بسرعة. فرحت كاثرين كثيراً. استدارت وشعرت بالخوف من هيلينا عندما رأت قبعتها. لقد اعتقدت أنها قبعة بسيطة تمامًا ذات لون أزرق سماوي، لكنها رأت الآن أن أحد جوانبها مزين بريش الطاووس، والتي كانت تحدق في هيلينا بطريقة مثيرة للقلق.

- لن يكون هناك تفتيش طويل هذا المساء. قال أخي إنه متعب قليلاً عند وصولي. قالت وقد توترت ملامحها مما جعلها تبدو مرهقة إلى حد ما.

- حسنًا... إذا كنت متأكدةً تمامًا... قال والد هيلينا.

- نعم، متأكدة تمامًا. قالت كاثرين.

- مرحبًا أيها الطائر، أيها الطائر، أيها الطائر. قالت مقتربة من قفص أوربت وقد نقرت على القضبان.

- كواك... كواك ... كواك. صرخ أوربت وهو يترنح من جانب إلى آخر.

- أنا أقول إن هذا الطائر مغرم بي إلى حدٍ ما. أطلقت كاثرين ضحكة مكتومة.

نفش أوربت ريش ظهره، وانطلق إلى الأمام، وكاد أن ينقر إصبع قفاز كاثرين. ابتسمت كاثرين لكل من هيلينا وبوي وخرجت من الغرفة.

- ستكون الليلة موضع ترحيب كبير. قال والد هيلينا وهو يحزم أدواته: أنا منهك تمامًا. إن العناية بكل هذه الساعات عمل مجهد أكثر مما توقعت، وهذا بفضل مساعدتك، عزيزتي هيلينا. شكرًا لك على جمع أجزاء الساعة – أنا آسف لأنني كنت قاسيًا عليك بالأمس...

لكن هيلينا لم تكن تستمع. كانت تنظر إلى البقع الرطبة الغامضة التي خلفها معطف كاثرين المبلل على الأرضية الخشبية، وقطع الطين من حذائها. ولماذا يصرخ أوربت ويصبح عدوانياً للغاية كلما اقتربت منه؟ كانت هناك أصوات قادمة من الأسفل. نظرت هيلينا إلى بوي، لكنها كانت منهمكة في أحد كتبها الجديدة، وعيناها تتصفحان الكتاب في شغف. تسللت هيلينا نحو الباب، ونظرت حول المنزل.

- يجب أن تأخذي قبعتك من هذا المنزل يا كاثرين. قال السيد ويستكوت بصوت خافت ووجه شاحب اللون: أخشى ... أخشى ... أني لا أستطيع حمل المزيد.

- أعرف، يا عزيزي. ولهذا فإن لديك موعدًا لرؤية الدكتور بارينجتون غدًا.

- الدكتور بارينغتون؟ قال السيد ويستكوت، وعيناه تتسعان: لكنه هو ...

- نعم. أنا أعرف جيداً من هو. لكن من الضروري أن تراه في الحال، إدغار. أنا قلقةٌ على صحتك ... هذا يكفي ... من المخيف رؤية كاثرين تتحدث بهذا اللطف.

بدأت الساعات في المنزل تدق بانتظام. كان هناك أزهار ذهبية على ساعة المعبد،

تفتح وتغلق مع دقات الساعة كما لو أنها تعزف ألحاناً موسيقية تبعث النور والسرور للحياة. كانت شفته كاثرين ترتجف وهي تنظر إلى الساعات بهدوء.

- يمكن أن تكون الأمور مختلفة. وقد تعبت من الكلام. لماذا لا تقبل مساعدتي؟ كانت قادرة على إقناع أي أحد بصوتها القوي.

أبعد السيد ويستكوت ذراعه بعيدًا عن يد أخته، وأخذ منديلًا من جيبه ومسح أنفه.

- لا يوجد شيء يمكنك القيام به لمساعدتي، كاثرين. إيفانجلين مفقودة ... لم ترسل كلمة من شهر تقريبًا. لا أتلقى أي إجابات على رسائلي أو على البرقيات. ألا ترين لماذا يجب ألا تتوقف الساعات مرة أخرى؟ ألا تتذكرين؟ قال وهو يستند إلى أخته.

شدت هيلينا على يدها بقوة، على أمل أن تجيب كاثرين عن أسئلة شقيقها. لكنها لم تفعل ذلك. بدلاً من ذلك، لقد سكتت. واقفة على أطراف أصابعها، أعطت أخيها قبلة عابرة على الخد. وخرجت من الباب الأمامي، وقعت ريشة طاووس واحدة من قبعتها على الأرض. ظل السيد ويستكوت ينظر إلى العين المرمية. كان يأن كما الطفل الصغير. لقد ذهب أعلى الدرج وأصوات خطواته تملأ المكان. صعد والد هيلينا إلى الأعلى، وقفص أوربت بين ذراعيه.

- سأراك في الصباح يا عزيزي. لا أشعر بشيء سوى أنني أريد النوم. سأضع أوربت في غرفتك، عانقته هيلينا بسرعة، وهي ما تزال تنظر إلى ريشة الطاووس المرمية على الأرض والضوء المنبعث من أسفل غرفة السيد ويستكوت. هل أخذت فرصة لتتمكن من إيجاد لغز هذا المنزل الغريب؟

22

سجلّ القصاصات

- لا أستطيع الدخول إلى هناك. قالت بوي محدقةً في باب مكتب والدها المفتوح: ولكن قد لا نحصل على هذه الفرصة مرة أخرى يا بوي. ربما هناك أدلة في داخله عن سبب هوسه بالساعات ومكان حفظ أغراض عائلة فوكس؟.

أمسكت هيلينا بريشة الطاووس الناعمة في راحة يدها، وضغطت عليها بإبهامها. كانت هناك ذاكرة مليئة بالريش تسحب حواف دماغها لكنها لم تصل. تجعد أنف بوي.

- إذا أدرك أبي أننا في مكتبه فسنقع في مشكلة.

- لكننا فعلاً في مشكلة هائلة. لقد فقدت والدتكِ. يمكن أن أفقد ببغائي. لقد فقدت عائلة فوكس أشياءها، ولأسباب لا نفهمها، يبدو أن والدك مريض تمامًا. قالت هيلينا وهي تضع الريشة في جيب فستانها.

- لا أعتقد أنه من المهم أن أوافق أم لا، أنت ستدخلين إلى هناك على أي حال. استندت بوي إلى الحائط، فابتسمت لها هيلينا ابتسامة عابرة، ثم فتحت الباب.

كانت بوي تحوم ذهاباً وإياباً. كانت الجدران الخشبية كما لو أنها تنظر إلى هيلينا والستائر الثقيلة ذات اللون العنابي المعلقة خلف مكتب السيد ويستكوت. توهجت نار عالية في الأفق. بدت الغرفة أكثر راحة مما تتذكره هيلينا، مكانًا يمكنها أن تتخيله وهي تجلس وتستلقي مع كتاب في يوم شتوي. وأمام النار كان هناك كرسي مريح، وبطانية ملقاة على ذراعه. هل نام السيد ويستكوت هنا؟ نظرت إلى صورة العائلة فوق المدفأة. كان الطفلان بعيونهما الزرق قريبين من عمرها ومن بوي. كان لديهم أم ذات وجه مبتسم وأب قوي المظهر، لكن الساعة الطويلة الضخمة التي تقف خلفهم طغت عليهم جميعًا. بينما كانت هيلينا تحدق بشدة في الصورة، رأت الصورة الباهتة لوجه قمر ملائكي مرسوم على الرقاص الصغير. كانت هي الساعة نفسها التي قضى السيد ويستكوت وقتًا طويلاً يحدق فيها أثناء عمليات التفتيش.

- هذه هي جدتي وجدي. قالت بوي وهي تمشي نحو الصورة.

- إذن هما... والدك والعمة كاثرين؟ سألت هيلينا وهي تشير إلى الأطفال. أومأت بوي برأسها: من الغريب رؤيتهم عندما كانوا صغارًا. يقول أبي إنه لم يكن قريبًا من عمتي كاثرين عندما كانا صغيرين. لكن منذ أن رحلت أمي العام الماضي، لم تتركنا وحدنا. واستقرت في فندق يونيفيرسيتي أرم بالمدينة، حيث تقول إنها لا تستطيع النوم هنا بسبب ضجيج الساعات.

- هل كانت تلك ساعة أجدادك؟ سألت هيلينا، وهي لا تزال تتمعن اللوحة.

- لم يعجبني ذلك قط. الوجه على الرقاص فظيع تمامًا. لسبب ما، الأب يعشق ذلك. ربما لأنه ينتمي إلى والدته. لقد ماتت عندما كان أبي وعمتي كاثرين أكبر منا بقليل. والدهم لم يمض وقت طويل بعد ذلك. لقد توقفت: أحيانًا أعتقد أن هوس أبي له علاقة بتلك الساعة بالذات. إنها نادرة ومن الصعب الحصول عليها. لقد جعله ذلك متعطشًا للحصول على المزيد من الساعات ذات الآليات الهشة للغاية بحيث يجب الحفاظ عليها في حالة عمل جيدة في جميع الأوقات. أومأت بوي برأسها.

أبعدت هيلينا عينيها عن الساعة وسارت إلى مكتب السيد ويستكوت. ربما كانت بوي على حق بشأن هوس والدها بالساعة؟ في بعض الأحيان كانت أبسط التفسيرات هي الصحيحة.

وقعت صينية العشاء الخاصة بالسيد ويستكوت على الجانب، وانقلب صحن من الملح الفضي. حاولت هيلينا أن تصلح ما أفسدت، وفتحت أحد أدراج المكتب. خلعت حذاءها ورفعت قدمها اليسرى فرأت بقايا بيضاء على كعبها. انحنت، ووضعت يدها على الأرض. ملح! لا بد أن السيد ويستكوت قد سكبه. أزالت الحبوب الخشنة من يديها، وفتحت أكبر أدراج مكتبها وبحثت في الأوراق بداخلها. كانت هناك رسائل إلى شركة الطباعة الخاصة به، وملفات حسابات، ولكن لم يكن هناك أي شيء يخبرهم بمكان الاحتفاظ بممتلكات عائلة فوكس أو أي شيء آخر في هذا الشأن.

- ما هذا؟ سألت هيلينا، وأخرجت دفتر قصاصات من أسفل ملف الحسابات.

تقدمت بوي، وألقت نظرة على هيلينا غير واضحة وهي تنظر إلى الباب.

- تابعي ... افتحيه! أعطتها هيلينا لبوي ... ربما سيقل الشعور بالذنب الذي يضايقها إذا ساعدت بوي في البحث في الدراسة أيضًا. التفتت بوي إلى الصفحة الأولى وشهقت هيلينا في مفاجأة. أحدهم ألصق إحدى رسومات بوي التي تصور الأعمال الداخلية لآلة الطيران بعناية في الكتاب.

كانت موجودة خارج غرفة الساعة الهيكلية. ٣ مايو 1905. التقطت بوي أنفاسها، وقلبت صفحات من رسوماتها للإطار والأجنحة. عثرت عليها معلقةً على جدار الطابق الثالث. 32 مايو 1905. كانت أصابع بوي تتنقل بين الصفحات حتى وصلت إلى الرسم الأخير لدفة آلة الطيران. عثرت عليها إلى جوار ساعة الأم الطويلة. 10 يونيو 1905. تم لصق آخر نسخة قبل يومين فقط. قامت بوي بتتبع إصبعها بالسبابة فوقها. كانت عيناها تترقرقان بالدمع. أخذت نفساً عميقاً وقالت: «أبي يرى رسوماتي». ضمت دفتر القصاصات إلى صدرها، واستلقت على الكرسي إلى جوار المدفأة وبدأت تذاكر الكتاب بشغف.

- بوي! قالت هيلينا بهدوء.

- نعم؟ تمتمت بوي وهي تتصفح سجل القصاصات.

- هل ... هل ...؟ أخذت هيلينا نفسًا عميقًا، وهي تحاول ترتيب كلماتها. كيف ينبغي لها أن تسألها عما إذا كانت هي التي أوقفت الساعات؟ لقد أحبت بوي، وبدأت تعدّها صديقة. ولكن بقدر ما كانت هيلينا تحب الأسئلة، كان من الصعب طرح هذا السؤال ولم تكن متأكدة على الإطلاق من رغبتها في معرفة الإجابة. لذلك ربما كان من الأفضل عدم طرح ذلك على الإطلاق. وكانت الساعات متوقفة. لقد أخذت كل أغراض عائلة. فوكس. من الواضح أن بوي كانت مستاءةً مما حدث. وبالتأكيد كل ما هو مهم الآن هو تركيز جهودهم على إعادة ممتلكات فوكس وضمان عدم حدوث الشيء نفسه لممتلكاتهم. لقد كانت سعيدة حقاً لأنها أدركت أن والدها يهتم لأمرها مما جعل عينيها الحزينتين ترقصان فرحاً.

- أوه ... إنه ... لا شيء! قالت هيلينا، وهي تستدير لتنظر إلى ما تبقى من الأدراج، كانت تفتح كل درج على حدة ولكنها لم تجد أي شيءٍ مثير للاهتمام. أخرجت هيلينا ريشة الطاووس من جيبها، ومررت بإصبعها على الألوان الزرقاء والذهبية والحمراء. لقد رأت جانبًا من كاثرين الليلة كانت قد أخفته سابقًا، جانبًا مسيطرًا إلى حدٍ ما. بدت مصممة على بذل الأفضل لأخيها بأي ثمن. كانت تعرف الكثير عن عقود الساعة مثل شقيقها. هل كانت تساعده في إخفاء أغراض عائلة فوكس في الإسطبلات؟ ربما كان هذا هو السبب وراء ذهابها خلسةً هناك الليلة الماضية، محاولة ألا يراها أحد. أرادت هيلينا الدخول إلى الإسطبلات ولكنها خافت قليلاً عندما فكرت بأن كاثرين قد تكتشفها وهذه مشكلة كبيرة.

23

الإسطبلات

كانت ليلة الصيف باردة، وكان العشب الذي غمرته الأمطار يخترق حذاءي هيلينا وجوربيها ويتسلل البرد إلى أصابع قدميها. لم يكن هناك شعاع من الضوء أو القمر أو النجوم الذي يمكن أن يرشد هيلينا إلى الاسطبلات هذه المرة؛ كان من الصعب رؤية طول الذراع أمامها. تجاوزت ببطء المقعد القديم ومشت حتى وصلت إلى صف الأشجار الذي كان يقف أمام باب الإسطبل.

حدقت هيلينا مرة أخرى في المنزل، في شرائط الضوء الرفيعة عند حواف الستائر المنسدلة. كانت تناظر صف النوافذ في الطابق العلوي وصولاً إلى غرفة الكتب. كانت الستائر مفتوحة والضوء يشع من النافذة. بعد أن قامت هيلينا بإبعاد بوي عن سجل القصاصات، صعدت الدرج درجتين إلى الأعلى، قائلة إن عليها إكمال المزيد من الرسومات لوالدها مرة واحدة. عرفت هيلينا أن لا شيء سيصرف صديقتها عن هذه المهمة. وربما كان من الأفضل ألا تأتي بوي معها إلى الإسطبلات. إذا عثرت على أغراض فوكس، فسوف تشعر بالفزع بسبب ما فعلته بالعائلة. كلما فكرت هيلينا في الأمر أكثر، زاد الشعور بأن بوي هي الشخص الذي يوقف الساعات. كانت تعرف أن آليات الساعة الطنانة من الداخل والخارج، ستعرف بالضبط كيفية إيقافها. لكن إذا كانت بوي هي المسؤولة، ألا تستطيع هيلينا ووالدها الاسترخاء قليلًا؟ كانت بوي منزعجةً من فقدان عائلة فوكس لممتلكاتهم، ولا يبدو من المحتمل على الإطلاق أنها ستوقف الساعات للمرة الثانية، مما يتسبب في حدوث الشيء نفسه لهيلينا ووالدها. أخذت هيلينا نفسًا عميقًا، وذهبت خلال الأشجار وعبرت الفناء المرصوف بالحصى إلى الإسطبل. أمسكت بمقبض الباب ورفعت المزلاج. لقد كان مقفلاً. تراجعت إلى الخلف. لم يخطر في بالها أنها قد لا تتمكن من الدخول. مدت يدها إلى جيبها بحثًا عن الشمعة وعلبة أعواد الثقاب التي أخذتها من المطبخ، وأشعلت الفتيل ووضعته بين يديها، كان الشرر يتطاير منه. تسللت إلى الإسطبل وسارت في أرجائه. كانت هناك نافذة صغيرة على الجدار الخلفي، فوق ارتفاع الرأس مباشرة. كان الإطار

قديمًا ومتهالكًا، وكان أحد الألواح الزجاجية الأربعة متشققًا. أطفأت هيلينا الشمعة وأعادتها إلى جيبها ومدت يدها لتدفع النافذة. لقد تلعثمت وتذمرت لكنها لم تتزحزح. ستحتاج إلى شيء تقف عليه حتى يكون لديها أي أمل في الدخول. نظرت حولها فرأت مجموعة من أواني الزهور القديمة. التقطت الأكبر وحملته إلى النافذة وقلبته رأسًا على عقب. كانت تتعرق خوفاً مما قد يحصل. توقفت ورفعت أكمامها، وسمعت صيحة البومة. كانت واقفة على القِدر، أصبحت النافذة الآن في مستوى كتفيها. أعطتها دفعة قوية فاهتزت. أعطتها دفعة أخرى. شاهدت هيلينا برعب إطار النافذة بأكمله يتحرك، ويسقط في الإسطبل. تحطم إلى فتات. التقطت هيلينا قطعة زجاج من إبهامها، فشعرت بالألم في راحة يديها. كان قلبها يدق بين أضلاعها بينما أحست بشيء ناعم عند كاحليها. حاولت ألا تصرخ، ورأت قطة سوداء تنظر إليها، وتحرك ذيلها حول قدميها. هذه علامة على سوء الحظ. أجبرت هيلينا تنفسها على التوقف، وأبعدت الفكرة الحمقاء من رأسها. هذا لن يجدي نفعاً. كانت في حاجة إلى التزام الهدوء والتسلق عبر النافذة. كانت تقلق بشأن كيفية إصلاحها لاحقًا.

رفعت نفسها عبر الفجوة الموجودة في الجدار، وسقطت على الأرض على الجانب الآخر محدثة ضجة، وكانت قدماها تصطدمان بالزجاج والخشب المكسور. عطست هيلينا عندما غطى الغبار أنفها وعينيها. مسحت إبهامها المؤلم، كانت تحاول النظر إلى الأشكال القاتمة المبطنة للجدارين الطويلين. كانت أصابعها ترتجف عندما مدت يدها إلى جيبها مرة أخرى بحثًا عن الشمعة وأعواد الثقاب. أشعلت عود الثقاب وأصدرت هسهسة، كان هناك ضوء خافت خلال الظلام القاتم. إذا ظهرت كاثرين الآن، فسوف تكون في ورطة كبيرة. أخذت نفساً عميقاً. كان الإسطبل أشبه بمستودع أثاث، من النوع الذي كانت تزوره هي ووالدتها وأبيها أحيانًا إلى جوار الأرصفة عندما كانوا يريدون كرسياً أو مصباحاً أو زجاجاً جديداً. أُنشئ ممر في منتصف الغرفة، وكان محاطًا بأثاث من جميع الأشكال والأحجام – طاولات خشبية ذات أرجل منحوتة بأشكال مختلفة، وخزائن ثقيلة، وكراسٍ مكدسة رأسًا على عقب فوق بعضها بعضاً مثل أحجية الأطفال. من المؤكد أن الأثاث الذي أمامها لا يتطابق مع الوصف الذي قدمه إليها رالف عن أغراضهم. بدت هذه الأشياء باهظة الثمن،

وكأنها تنتمي إلى منزل السيد ويستكوت. قامت هيلينا بمسح الغبار لتكشف عن كرسي حريري مطرز بدقة باللونين الأزرق والكريمي. كانت هناك ثلاثة مصابيح متشابهة موضوعة على طاولة صغيرة إلى جوار الكراسي. لمست القماش المحيط بهم. لقد راجعت ذكرياتها، كان هذا النمط معروفاً من قبل. لقد طابقت الستائر في غرفة الساعة الهيكلية. كانت هذه أغراض منزل السيد ويستكوت، والأشياء التي تم استبدال الساعات بها. كان الأمر كما لو أن يدين عملاقتين أخذتا كل الأثاث من المنزل ووضعتهم معًا مثل كونسرتينا في هذا الإسطبل. لكن إذا لم تكن ممتلكات فوكس هنا، فما الذي كانت كاثرين ويستكوت تبحث عنه تلك الليلة؟ سلّطت هيلينا الضوء على الغرفة. نظرت إلى كومة من الصناديق المتحركة المركونة على الحائط. كانت الأقفال النحاسية للجزء العلوي غير مغلقة. عبست هيلينا، ونظرت إلى الصناديق بانزعاج أكبر. لقد كانوا من النوع الذي ستستخدمه إذا سافرت إلى الخارج. فكرت في والدة بوي، في مكان ما بعيدًا على الجانب الآخر من الحدود الإنجليزية. قامت بضرب أصابعها على الجلد البني الداكن. لم تكن الجذوع منبعجة أو محفورة، وكانت ناعمة وغير مستخدمة. فتحت هيلينا غطاء الصندوق العلوي. رفرفت طبقات من المناديل الورقية وأحدثت حفيفًا. كانت وحدها في الظلام تبحث في أغراض السيد ويستكوت. إذا وجدها هنا، فمن المؤكد تقريبًا أنه سيتم طردها هي ووالدها. سوف يخسرون كل شيء. ولكن عندما قامت هيلينا بنزع طبقات المناديل الورقية مؤقتًا، أدركت أنها كانت مخطئة - فهذه الأشياء لا تخص السيد ويستكوت. ولا ينتمون إلى رالف ووالده. كانوا ينتمون إلى شخص آخر تماماً.

24

الجذع

سراويل مخملية. قمصان كريمية مع الكشكشة. صدرية وسترة من التويد. الكثير من القبعات والأحذية القوية. كانت ملابس بوي معبأة بشكل عشوائي، من دون ترتيب معين، على عكس أثاث المنزل. فكرت هيلينا في بوي التي ترتدي سروالها وحذاءها. وكانت هذه ملابسها. كانت مخبأة تحتها كومة من الكتب. أخرجت نسخة من كتاب هو خمسة أطفال ووضعته على جانب واحد. كانت هيلينا حزينة جداً عندما رأت سروالاً صبيانياً مخملياً باللون الأزرق الداكن. ولماذا أصرت على ارتداء هذه الملابس مع عدم وجود والدها وخالتها؟ هل كانت والدة بوي على علم بعادات ابنتها الغريبة؟ أعادت هيلينا طي السروال والتقطت نسخة الكتاب، وضعته داخل السترة وزرتها. لقد حان الوقت لمواجهة بوي. كان هناك الكثير من الأسئلة التي لم تتم الإجابة عنها. لقد كانت في حاجة حقًا إلى معرفة ما يحدث بالضبط والمطالبة ببعض الحقائق.

***

عادت هيلينا وقد كان المنزل هادئًا، وكان صوت شخير والدها الخفيف يتردد من خلف بابه المغلق. أرادت أن تخبر ستانلي عن النافذة المكسورة وتعرض عليه دفع ثمنها بنفسها في الصباح. لقد أخبرها أنها يمكن أن تثق به في عدم إخبار السيد ويستكوت أو كاثرين عن مغامراتها الليلية. فتحت هيلينا باب غرفة المكتبة المؤقتة، ورأت بوي جالسةً إلى مكتبها. نظرت إلى هيلينا من فوق الكتب المتراصة، حاملة قلم الرصاص وهي تكتب.

- لدي شيء لك قالت هيلينا، وهي تدخل إلى الغرفة وتغلق الباب خلفها.

مشت عبر متاهة الكتب حتى وصلت إلى مكتب بوي. نظرت إلى الورقة حيث كان قلم بوي موضوعًا عليها وهي تمضغ شفتها السفلية. لم تكن هذه إحدى رسومات بوي الفنية المعتادة. كانت قافلة من آلات الطيران الصغيرة تحلق فوق البحر. انتشرت

المنازل الصغيرة على الصفحة حيث كان البحر قريباً من الأرض. كان أحدهما أكبر من الآخر، وكانت بوي قد أسدلت الستائر على نافذتها، لتتطاير في مهب الريح. وقفت شخصيتان في نافذة الطابق العلوي. بوي ووالدتها؟ وصلت هيلينا إلى داخل سترتها الصوفية، وأخرجت السروال البحري والكتاب. لقد نفضت السروايل ورفعتها.

- لقد وجدت هذه في أحد الاسطبلات القديمة. ملابسك الأخرى موجودة هناك أيضًا، والأثاث من هذا المنزل. وقفت هيلينا وهي تنظر إليها: لماذا ترتدين هذه الملابس يا بوي؟ لديك فساتين جميلة.

أسقطت بوي قلم رصاصها بسرعة مثل ضربة البرق. دفعت كرسيها إلى الخلف، وأصبح وجهها أكثر شحوبًا من الورق الذي كانت ترسم عليه، وهي تحدق في السروال والكتاب اللذين كانت هيلينا لا تزال ممسكةً بهما. نزلت ذراعا هيلينا واصطدم السروال بالأرض. كان صوت بوي منخفضًا ومنكسراً. وضعت هيلينا الكتاب على حافة مكتب بوي، ومدت السروال إليها.

- لكن ... هذه لك ... أخذته بوي ببطء من هيلينا وأمسكت به على مسافة ذراع كما لو كانت تريد حرقه.

- أنت تتدخلين في أشياء لا تعرفين عنها شيئًا. تقدمت هيلينا خطوة إلى الأمام.

كيف تجرأت على قول هذا. لقد كانت تحاول المساعدة فقط.

- لم أكن أتدخل، كنت أبحث عن أغراض فوكس واعتقدت أن والدك ربما يكون قد وضعها في الإسطبل.

شعرت بموجةٍ من التعب قد حلّت عليها. طوت بوي السروال بعناية ووضعته داخل مكتبها. وضعت الكتاب في الأعلى وأغلقت الغطاء.

- لا أفهم ما يحدث في هذا المنزل قالت هيلينا وقد نفد صبرها: إذا أخبرتني، ربما سأفعل ذلك. أستطيع المساعدة. وحتى لو لم أتمكن من المساعدة، فمن المؤكد أنه سيكون من الجيد التحدث عن ذلك. كانت أمي تقول دائمًا: «الخروج أفضل من الدخول.»»

أحنت بوس رأسها ونظرت إلى السقف، محاولةً ألا تبكي. فتحت فمها كما لو كانت تريد أن تقول شيئاً. حبست هيلينا أنفاسها. هل ستكون هذه هي اللحظة التي ستكتشف فيها الحقيقة، عندما يصبح كل شيء واضحاً؟ استدارت بوي مرة أخرى إلى الطاولة والتقطت قلم رصاصها. جلست في مقعدها وبدأت تظلّل صور الآلات الطائرة، وكان قلم رصاصها يضغط بقوة على الورق حتى ترك علامات تشبه النهر، فقالت بحزن:

- ليته لا يزال هنا ...

- من؟ قالت هيلينا حدقت في بوي.

- بيرتي. أطلقت بوي تنهيدة صغيرة.

- من هو... بيرتي؟ أخذت هيلينا نفسًا عميقاً. بدت بوي بائسةً تمامًا. كان الأمر كما لو أنها كانت تتمنى أن تحقق لها « بساميد»، جنية الرمال من فيلم خمسة أطفال، أمنية ما. ما الذي كانت تتمناه بوي؟ قالت هيلينا وهي تميل إلى الأمام: أخبريني يا بوي. أخبريني الحقيقة وربما يمكننا حل الأمور.

- ولكن، ماذا لو كانت الحقيقة مروعة؟ ماذا لو لم يعد هناك شيء على ما يرام مرة أخرى؟ قالت بوي وعيونها مشرقة ودامعة.

- من المهم جدًا إذن أن تخبريني بذلك همست لها هيلينا، وهي تمد يدها لتأخذ يد صديقتها وتضمها بقوة.

25

قارب التجذيف

كانت سماء الخريف زرقاء سماوية، والقصب على حافة النهر مصقولاً باللون البني ومملوءاً بالحشرات، بينما جلست فلورنسا وشقيقها الأكبر بيرتي على المقعد الصغير في وسط قارب التجديف. كانت فلورنسا تمسك بمجدافها بإحكام، ولكن كعادتها كان بيرتي مشتتًا، متكئًا على مجذافه ليشاهد الأسماك تغوص في المياه المتلألئة، التي ارتفعت بسبب عاصفة الأمطار في أوائل الخريف. لكن العاصفة مرت، وجاء اليوم وأمهم مستلقية على ظهر القارب، وهي تلعب بيدها في الماء بينما كان أطفالها يتشاجرون ويجدفون.

- أمسك المجذاف بقوة يا بيرتي. قالت فلورنسا.

ولكنه لم يأبه لشيء. كانت فلورنسا تخبره دائمًا بما يجب عليه فعله. لقد سئمت منه بشدة. لو كانت الأكبر سنًا لكان قد فهم ذلك، لكنه كان أكبر منها بعشرة أشهر وينبغي له أن يكون الشخص الذي يقدم النصيحة والتوجيه لأخيه الأصغر.

- انتبه، نحن قريبون جدًا من القصب ... و ...؟ قالت فلورنسا.

- استرخي، يا فلوري. ليست هناك حاجة إلى القلق طوال الوقت. رد بيرتي.

- لا تناديني بفلوري، وأنا لست قلقةً طوال الوقت. فقط عندما لا تنتبهون ... عندما تكونون حالمين وسخفاء.

- أيها الأطفال، توقفوا عن الشجار، من فضلكم. إنه أمر متعب للغاية. قالت أمهم بكسل.

- يمكننا التنزه هنا، لن أقضي دقيقة أخرى معه في هذا القارب. قالت فلورنسا وهي تدير مجذافها وترتفع بكلّ قوتها.

تنهدت أمهم، وجلست، وعدلت قبعة رأسها. كانت تشير إلى ضفة النهر، إلى أغصان شجرة الصفصاف المنحنية في الماء، وقالت:

- نعم، حسنًا، ربما نحتاج إلى استراحة هناك ... إنه مناسب.

- وافق الأطفال، فقامت فلورنسا بتوجيه القارب إلى الضفة. قفزت وربطت الحبل بالشجرة. التقطت والدتها سلة النزهة وأعطتها لها.

- هل أنت قادم؟ سألت فلورنسا بيرتي الذي وضع مجدافه على الأرض وكان يترنح محدقاً في المياه الصافية.

- هل يمكنك أن تتخيلي لو أنك سمكة؟ قال بيرتي. أقفز بين القصب وألعب بين الصخور.

سخرت منه فلورنسا. كان شقيقها غير عملي للغاية. أراد والده أن يتولى إدارة شركة الطباعة الخاصة بالعائلة عندما يكبر، ولكن في بعض الأحيان كان بيرتي يتسلل إلى غرفة فلورنسا ليلاً ويخبرها عن خططه لدراسة علم النبات والسفر إلى أقاصي العالم لاكتشاف أنواع جديدة ومثيرة من النباتات. لن يكون الأب سعيدًا بذلك على الإطلاق! ساعدت فلورنسا الدتها في نفض بطانية النزهة، ووضع الخزف الصيني، وترتيب الطعام تحت أغصان الصفصاف، قرب جذع شجرة البلوط المتساقطة.

- بيرتي لا يساعد أبدًا. تذمرت وهي تراقبه عندما كان ينحني على جانب القارب بشبكة الصيد الخاصة به. انحنت والدة فلورنسا ووضعت يدها على شبكة الصيد الخاصة بفلورنسا. كانت قفازات يدها باردة وهادئة: دعيه. يحتاج بيرتي إلى مساحة ليحلم. لن يمر وقت طويل قبل أن تصبح حياته ملكًا له. لم تفهم فلورنسا تمامًا ما كانت تقصده والدتها، لكنها سمعت الكلام وهي تتألم من الداخل. ماذا يعني؟ ألا أحتاج إلى مساحة لأحلم أيضًا؟ مسحت أمها خصلة من شعرها خلف أذنها، ونظرت إلى القارب الذي كان يتمايل على حافة النهر: أعتقد أنني قد أتمشى قليلاً على طول الضفة، حتى ينضم بيرتي إلينا. أومأت فلورنسن برأسها، وشاهدت مظلة والدتها تنتفخ في الهواء مثل الفطر، وتنورتها الطويلة تتدفق عبر العشب الذي تقضمه الأغنام. ضمت ركبتيها إلى صدرها وأسندت رأسها إليهما وأغمضت عينيها. طنّت

ذبابة في أذنها وهي تسمع حفيف النسيم عبر الأوراق.

كانت الطيور تغوص في الماء بحثاً عن الأسماك. صوت الماء يرتطم بالقارب. القصب يعجّ بالبط. ثم حلّ الصمت.

- فلورنسا. فلورنسا! كان صوت أمها مرتفعاً جداً. فتحت فلورنسا عينيها. كانت والدتها تركض نحوها، وتشير بإصبعها مرتدية القفاز. شاهدت فلورنسا بذهول مظلة والدتها وهي ترتفع في الهواء وتهبط رأسًا على عقب في النهر. ذهبت بعيدًا مثل قارب صغير. القارب! انقلب. لقد انفك الحبل الذي كان يربط القارب بالشجرة. وقفت بدهشة ثم صرخت: بيرتي ... الحبل. كانت تحدّق في القارب بعينين متسعتين. لا وجود لبيرتي عليه. ركضت فلورنسا إلى ضفة النهر. أبعدت مياه النهر، ورأت قطعة مجداف تطفو بعيدًا في اتجاه مجرى النهر.

- بيرتي! صرخت بصوت عال واضعة يدها على فمها وعيناها تنظران إلى أعلى وأسفل الضفة. لا بد أن شقيقها قد قفز من القارب، أو ذهب في نزهة مشياً مثل والدتهما، أو نام في زهور الأقحوان المتناثرة في نهاية الموسم، كان النهر مليئًا براكبي القوارب والمقامرين، وكانت الضفة تعج بالمشاة. ولكن اليوم كان يوم الإثنين. وكان شهر أكتوبر. كان النهر ممتلئًا بالتيارات السريعة ولم يكن هناك أحد حوله. كانت تنادي والدتهم وقد خاضت في الماء. كان جسدها يرتعش بينما تسرب الماء البارد إلى ملابسها. أطلقت صرخة صغيرة تشبه صرخة الطيور، وتعثرت في أعواد القصب التي يصل ارتفاعها إلى رقبتها، فأخفتها بالكامل. ركضت فلورنسا خلف والدتها، وسمعت نداءها اليائس للمساعدة. ومع نوبة رعب شديدة، رأت والدتها وهي ترفع بيرتي وهي تتعثر عبر القصب. تعثرت فلورنسا على الضفة، وشبكت يد شقيقها الباردة في يدها. أدركت حينها، وبكل يقين، أن الحياة كما عرفتها قد اختفت في النهر المتدفق مع بيرتي، ومن غير المرجح أن تعود أبدًا.

26

فلورنسا

ضمت بوي شفتيها معًا ونظرت إلى ركبتيها. كانت تقبض عليهما بقوة شديدة، حتى أن مفاصل أصابعها بدأت تؤلمها. وكان رأس هيلينا يدور من القصة. إلا أنها لم تكن مجرد قصة.

- اسمك ليس بوي. أنت فلورنسا. قالت هيلينا بهدوء فأومأت لها بوي برأسها: اعتقدت أني سمعت والدك يناديك ببوي ... لكنه لم يكن يتحدث عنك. كان يتحدث عن أخيك بيرتي. ابنه، ولده. أومأت بوي برأسها مرة أخرى. شعرت هيلينا بالتشتت قليلاً: أعتقد أنه ينبغي ليّ أن أدعوك بفلورنسا، فهو الاسم الذي أطلقته عليك والدتك في نهاية المطاف. وماذا بعد أن أنقذت والدتك بيرتي من القصب ... ماذا حدث؟ أومأت هيلينا برأسها بتعبٍ وسألتها كانت فلورنسا تمسح الحبر عن يديها.

- نعتقد أن بيرتي أسقط المجداف وفك قيود القارب لمحاولة استعادته، لكنه سقط بعد ذلك في النهر» قالت فلورنسا بصوت خافت: لابد أنه ابتلع الكثير من الماء مما جعله مريضاً جداً ... ومات. لقد أرسلوني للبقاء مع عمتي كاثرين في لندن. عندما عدنا إلى كامبريدج، في نهاية شهر أكتوبر، كانت والدتي قد ذهبت إلى جنوب فرنسا. قال أبي إنها كانت متعبة ... وقد أصيبت بالبرد من النهر. قال الأطباء إن السفر إلى الخارج سيساعدها على التعافي.

- «يا إلهي. يا لفظاعة ما حدث!» قالت هيلينا وهي تعض على شفتها السفلية بقوة.

- وهذا يفسر خوف فلورنسا من عبور النهر، والذعر الذي رأته في عينيها. عندما عدنا من منزل عمتي، تغير أبي تماماً. لم ينم، ولم يحلق. كان المنزل في حالة من الفوضى العارمة، ولم يكن هناك شيء في مكانه الصحيح. كل ما فعله هو الجلوس أمام ساعة جدتي والتحديق فيها ساعة بعد ساعة. ثم بدأ بشراء المزيد من الساعات. حاول الخدم إعادة بناء المنزل كما كان، لكن أبي غضب بشدة وفي النهاية لم يستطيعوا تحمل الاضطرابات – كل الساعات والأجراس والمشكلات. لقد غادروا

جميعًا لوظائف أخرى. واحداً تلو الآخر. قالت فلورنسا بحزن: أعتقد أنه ربما كان كل هذا خطأي.

- لكن... لماذا؟ سألت هيلينا.

- «لو كنت أشاهد بيرتي. لو لم أكن غاضبة منه لأنه حالم جدًا، ربما كنت سأبقى في القارب، ولم أنم، ولم يكن ليسقط في النهر قط.

- لكنه كان حادثًا. من المؤكد أن الجميع يعرف ذلك؟ قالت هيلينا.

- أبي يرفض الحديث عن الحادث، أو عن بيرتي. في بعض الأحيان ... يبدو وكأنه لم يكن موجودًا على الإطلاق. ولهذا السبب... بدأت أرتدي ملابس أخي، حتى لا أنسى. لكن كلما ارتديت ملابس بيرتي، قل شعوري بالواقعية. هزت فلورنسا كتفيها قليلاً.

- وضعت هيلينا يدها على ذراع فلورنسا. أرادت أن تخبرها أنها لم تقابل شخصًا حقيقيًا في حياتها من قبل، لكنها لم تعرف كيف تعبر عن ذلك بالكلمات. ربما لم تكن في حاجة للكلمات لمرة واحدة. ربما كان مجرد الجلوس بهدوء إلى جوار صديقتها كافيًا: لا أعرف لماذا توقفت الساعات يا هيلينا. وأنا آسفة لأن والدي أخذ أغراض فوكس. أنا آسفة لأنه جعل والدك يوقع العقد أيضًا. وأنا أكره معاملته الفظيعة نحو عمتي كاثرين: لكنني أعتقد ... أنه حزين جدًا لرحيل بيرتي وأمي ولا أستطيع تصحيح أي من ذلك.

Telegram:@mbooks90

حاولت هيلينا إخفاء الصدمة على وجهها. لم توقف فلورنسا الساعات.

- أنا فقط ... أتمنى لو كانت أمي هنا. كانت تعرف كيف تصلح الأمور. قالت فلورنسا بكآبة. كلما طالت فترة غيابها... أصبح أبي أسوأ، وكلما قل اهتمامه بي. أتمنى أن يرجع كل شيء إلى سابق عهده.

دائماً ما كانت هيلينا تفكر بسلوك السيد ويستكوت الغريب، أما الآن فقد تلاشت الفكرة. نظرت فلورنسا إلى هيلينا.

- لقد قلت إن كل أغراضنا موجودة في الإسطبلات، والأثاث أيضًا؟ قالت هيلينا وقد أومأت برأسها. يبدو أن الأفكار الجديدة بدأت تتولد في رأس هيلينا.

- ربما يكون من المفيد أن يتذكر أبي كيف كان الأمر من قبل قالت فلورنسا، ووقفت وهي لا تزال ممسكة بيد هيلينا وهي تجرها عبر متاهة الكتب إلى النافذة التي تطل على الحديقة الخلفية. وأشارت عبر الظلام الحالك نحو الاسطبلات: كل الأشياء التي ينبغي أن تكون في هذا المنزل موجودة هناك. كل أشياء بيرتي موجودة هناك. ربما إذا استعدناها، وبدأنا في جعل هذا المنزل يبدو وكأنه منزل مرة أخرى، سيتذكر أبي الأشياء الجيدة. وتذكر الأشياء الجيدة دائمًا يجعلك تشعر بمزيد من البهجة.

- أعتقد أن هذه فكرة ممتازة. قالت هيلينا. «ربما يجب عليك أيضًا ارتداء ملابس بيرتي أمام والدك. من المهم أن يعرف مدى افتقادك لأخيك وكيف كانت الأمور في السابق. يمكننا إحضار بعض الأشياء من الإسطبل في كل مرة، مثل السجاد والمصابيح وتحريك الساعات الهيكلية وإعادة الكتب إلى رفوف المكتبة: أنت تستحقين استعادة أغراضك. لقد فكرت في والدتها، كيف أنه ومن دون أوربت ستتلاشى ذكراها بسرعة أكبر. كان عليها أن تساعد فلورنسا ووالدها على تذكر بيرتي.

- كانت هناك طاولة لعب في الاسطبلات. هل لعبت ألعابًا مع والدتك وأبيك وبيرتي؟ سألت هيلينا فومأت فلورنسا برأسها وأجابت:

- لقد أحب بيرتي الصور المفاجئة. لقد كان شرسًا جدًا في ضرب أوراقه على الطاولة. وتبسمت عندما تذكرت الذكرى السعيدة.

- هذا الكتاب الذي وجدته. قالت هيلينا وهي تفتح مكتب فلورنسا وتخرج نسخة من كتاب هو وخمسة أطفالٍ: هل كان هذا لبيرتي؟

- كان يحب القراءة، وكان دائمًا يحشر أنفه في الكتاب. أحيانًا أقف في المكتبة وأغمض عيني، وأتجاهل دقات الساعة وأتخيل أنني أستطيع سماع حفيف الصفحات وهي تتحرك بينما يقرأ بيرتي. سأعيد هذا الكتاب إلى المكتبة التي ينتمي إليها،

إضافة إلى جميع الكتب الأخرى. لا يمكننا أن ندع بيرتي يُنسى: ليس من الصواب أن تعيش في منزل مملوء بالساعات بينما أغراض بيرتي بالخارج في إسطبل قديم خانق. أومأت فلورنس برأسها، وتقدمت نحوها وأخذته منها.

- أنت على حق، فلورنسا. لا يمكننا أن نسمح لوالدك أن يعاملك بهذه الطريقة، يجب فعل شيء ما على الفور. ابتسمت لها هيلينا ابتسامة عريضة.

27

منزل يغدو بيتاً

في مساء اليوم التالي، كان والد هيلينا يقوم بجولته المعتادة من التفتيش المسبق لصيانة الساعة، والتحقق من أن الرقاص يتأرجح بشكل صحيح، وأن التروس والأقراص والزنبركات كلها في حالة جيدة. شعرت هيلينا بالفزع لأن عينيه الحادتين قد أصبحتا متوترتين، وأصابعه ترتعش وهو يتفقد الساعات. كان الضغط في هذا المنزل يحاصره، كما لو أنه هناك سمكة قرش تبتلع الأسماك. وعندما دخل هو وهيلينا إلى غرفة الساعة الهيكلية، توقف مؤقتًا. كانت فلورنسا تجلس على كرسيها المعتاد إلى جوار الباب. لعقت إصبعها وانحنت أماماً لتفرك البقعة على حذائها، ثم مسحت يديها على سروالها المخملي الأزرق (أو بالأحرى سروال بيرتي). فرك والد هيلينا أنفه وهو ينظر إلى هيلينا في حيرة وهو ينظر إلى الغرفة، وسأل:

- هؤلاء؟

نظرت هيلينا إلى الساعات الأربع التي حُرّكت عن أحد الرفوف لإفساح المجال أمام صف من الكتب ذات الأغلفة الجلدية. كانت تنظر إلى طاولة لعب الورق الصغيرة والقماش الأزرق والكريمي لغطاء المصباح الذي يقف عليها. لقد وضعوه على يمين المدفأة الواسعة بالقرب من النافذة. قالت فلورنسا إن هذا هو المكان الذي كانت تقف فيه، عندما كانت الغرفة مكانًا يجلسون فيه ويتحدثون ويلعبون أمام نار مشتعلة في الأمسيات الباردة.

- طاولة ... أجاب والدها. أوه، ومصباح. نعم أستطيع أن أرى أن ... لكن ... من أين ... أتت؟

- هل هناك ... مشكلة يا أبي؟ قالت هيلينا ونظرت إلى فلورنسا التي كانت تطعم أوربت من قضبان القفص. ردت على والدها وهي ترفع حاجبيها كان والدها لا يزال ينظر إلى الطاولة والمصباح.

- لا. إنه فقط ... بالأمس لم تكن هذه الأشياء موجودة هنا. والآن هي كذلك.

راحت تمسح الأرضية بإصبع قدمها اليمنى. كانت تكره الكذب على والدها، لكنه كان ضرورياً. من المؤكد أنه سيضع حدًا لخططهم إذا اكتشفهم.

- هل سيأتي السيد، ويستكوت لتفقد الساعات اليوم؟ سألت هيلينا ويبدو أن كلماتها أيقظت والدها من غيبوبته.

- طبعاً، قال وأخرج ساعة جيبه من سترته وألقى نظرة عليها، رغم أن هيلينا لم تكن لديها أي فكرة عن السبب، حيث كانت هناك عشرون ساعة جيدة تمامًا في الغرفة كان في مقدوره النظر إليها، ماذا سيقول السيد ويستكوت عندما يرى ابنته مرتدية ملابس بيرتي، عادت الأغراض إلى الغرفة؟ هل سترتد الذكريات إلى رأسه وتجعله يدرك مدى غرابة تصرفاته؟ ربما سيأخذ فلورنسا في أحضانه، ويعدها بنسيان الساعات والتركيز على العثور على زوجته الغائبة. شبكت هيلينا أصابعها من الخلف ودخل السيد ويستكوت وشقيقته إلى الغرفة.

- مساء الخير. قالت كاثرين بلطف وتوقفت مؤقتًا تنظر إلى فلورنسا، ثم إلى الطاولة والمصباح والكتب، ثم إلى شقيقها، وقد انصدمت مما رأت. تراجع السيد ويستكوت خطوة إلى الوراء، ووضع يده على فمه.

- هل ... كل شيء يرضيك يا سيدي؟ سأل والد هيلينا.

- فلورنسا ... لماذا ... لماذا ترتدين تلك ... الملابس؟ يبدو أن السيد ويستكوت لم يسمع. سار ببطء إلى فلورنسا، كما لو كان هناك أحد يدفعه نحوها. وقف أمامها وذراعاه ممتدتان على جانبيه. كان صوته يخرج بصعوبة. عضت فلورنسا على شفتها السفلى، بينما كانت تنظر إلى والدها. نظرت هيلينا إلى كاثرين، التي عقدت حاجبيها الحريرين. شعرت بحرقة داخلها، وتمنت فجأة لو أنها لم تتناول الحساء الذي قدمه ستانلي على العشاء. هل ارتكبت هي وفلورنسا خطأً فادحًا؟ ملأت الساعات الصمت بالدقات والنقرات والأزيز. طلبت هيلينا من فلورنسا أن تتحدث لتخبر والدها بكل ما يزعجها. ولكن كان الأمر كما لو أن الساعات سرقت صوتها، ودفنته في أعماق تروسها ونوابضها.

- اذهبي وغيري ملابسك على الفور. قال السيد ويستكوت وهو يتنهد.

جلست فلورنسا في صمت على كرسيها، من دون حراك، وخدودها مصفرة. كان السيد ويستكوت يفرك خديه بكفيه وأغمض عينيه للحظة، ثم فتحهما وحدق مرة أخرى في ابنته، كما لو أنه ربما يأمل أن يرى شيئًا – أو شخصًا – مختلفًا.

- فلورنسا ويستكوت ... أنا ... أنا ... قالت كاثرين وهي تساعد فلورنسا على الوقوف على قدميها: تعالي يا عزيزتي ألقت على أخيها نظرة بائسة. ولكن كان هناك شيء آخر في عينيها أيضًا، شيء يشبه ... الامتنان. ولكن ما الذي يمكن أن تكون ممتنة له؟ أخذت فلورنسا قربها، وأمسكت بساعديها واقتربت منها حتى كاد أنفها يلصق أنفها: يمكنك ارتداء أي ملابس ترغبين فيها...

- الكتب ... طاولة البطاقات ... من وضع هذه الأشياء هنا؟ حبست هيلينا أنفاسها، وفجأة أرادت الاختباء: هل هذا أنت؟» قاطعهم السيد ويستكوت وعيناه تحومان في الغرفة سائلاً متجهاً نحو فلورنسا التي شحب وجهها محاولة الابتعاد عن عمتها.

- إنها أنا يا أبي. أنا وهيلينا. قالت فلورنسا بصوت جهوري وابتعدت عن قبضة عمتها.

- ممم ... حسنًا ... حسنًا ... هل أريك الساعات يا سيدي؟ قال والد هيلينا وهو يستنكر ما قد حصل. أحست هيلينا بوخزٍ في جسدها، من المؤكد أنه لو علم والدها بما حدث لعائلة فوكس فسوف يتفهم الأمر.

- نعم ... نعم ... الساعات. قال السيد لاهثاً ويستكوت وأومأ برأسه إلى والد هيلينا، وشبك يديه معًا: أرني الساعات.

- تعالي يا فلورنسا. قالت كاثرين وهي تمسك بيد فلورنسا موجهةً إياها نحو الباب: دعونا نبحث عن ستانلي ويمكنكما أن تريانى ما الذي كنتما تعملان عليه.

ربما لم يكن الاهتمام الذي أولاه السيد ويستكوت لفلورنسا هو ما أرادت. لقد أرادت ذلك، ولكن أثناء خروجها من الغرفة، كانت لدى فلورنسا النظرة الحازمة نفسها في عينيها التي رأتها هيلينا بعد عودتهما من متجر فوكس. كانت هذه هي

النظرة التي جعلت هيلينا تعتقد أن فلورنسا ستفعل أي شيء تقريبًا لجذب انتباه والدها مرة أخرى.

***

كان هناك سجادة فارسية غريبة موضوعة أمام المدفأة الرخامية في الصالة. ومزهرية خضراء مملوءة بأزهار الحديقة، موضوعة على حافة النافذة في غرفة النوم الرئيسية. أربعة رفوف من الكتب في المكتبة. شعرت بها هيلينا في أصوات أنابيب المياه. هسهسة المصابيح الكهربائية. صرير السلالم. تكتكات الساعات. عاد منزل ويستكوت إلى الحياة مرة أخرى، لكن السيد ويستكوت لم يوافق، الأمر الذي جعل فلورنسا وهيلينا تصران على الاستمرار في إعادة الأشياء إلى المنزل حتى يقبل ذلك.

28

هو وخمسة أطفالٍ

- أبي مريض. قالت فلورنسا بعد مضي يومين في غرفة الساعة الهيكلية، وهي تفرك أسفل رقبتها كما لو كانت تؤلمها.

كانت هيلينا تقوم بتلميع ساعة نحاسية معقدة، تم تصميمها على طراز برايتون بافيليون. كانت تلفّ قطعة قماش حول مقبض زوج صغير من الملاقط للوصول إلى الفجوات بين الأبراج.

- ماذا تقصدين ... مريض؟ سألت وهي تضع الملقط على الأرض.

جلست فلورنسا عند قدمي هيلينا، ولفت ساقيها، وربتت على المرآة الموجودة على قفص أوربت بحزن. لمعت شمس الصباح القادمة من النافذة على مشبك حذائها.

- واحد، اثنان، اخلع حذائي، اضحك، نعيق، اخرج ابن عرس. قال أوربت وهو ينفش ريشه.

- تقول عمتي كاثرين إن رأس أبي متخبط. سألتها عن أمي فقالت إنه لا يوجد حتى الآن أي أخبار عن مكان وجودها. أعتقد أنها تركتنا. ربما يكون الأمر مؤلمًا جدًا بالنسبة إليها أن تعود. أنا أفتقدها كثيرًا. ارتعشت أصابع هيلينا، لأنها هي التي اقترحت أن ترتدي فلورنسا ملابس أخيها أمام والدها، وتساعدها في جلب الأثاث من الإسطبل وإعادة الكتب إلى الرفوف. إذا كان هناك من يتحمل المسؤولية عن تشوش دماغ السيد ويستكوت، فهي كذلك.

- يجب أن تكون هناك طريقة يمكننا من خلالها تحسين الأمور. قالت: قالت عمتي كاثرين ... يجب أن أركز على دراستي.

- عمتك حريصة جدًا على حصولك على تعليم جيد. وتجهم وجه هيلينا.

- لقد كانت كذلك دائمًا. قالت فلورنسا: رغم أن بيرتي هو الذي حظي بكل الاهتمام

من أبي، ولكن بما أنه ليس هنا ... وأسدلت كتفيها. سارت هيلينا إلى أحد الرفوف، الذي كان يمتلئ بالكتب تدريجيًا، كانت تمرر بإصبعها على الأجزاء حتى وصلت إلى نسخة من خمسة أجزاء وذلك. لقد استمتعت بهذا الكتاب. هل استمتع بيرتي المسكين بذلك أيضًا؟ فتحت الصفحة الأولى:

إلى بيرتي،

عيد ميلاد سعيد،

صديقك تيرنس.

خطرت لهيلينا الكثير من الأفكار وهي تمرر الكتاب إلى فلورنسا وقد تجهم وجهها عندما قرأت الإهداء، وقالت:

- من هو تيرينس؟

- كان تيرينس أحد أفضل أصدقاء بيرتي. قالت فلورنسا.

- قبل بضعة أيام، كان هناك صبي يرمي الحصى على باب منزلك الأمامي. أنا متأكدة أن والدك كان يناديه بتيرينس. قالت هيلينا وهي تلتقط الملقط مرة أخرى وتفك القماش.

- لكن لماذا كان تيرينس مارشينجتون يرمي منزلنا بالحصى؟ لقد بدا دائمًا هادئًا جدًا، على عكس والده. تساءلت فلورنسا:

- تيرينس مارشينجتون؟ قالت هيلينا وهي تتذكر قول السيد فوكس إن هذا هو اسم محامي السيد ويستكوت: هل هو ابن المحامي؟ أومأت فلورنسا برأسها، وقفت وأعادت الكتاب إلى الرف، وضعت يدها على ظهرها. وهي تتذكر المحادثة الهاتفية التي سمعتها في مكتب السيد ويستكوت في اليوم التالي لوصولهما: سمعت والدك يتحدث إلى السيد مارشينجتون عبر الهاتف. لقد بدا متقاطعًا إلى حد ما. قال إنه التحذير الأخير للسيد مارشينجتون، وإذا فشل في اتباع التعليمات المناسبة فسوف يستغني عن خدماته.

- لكن أبي والسيد مارشينجتون كانا صديقين حميمين دائمًا. قالت فلورنسا. كان عقلها يطن بسرعة مثل تكاتف الساعة في الطابق السفلي: ماذا لو ... ماذا لو جعل السيد مارشينجتون تيرينس يوقف الساعات لأنه كان غاضبًا من والدك لأنه أراد التخلي عن خدماته؟ ماذا لو كان هذا هو السبب الذي جعل تيرينس يتسكع حول المنزل ويرمي الحصى أيضًا؟

- لكن تيرينس لا يعرف شيئًا عن الساعات. بدت فلورنسا متشتتة.

- لا يتطلب الأمر الكثير لإيقاف الساعة ، في مقدورك تحرير الزنبرك واستخدام أداة التعبئة. كان بإمكان والد تيرينس أن يُظهر له كيفية القيام بذلك. نظرت هيلينا إلى الساعة الهيكلية التي كانت تعمل عليها.

- ولكن كيف سيتمكن تيرينس من الدخول إلى المنزل؟ لم أره منذ جنازة بيرتي. قالت فلورنسا.

- لا أعتقد حقًا ... قاطعتها هيلينا وهي تطرد الفكرة المزعجة التي تقول إنها ربما تكون متمسكة بشيء ما: لا بد أنه أتى ليلعب مع بيرتي. لابد من أنه يعرف المنزل جيدًا. هيا فلورنسا. يجب أن نقوم بزيارة تيرينس مارشينغتون لنرى ما يعرفه.

***

- لا يا هيلينا. ليس مسموح لك الخروج اليوم قال والدها، وهو يسلمها زنبركًا لإدخاله في ساعة جيب صغيرة مرصعة بالجواهر.

ألقت هيلينا نظرة محبطة على فلورنسا. أشارت إليها بنظرة تعني: «حاولي مرة أخرى.»

- لكني أحتاج إلى الذهاب لشراء شيء ما من أجل أوربت. قالت هيلينا. التفت والدها إليها بنظرة غضب. أحست هيلينا بمغص في معدتها. لقد بذلت قصارى جهدها لمساعدة والدها في ترتيب الساعات، لكن العمل كان يؤثر فيه بشكل أكبر مما كانت تتخيل.

- يجب أن أستقل القطار إلى هانتينجدون بعد ظهر هذا اليوم لجمع بعض أجزاء الساعة النادرة. وللأسف، تم إغلاق المتجر الوحيد الذي كان يستطيع توفير هذه المنتجات في كامبريدج، في منطقة روز كريسنت، في الشهر الماضي فقط. أليس هذا حظًا سيئًا للغاية؟ وضعت يديها في فستانها وقبضت عليهما، إنه متجر السيد فوكس: أريدك أن تبقي هنا وتعملي على هذه النوابض في أثناء غيابي: لديك أصابع صانعة ساعات جيدة وذكية، يا هيلينا، واليوم أريدك أن تستخدميها.

ترك لها قائمة بالمهام التي يجب أن تعمل عليها (وقائمة أخرى من التعليمات حول الساعات التي يجب تشغيلها إذا أكملت مهامها مبكرًا)، انطلق والد هيلينا من المنزل مسرعًا إلى عربة الأجرة التي استدعاها ستانلي ليأخذه إلى المحطة، قال إنه سيعود في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم. طوت هيلينا ذراعيها ووقفت إلى النافذة، تراقب الحصان وهو يسحب عربة والدها التي تصدر قعقعة بعيدة.

- ماذا الآن؟ قالت فلورنسا: يمكنني الذهاب والعثور على تيرينس بمفردي.

- لا قالت هيلينا بحزم، وهي تلتقط قوائم التعليمات، وتطويها وتضعها في خزانة ساعة الجيب: أريد أن أتحدث مع تيرينس بنفسي. وأعتقد أن رالف يجب أن يأتي أيضًا. ربما إذا رأى تيرينس الأذى الذي حدث، فمن المرجح أن يخبرنا بما يعرفه.

- ولكن ... كيف يمكنك التأكد من أنه هو؟ وماذا عن ساعات الجيب؟ سألتها فلورنسا وهي تنظر بغضب إلى تعليمات هيلينا المطوية.

- نحتاج إلى إجابات على العديد من الأسئلة يا فلورنسا. ولن نتمكن من العثور عليهم بالانتظار هنا. سنضيف هذا إلى عمله وربما يستطيع ستانلي العناية بالساعات وسنتأكد من عودتنا قبل عودة والدي للعمل على الساعات.

- هل أنت متأكدة؟ ابتسمت فلورنسا.

- حتماً متأكدة. قالت هيلينا وكانت تفكر في رالف وعائلته، وكيف أنهم كانوا يعانون من نقص الطعام في آخر مرة قاموا بزيارتهم: أريد أن أحضر شيئاً ما من المطابخ، ثم سآخذ أوربت وسنغادر على الفور.

29

مارشينجتون وأبناؤه

وجدت هيلينا رالف وأخواته مع والدتهم في المتجر الفارغ في روز كريسنت. أخذت هيلينا رالف جانبًا وشرحت له سبب رغبتهما في زيارة تيرينس مارشينجتون. أخبرهم رالف أن وضعهم قد ساء وأنه سيدخل هو ووالديه إلى ورشة العمل الواقعة على طريق «ميل» في اليوم التالي. لقد قرروا أنهم سيرسلون أخواته للإقامة مع بعض أفراد عائلة والدته في نورفولك، وفي تلك المرحلة كان مستعدًا لفعل أي شيء قد يحسن وضعهم. شعرت هيلينا بألم يخنقها.

وضعت يدها في جيبها وأخرجت بعض البسكويت الغريب الذي أخذته من المخزن وأعطته إلى رالف. قالت له:

- هذا من أجل عائلتك، فرُسمت على وجهه ابتسامة أنسته حزنه قليلاً.

وبينما كانوا يسيرون إلى مكتب محامي مارشينجتون، سمحت هيلينا لرالف بحمل أوربت في حقيبته القماشية. كان الصبي ينصت إلى نقيقه كما لو أنه ألحانٌ عذبة تطرب السامعين. كانت كلها أملاً في أن ينسى رالف المأزق الذي وقعت فيه وعائلته. دخلوا شارعاً مرصوفاً بالحصى خلف إحدى الحانات. كان خلف الحانة كوخان يخرج منهما الدخان، سقفهما متداعٍ ومداخنهما مكسورة، لكن حبال الغسيل المتعددة المعلقة بينها تجعلهما تتماسكان قليلاً.

- تقول أمي إن تسعة عشر عائلة تعيش في تلك الأكواخ قال رالف بصوت منخفض.

فوجئت هيلينا. كيف كان من الممكن أن يكون هذان الجانبان من كامبريدج موجودين إلى جوار بعضهما بعضاً؟ أقيمت حفلات الجامعة في ماي ويك حيث كانت مزينة على بعد أقل من ميل واحد من هذا المكان القذر. واصلوا السير، وفي نهاية الطريق مشوا عبر العشب المحاط بالمباني من كل الجهات. على أحد جوانب المنطقة الخضراء، أمام فندق عظيم، كان الرجال يلعبون لعبة الكريكيت بينما كان المتفرجون يراقبون من خيمة بيضاء أقيمت في مكان قريب.

- ما هذا المكان؟ سألت هيلينا. كان راكبو الدراجات يسرعون على الطريق عبر العشب، يحنون رؤوسهم إلى الأسفل وعباءاتهم تتطاير خلفهم مثل الطائرات الورقية.

- هناك مقاطعة مشهورة- تسمى مقاطعة باركر. قالت فلورنسا: فندق عمتي كاثرين موجود عند الزاوية مباشرةً. ويقع مكتب مارشينجتون إلى يمينه. وهناك يعيش تيرينس وعائلته أيضاً في الطابق الأعلى.

- كنت آتي إلى باركر بيس مع جدي. قال رالف: لقد أخبرني عن الوليمة التي أقاموها هنا عام 1838 للاحتفال بتتويج الملكة فيكتوريا. لقد دُعيَ الآلاف من الفقراء، حتى أولئك الذين يعيشون في دور العمل. كان هناك البيرة ولحم البقر وأوركسترا. قال إنه كان أفضل يوم في حياته.

بالنسبة إلى هيلينا، بدا الأمر وكأنه حديقة عامة عادية إلى حد ما، لكن ذكريات رالف حولتها إلى شيء آخر تمامًا، مما جعلها تدرك مدى اختلاف الجوانب الموجودة في المكان، إذا أمعنت النظر فيه. وسرعان ما توقفت فلورنسا أمام درابزين حديدي سميك. مكتوب على لوحة نحاسية مصقولة فوق الباب الأخضر، مارشينجتون وأولاده. خرج رجل بعينين مغمضتين، يحمل حقيبة، خارجًا من الباب وهو يتمتم لنفسه. سمعت هيلينا كلمتي «دين وممتلكات» بينما كان يمر إلى جوراهم. لفّت هيلينا يدها حول الدرابزين الأسود. كان الجو باردًا على كفها الدافئ. عضت على شفتها السفلى. ماذا لو أخبر السيد مارشينجتون السيد ويستكوت أنهم جاءوا للزيارة؟ سيكون والد فلورنسا غاضباً. وقد يصب جام غضبه على هيلينا ووالدها. لكنها لم تستطع التوقف عن المضي قدمًا، ولكن، ليس عندما تكتشفان الكثير.

- هيا بنا يا هيلينا. قالت فلورنسا التي فتحت الباب الثقيل.

تبعتها هيلينا وهي مندهشة. خشب قاتم في كل مكان. الأرضيات، الجدران، السقف. المكتب (حيث كان يجلس خلفه رجل يرتدي نظارة نصف قمرية وشعره داكن مثل الكرسي الذي كان يجلس عليه). تخيلت هيلينا أن الأمر كان كما لو كانت

على متن سفينة شراعية في البحر، مع عدم وجود هيكل سفينةٍ يهتز أو موج يضرب.

- سيارات الجيب قال رالف وعيناه متسعتان جداً.

- بوب يذهب ابن عرس. ردد أوربت ضاحكًا.

- «هل يمكنني مساعدتك؟» قال الرجل ذو النظارة نصف القمرية، وهو يحدق في أوربت بطريقة منزعجة.

- لقد جئنا لنرى ... تيرينس مارشينجتون. قالت فلورنسا بصوت قوي.

وقفت هيلينا إلى جوار فلورنسا، كتفًا إلى كتف. خلع الرجل نظارته، وتقدم إلى الأمام، واضعًا مرفقيه على المكتب.

- هل لديك موعد؟ قال.

- حسنًا لا ... ولكن ...

- أخشى أنه سيتعين عليك المغادرة. إن جدول أعمال تيرينس مارشينغتون ممتلئٌ اليوم.

- تيرينس مارشينجتون ... هل لديه جدول أعمال؟ لكنه في الثالثة عشرة من عمره فقط. نظرت فلورنسا إلى هيلينا.

- إن جدوله ممتلئ غدًا أيضًا. نظر الرجل إليهم.

أرادت فلورنسا الحديث ولكن الرجل رفع يده وقال:

- وقبل أن تسألي، فهو ممتلئ في اليوم التالي، وفي كل يوم يليه.

شعرت فلورنسا بالحزن، ونظرت إلى هيلينا. ماذا كان عليهم أن يفعلوا الآن؟

- سننتظر إذن حتى يتمكن تيرينس من رؤيتنا. قالت هيلينا بحزم وهي تنظر إلى مقعد خشبي على طول الجدار الأيمن لمكتب السيد مارشينجتون المكسو بألواح خشبية.

أمسكت بذراع رالف، وأخذته إلى المقعد وجلست. تنهد رالف وجلس إلى جوارها. صرخ أوربت: «كواك ... كواك... واحد اثنان ... مشبك حذائي.»

- اسكت أيها الطائر الجميل. قالت هيلينا وهي تمد يدها إلى جوار رالف لتداعب رأس أوربت.

عض الببغاء إصبع هيلينا بمنقاره وضحك قائلاً: «أمي، أمي، أمي» فتردد صدى ضحكة والدة هيلينا من منقار أوربت حول الغرفة التي تشبه بالسفينة، أحست هيلينا بمشاعر الحزن والفرح المنبعثة من الجدران الخشبية. كانت والدتها لطيفة، وكانت ستفعل كل ما في وسعها لمساعدة رالف وعائلته. وكانت ستفعل الشيء نفسه. وواصلت فلورنسا الوقوف أمام المكتب. طوت ذراعيها. تنهد الرجل بشدة، ودفع كرسيه إلى الخلف.

- لا يمكنك السير هنا ... مع ببغاء ... والمطالبة برؤية الأشخاص الذين لا يمكن رؤيتهم! قال الرجل.

- إنه أمر مهم للغاية. قالت فلورنسا واضعةً يديها على المكتب.

راح أوربت يتمايل في حقيبته ويصرخ: «ثلاثة فئران عمياء، ثلاثة فئران عمياء، اضرب الكعكة، وميض، صف، صف، صف كعكتك.»

كان الرجل متفاجئاً، وانفتح الباب الأمامي للمكتب. نقره، نقره، نقره. التفتت هيلينا وإذ به الصبي الذي كان يرمي الحصى. كان يقف إلى جوار رجل صغير العينين متكئا على عكازة رفيعة مثل العصا. نقرت العكازة مرة أخرى على الأرض، نقرة، نقرتين، ثلاث نقرات، بينما كان ينظر إلى كل واحد منهم على حدة بعينيه الخرزيتين، ضمّ شفتيه قليلاً عندما رأى أوربت. فوجئت هيلينا. لا بد أن هذا هو السيد مارشينجتون، ولم يبدُ منبهرًا على الإطلاق لرؤيتهم في مكتبه. تساءلت فجأة عما إذا كانت قد اتخذت قرارًا متسرعًا بالمجيء إلى هنا، وما إذا كانت قد قادت أصدقاءها عن غير قصد إلى فم عرين الأسد.

30

تيرنس

خطت فلورنسا خطوة نحو السيد مارشينجتون وابنه، وألقت نظرة حيرة على هيلينا ورالف.

- ممم ... إنه ليوم جميلٌ، سيد مارشينجتون، تيرينس. أردنا ... أردنا معرفة ما إذا كان تيرينس يريد الخروج ... واللعب لفترة قصيرة؟ قالت.

غارت عينا السيد مارشينغتون، وبدت أصغر، وبرزت رقبته نحو الأمام كرقبة ديك، وهو ينظر إليها من أعلاها حتى أدناها، ثم تمعن في ملابسها، وقال:

- ملكة جمال ... يا فلورنسا؟ وجدد النقر بعصاه على الأرض لأربع نقرات هذه المرة، ثم نظر إلى رالف وتمتم: «الفتى فوكس!» ووضع عصاه على المنضدة، وراح ينزع قفازاته الجلدية السوداء ببطء.

- هؤلاء هم من أخذوا أغراضنا. همس رالف لهيلينا بساقين ترتعشان. «لقد جاؤوا ليلة توقف الساعات، ووضعوا ممتلكاتنا في عربة.

- وهذا هو الصبي الذي رمى الحصى على باب منزل فلورنسا. همست هيلينا مومئةً برأسها، وقد وضعت يدها الثابتة على ركبته اليمنى.

- سيد مارشينجتون، سيدي ... لقد أخبرت هؤلاء الأطفال أنهم لا يستطيعون لقاء تيرينس. قال الرجل ذو النظارة نصف القمرية.

- أحسنت، فمذكراته مترعة بشكل رهيب على ما أظن إذ سيكون مشغولاً جداً بمساعدتي في الدفاتر بعد ظهر اليوم. حسناً، طاب يومك، آنسة فلورنسا. أبلغي عني أباك أفضل أمنياتي. آمل أن يكون بخير؟ قال مارشينجتون مومئاً برأسه.

- ممم ... نعم ... إنه بخير. قالت فلورنسا.

هز السيد مارشينجتون رأسه على ما يبدو وكأنه نادمٌ، وضم شفتيه معًا وشق

طريقه إلى الأبواب المزدوجة. سقطت عينا تيرينس على الأرض عندما كان يتتبع والده.

- انتظر. انفجرت الكلمات من فم فلورنسا مثل اختراق الماء لجدار السد: من فضلك، سيد مارشينجتون، أريد فقط التحدث إلى تيرينس لبضع دقائق حول ... بيرتي.

نظر السيد مارشينجتون إلى تيرينس، ثم إلى فلورنسا ثم عاد مرة أخرى. فرك ذقنه. فركها أكثر وقال:

- أنا آسف جدًا لخسارة عائلتك، يا آنسة فلورنسا. قال ذلك بمنتهى الصدق وفرك ذقنه بقوة حتى تساءلت هيلينا عما إذا كان سيفركها على الفور: جيد جداً. يمكنك التحدث إلى تيرينس لمدة خمس دقائق.» قالها بنبرة حادة مما جعل هيلينا تشعر بالقشعريرة: لكن بسرعة يا تيرينس. لدينا عمل لنقوم به.

كانت فلورنسا قد قادت تيرينس إلى الباب، وتفادت راكبي الدراجات وسيارات الأجرة. كانت تقوده عبر الطريق إلى باركر بيس. متكئة على جذع شجرة. طويت ذراعيها وانتظرت هيلينا ورالف للحاق بها.

- أين أغراض والدي؟ قال رالف مندفعًا، وقبضتاه مطبقتان.

- ماذا تفعلين، هنا يا فلورنسا؟ سأل تيرينس متجاهلاً رالف وهو مقطب جبينه وقد ارتفعت موجة من الاحمرار إلى عنق ياقة قميصه النشوية وفوقها، فنظر إلى فلورنسا من أعلاها إلى أدناها: يا إلهي، هل تلك ... ملابس بيرتي التي ترتديها؟

- أنت وبيرتي كنتما صديقين حميمين. قالت فلورنسا متجاهلة سؤاله: لماذا ترمي الحصى على منزله ... منزلنا؟

- لا أعرف ما الذي تتحدثين عنه. قال بصوت حاد فلاحظت هيلينا أن شفة تيرنس السفلية ترتجف. وضع يديه في جيوبه، ونظر إلى مكتب والده.

- أين أغراض والدي؟ قال رالف مرة أخرى، وهو يخطو خطوة نحو تيرينس. رأت

هيلينا أن غضب رالف يتصاعد مثل البخار في غلاية فوضعت يدها على كتفه.

- من فضلك أخبرنا أين توجد أغراض رالف. قالت فلورنسا: عائلته ليس لديها شيء. سينتهي بهم الأمر في ورشة العمل وهم يأكلون العصيدة في نهاية الغد. كان بيرتي يريد منك مساعدتنا.

- لا أعرف أي شيء. قال تيرينس وهو يستدير ليبتعد.

- ألا تتذكر كيف ساعدك بيرتي في القراءة عندما كنت صغيرًا؟ كنت تجلس في المكتبة، وكان يقرأ لك من كتبه في علم النبات. لقد قلت إذا كان في حاجة إلى خدمة في المقابل ... قالت فلورنسا وقد أخذت نفسًا ومشت مع تيرنس.

كانت هيلينا في حالة صدمة. لم يسبق لها أن رأت فلورنسا تبدو هكذا ... منفعلةً للغاية. كانت متلونةً باللونين الأحمر والبرتقالي وكل الألوان بينهما.

- كيف يمكنك ترك عائلة تتضور جوعاً بهذه الطريقة؟ واصلت فلورنسا وقد خرجت الكلمات من فمها كالرصاص: يجب أن تعرف شيئًا ما.

قفز رالف على الفور ورن صوته واضحاً وقوياً:

- ساعدنا من فضلك؛ أخواتي يتضورون جوعاً. إذا استعاد والدي عمل صانع الساعات، فيمكنه العمل مرة أخرى، وإعالتنا جميعًا وسداد ديونه.

توقف زوجان يسيران مع كلب ألماني صغير بني اللون ونظرا إليهم.

- هل أوقفت ساعات السيد ويستكوت، تيرينس؟ هل الأمر يتعلق بوالدك؟ قالت هيلينا: يمكنك أن تخبرنا. نريد فقط أن نعرف ما حدث.

- أنا، أوقف الساعات؟ استدار تيرينس ونظر إلى هيلينا، وخداه شاحبان: لماذا قد أفعل ذلك؟ أنا آسف لأن عائلة فوكس فقدت أغراضها. آسف جداً حقاً: لكنني لا أستطيع مساعدتك أنت أو الآنسة كاثرين ويستكوت... أنا فقط... لا أستطيع. ألقى نظرة يائسة أخرى على مكتب والده. كان الباب قد فُتح وكان السيد مارشينجتون ينظر إليهما، وكان ينقر بعصاه على الدرج.

- ماذا تقصد، لا يمكنك مساعدة كاثرين ويستكوت؟» حدقت فيه هيلينا فاحمر وجه تيرينس، لكن شفتيه كانتا مغلقتين. مسحت فلورنسا يديها على سروالها، وتقدمت خطوة أخرى نحو تيرينس: لن أذهب حتى تخبرنا أين توجد أغراض عائلة فوكس، قالت وهي تغرس قدميها بثبات على العشب.

بدأ تيرينس بفتح فمه، ثم يغلقه مرة أخرى. استدار وركض نحو مكتب والده.

- أنا آسفة يا رالف. اعتقدت حقًا أن تيرينس قد يساعدنا. حدقت فلورنسا به، ثم جلست على العشب وهي تضرب بقوة.

- لا أريد أن أنفصل عن أخواتي. جلس رالف إلى جوارها، وعقد ساقيه وأراح ذقنه بين يديه. استدار بعيدًا، ومسح دمعةً متساقطة على خده.

أحسّت هيلينا بمغصٍ في أحشائها. استدارت لتنظر إلى الفندق الواقع على زاوية شارع باركر، حيث كانت تقيم كاثرين. ماذا كان يقصد تيرينس عندما قال إنه لا يستطيع مساعدة كاثرين ويستكوت؟ لقد بدا منزعجًا للغاية عندما ذكرها، وكان منزعجًا بمقدار ما كان أوربت يشعر بالانزعاج عندما تحاول عمة فلورنسا الاقتراب منه. تذكرت هيلينا طبيعة صوت كاثرين المسيطرة عندما تحدثت إلى شقيقها عن صحته. ولكن إذا كانت مهتمة جدًا بخير عائلتها، أفلا ينبغي لها أن تختار البقاء معهم في المنزل؟ وماذا فعلت طوال اليوم؟ قطفت هيلينا العشب، ومدته على الأرض براحة يدها. ويبدو أن هناك المزيد من الأسئلة التي يتعين الإجابة عنها. ولكن لمعرفة ما كانت كاثرين ويستكوت تفعله ، فإنها ستحتاج إلى بعض المساعدة من أصدقائها الجدد.

31

أسلحة الجامعة

كان كلٌّ من هيلينا وفلورنسا ورالف يحدقون في نوافذ جورجيان المكسوة باللبلاب في فندق يونيفرسيتي آرمز ويراقبون منطقة باركر.

- ما الذي تعتقد أن عمتي تخفيه؟ قالت فلورنسا وهي تقضم ظفر إبهامها.

لقد اختفى تبجحها السابق مع تيرينس. وكان ذلك متوقعاً. أي شخص على وشك اقتحام غرفة عمته في الفندق سيشعر بالشيء نفسه. قال تيرينس إنه لا يستطيع مساعدة كاثرين ويستكوت.

- لا بد أن هذا يعني أنها طلبت منه شيئًا ما. قالت هيلينا وهي تمسح على رأس أوربت المترنح في حقيبته.

- لماذا لا نسألها عن ذلك فحسب؟» قالت فلورنسا وهي تخرج ساعة جيبها: وانظري إلى الوقت يا هيلينا! ألا ينبغي أن نعود إلى المنزل للعمل على الساعات قبل عودة والدك؟

كانت فلورنسا ماهرة حقاً في طرح الأسئلة مثل هيلينا. وكانت هيلينا ترتبك في الرد عليهم. كانت تعض خدها من الداخل، وفكرت مرة أخرى في سلوك أوربت الغريب كلما اقتربت منه كاثرين ويستكوت. وكيف أنها كانت تنسلّ إلى إسطبلات السيد ويستكوت ليلاً وتشجع فلورنسا على تحقيق طموحاتها؛ والطريقة التي جلبت بها لفلورنسا كتبًا عن الهندسة المعمارية وآلات الطيران. هل كانت كل هذه الأشياء مجرد أمثلة على حوادث من الغرابة التي سيطرت على عائلة ويستكوت؟ أم أن الأمر يرجع إلى شيء آخر، شيء قد يساعد في تفسير الأحداث الغريبة التي تحدث في بيت الساعات؟ لم تعتقد هيلينا أنها تستطيع صياغة أي من هذه الأشياء في كلمات تفهمها فلورنسا، لذلك قررت أنه من الأفضل عدم قول أي شيء على الإطلاق.

- فقط تذكروا ما يتعين علينا القيام به. قالت هيلينا بحزم: أولاً، نسأل ما إذا كانت

الآنسة ويستكوت موجودة في غرفتها بالفندق. إذا كانت كذلك، فعلينا أن ندخل. ولكن إذا كانت في الخارج...

- ...أخبري مدير الفندق أن لديك طردًا مهمًا جدًا لها، ويجب أن يتم تسليمه يدويًا إلى غرفتها ... وبوساطتك فقط. قال رالف مندفعاً.

- هل أنت متأكد؟ لا يبدو الأمر قابلاً للتصديق. وعلى أية حال، ليس هناك طرد لنعطيه لها. حكّت فلورنسا أنفها.

كان أوربت يثرثر. أطعمت هيلينا أوربت بعض البذور من جيبها وتنهدت. لقد أمضيا خمسة عشر دقيقة في محاولة الاتفاق على خطة لكيفية الدخول إلى غرفة كاثرين ويستكوت في الفندق، وهو المكان الذي كانت تأمل هيلينا أن تكمن فيه بعض الإجابات عن أسئلتها. وكانت فكرة رالف هي أن يصرف انتباه مدير الفندق عن طريق الإغماء، مما يسمح له بذلك. تزحف هيلينا حول الجزء الخلفي من المنضدة وتأخذ مفتاح الغرفة. فشلت الخطة بسرعة عندما أدركوا أنهم لا يعرفون الغرفة التي كانت تقيم فيها. كانت فكرة فلورنسا هي أن تسير هيلينا وهي تبكي، قائلة إنها ابنة أخت كاثرين ويستكوت وعليها أن تترك ملاحظة شخصية لها في غرفتها (حيث أشارت فلورنسا إلى أنها إذا ارتدت ملابس صبي، فقد يربك ذلك مدير الفندق ويولد أسئلة أكثر من الإجابات).

- انظروا قالت فلورنسا وهي تشير إلى الجانب الآخر من الطريق.

خرجت كاثرين ويستكوت من أبواب الفندق، وكان البواب يراقبها بإعجاب. بدت مشتتة الانتباه، فأخرجت ساعة جيبها مرتين بينما أوقف لها البواب عربة أجرة. أعادت ساعتها إلى جيب معطفها، وصعدت إلى الكابينة وذهبت بعيدًا، وألقى الحصان كومة ضخمة من الروث على الطريق. أومأ بواب الفندق خلف الحصان، وهز رأسه وذهب لإحضار مجرفة كانت مستندة إلى جدار الفندق.

- الآن. قال رالف وهو يدفع هيلينا إلى جانبها: بينما البواب لا ينظر.

- نعم ...اذهبي حثتها فلورنسا.

- ولكن... لم نتوصل بعد إلى ما سأقوله له مرة أخرى قالت هيلينا، وقد بدأ قلبها ينبض.

أخذت هيلينا نفسًا عميقًا، وأرجعت كتفيها إلى الخلف، وعدلت تنورتها. أعطت فلورنسا أوربت، والأفكار تتدفق على أجزاء دماغها. لقد كانت تأمل فقط أن تتمكن من القيام بذلك. كان رالف على حق - كان البواب مشتتًا للغاية بسبب روث الحصان ذي الرائحة الكريهة إلى درجة أنه لم يلاحظ دخولها إلى مدخل الفندق. كان البهو مزدحماً. كانت هناك عائلات تحمل صناديق وحقائب تجلس على الكراسي إلى جوار أصص النخيل في الصالة الصغيرة. وفتاتان صغيرتان تلعبان حول عمود، وكانت ضفائرهما تتطاير. توجهت هيلينا إلى المكتب حيث كان هناك رجل ينظر إلى الأطفال ويعض على شفته، يريد أن يسكتهم ولكنه لا يجرؤ على ذلك.

- نعم؟ قال الرجل لهيلينا بلهجة متعجرفة.

- لقد غادرت عمتي، الآنسة كاثرين ويستكوت، الفندق للتو. لقد اشتقت إليها، خلال دقائق. وضعت هيلينا على جبينها منديلاً كما لو كانت تجري: كان من المفترض أن أسلمها شيئاً لتأخذه إلى غرفتها.

- ابنة أخيها! نعم، لقد ذكرت أنها كانت تقضي بعض الوقت مع العائلة في أثناء إقامتها في كامبريدج. اكتسب وجه الرجل لمعاناً غير عادي عند ذكر اسم الآنسة ويستكوت.

- نعم بالتأكيد. لقد كان ... من الرائع إقامتها بالقرب من ... منزلنا.

- حسنًا، لقد حصلت الآن على عقد إيجار لهذا المنزل الصغير في غرانتشيستر، وستأتي لزيارتك في كثير من الأحيان كما أتخيل؟ حدقت هيلينا في الرجل بغباء ... كوخ في غرانتشيستر؟ ما الذي كان يتحدث عنه؟

- ممم ... العنصر الذي يجب عليّ تسليمه. أعطتني تعليمات صريحة بأنه يجب عليّ تسليمه لها مباشرة. «أو وضعه في غرفتها»، كررت هيلينا.

- ابتسم الرجل ومد يده: يمكنك أن تتركي هذا الشيء معي يا آنسة. سأضعه في

خزانة الفندق وأعطيه لها حال عودتها.

- أوه... أعتقد أنك تسيء فهمي، قالت هيلينا: أخبرتني أنني يجب أن آخذها إلى غرفتها شخصيًا: إنها ... ذات طبيعة حساسة.

- حسنًا... قال الرجل بارتيابٍ وقد تجولت عيناه بفضول فوق شخص هيلينا كما لو كانت تبحث عن الشيء.

- لقد كانت حقًا مجاملة للغاية بشأن... فندقك الجميل» قالت هيلينا وهي ترفع صوتها وسط صرخات الأطفال الذين يلعبون: لقد ذكرت أنها ربما ستأخذ غرفًا مرة أخرى في عيد الميلاد... بينما يتم تزيين كوخها... أم... قالت هيلينا وقد شعرت بالدفء في خديها.

نقر الرجل بأصابعه على المكتب، ثم استدار وأخذ مفتاحًا من الخطافات الموجودة خلف المكتب. وكان يحمل علامة نحاسية كبيرة محفورة. جناح جرانتا. مررها عبر المكتب، وقال:

- سيرافقك الحمال هناك إلى الطابق العلوي. تأكدي من إعادة هذا المفتاح لي في غضون خمس دقائق.

سمعت هيلينا صوت اصطدام خلفها. التفتت ورأت رالف ملقى على الأرض في حالة إغماء شديد. وضعت يدها على فمها وشهقت. ثم تذكرت خطته وابتسمت ابتسامة عريضة.

- أوه، هذا الولد المسكين هناك. قالت هيلينا وهي تلتقط المفتاح وتضعه في جيب معطفها.

- لا مكان للأطفال في الفنادق. تمتم الرجل وهو يندفع من وراء المنضدة.

أرسلت هيلينا شكرها لصديقها خلسة وسارت بسرعة إلى الدرج، مروزًا بالبواب الذي أتى مسرعاً لمساعدة مدير الفندق في التعامل مع رالف، الذي كان الآن جالسًا ويئن ويفرك رأسه. نظر رالف إلى هيلينا وغمزها سريعًا، قبل أن يطلق تأوهًا كبيرًا

آخر ويسأل عما إذا كان بإمكان أحد أن يمرر له النخلة المحفوظة في الوعاء لأنه كان يخشى أن يكون مريضًا. ابتسمت هيلينا وصعدت الدرج بسرعة.

32

صندوق القبعة

كانت أصابع هيلينا ترتجف عندما أدخلت المفتاح في قفل غرفة كاثرين بالفندق. أومأ لها رجل يرتدي بدلة من ثلاث قطع، ينفخ في الغليون، برأسه وهو يمشي في الممر . أومأت برأسها في المقابل، مما أدى إلى تشكل غيمةٍ في الهواء مملوءة بالدخان. نظر إلى الخلف من فوق كتفه، ونظر إليها نظرة ثاقبة كما لو كان يعلم أنها تفعل شيئًا لا ينبغي لها فعله. قابلته هيلينا بابتسامةٍ مشرقة وأكثر ثقة. وعندما استدار بعيدًا، دفعت الباب ودخلت وأغلقته خلفها. رمشت هيلينا عندما رأت نور الظهيرة المنبعث عبر النوافذ الكبيرة. كانت الغرفة مفروشة بشكل جيد – بورق حائط مزهر جميل، وأضواء جدارية كهربائية، وحتى حمام صغير. على طاولة القهوة توجد مجموعة متنوعة من كتالوجات الملابس والقبعات النسائية. لا يبدو أن هناك شيئًا غير مألوف، وبالتأكيد لا توجد ملفات أو أوراق في الأفق قد تقدم أدلة حول سبب طلب كاثرين مساعدة تيرينس. كانت معاطف كاثرين معلقة على حامل في زاوية الغرفة. مررت هيلينا يدها على المعطف الأزرق؛ لقد أعجبت بارتداء كاثرين له ذات مساء عند تفتيش الساعة. وكان لا يزال ملطخًا بالطين حول أطرافه. أدخلت يدها بحذر في الجيب الأيسر للمعطف. كان خاليًا، باستثناء منديل قطني عليه مجموعة من الأجراس الزرقاء المطرزة في إحدى زواياه. حملته هيلينا إلى أنفها واستنشقته. كانت رائحته... ليست رائحة عطر كاثرين. كان هذا لطيفًا ومألوفًا أكثر، مثل الخزامى – الرائحة المفضلة لدى والدتها. أعادته هيلينا إلى جيب المعطف وتفحصت الجيوب الأخرى، التي كانت كلها فارغة. ظلّت مصممة على الولوج وهي تسير بخطى واسعة نحو باب نصف مفتوح على الجدار البعيد، يؤدي إلى غرفة النوم. كانت صناديق القبعات (خمسة منها) مكدسة أسفل النافذة. خلف صناديق القبعات وبجوار السرير كانت هناك خزانة صغيرة ذات أدراج. كان موضوعاً عليها كتاب. مشيت هيلينا والتقطته. «مبادئ الأعمال». فوجئت قليلاً. بدت تلك القراءة مملة للغاية. لماذا اختارت كاثرين ويستكوت مثل هذا اللقب؟ قامت هيلينا بتمريرها بسرعة، فسقطت قطعة من الورق كانت كاثرين تستخدمها كإشارة مرجعية من

الصفحات إلى السجادة. انحنت هيلينا لتلتقطه، وكانت لا تكاد تصدق ما تقرأه:

1905

برقيات مكاتب البريد

إلى: السيد إي. ويستكوت، منزل هاردويك، شارع ترامبنجتون، كامبريدج.

أعزائي،

أنا وأخيراً في طريقي إلى المنزل إلى إنجلترا.

وصلت إلى محطة كامبريدج في الأول من

يونيو الساعة 25.17 مساءً أتمنى كثيراً

أن تكون كلاكما هناك لمقابلتي! أنا لا أستطيع

أن أنتظر حتى نجتمع مرة أخرى.

محبتي لكم،

الأم.

كان الأول من يونيو قبل ما يزيد قليلاً على أسبوعين. وهذا يعني أن والدة فلورنسا عادت إلى إنجلترا. كانت هيلينا على يقين من أن فلورنسا لم تكن على علم بهذه الرسالة. ولكن لماذا كانت كاثرين ويستكوت تستخدمها كإشارة مرجعية؟ يجب عليها أن تظهرها لفلورنسا ورالف في الحال. أدخلت هيلينا البرقية في جيب معطفها، وتوجهت نحو الباب، وبينما كانت مغادرة، أسقطت ركبتها غطاء أحد صناديق القبعات. انحنت لتعيده، ورأت ما كان يعشش داخل الصندوق واضعةً يدها على شفتيها. كان طائر أبو الحناء الميت مثبتًا على قبعة بسلك رفيع، وصدره الأحمر منتفخ، وعيناه السوداوان المفعمتان بالحيوية بلا حياة وتحدقان. ضرب قلب هيلينا وشعرت أنها قد تكون مريضة. كانت على وشك تغيير الغطاء، ولكن هناك شيءٌ ما تحت القبعة. دفعت القبعة بحذر شديد إلى جانب واحد وأخرجت ظرفاً. كانت موجهة إلى الآنسة ويستكوت في فندق جامعة آرمز. أخرجت رسالة وقرأت:

السادس عشر من حزيران عام 1905

عزيزتي الآنسة ويستكوت،

- بعد مشاورتي اليوم مع أخيك، السيد إدغار ويستكوت، أكتب لأؤكد أنه قد تم حجز غرفة له في سانت - أندراوس أسيليوم في نورفولك لفترة من الوقت لم يتم تحديدها بعد. يشير تقريري إلى اللجوء بوضوح إلى الصعوبات التي واجهها السيد ويستكوت (السلوك المهووس، وجنون العظمة، وعدم القدرة على التفاعل مع طفله المتبقي). ومما زاد من حزنه، فقدان ابنه الوحيد ووريثه وحقيقة أن زوجته قطعت جميع الاتصالات ومكان وجودها غير معروف حاليًا. ونظرًا لخطورة الأعراض التي يعاني منها، أقترح إدخاله إلى المستشفى بمجرد اتخاذ الترتيبات العملية التي ذكرتها لي. أنا في انتظار مزيد من التعليمات الخاصة بك.

مع خالص التقدير،

د. بارينجتون

دكتور في الطب النفسي

أعادت هيلينا الرسالة إلى الظرف وأرجعته إلى صندوق القبعة. كانت كاثرين ويستكوت قد خططت لإرسال والد فلورنسا إلى ملجأ في نورفولك. ماذا سيحدث لفلورنسا إذا غادر؟ شعرت بالغثيان في بطنها. هل كان والد فلورنسا مريضًا كما يعتقد الدكتور بارينجتون؟ والدة هيلينا أخبرتها ذات مرة عن سيدة في شارع مجاور، بعد أن عبرت بصوت عالٍ عن آرائها بشأن حركة المطالبة بحق المرأة في التصويت، أرسلها زوجها بعيدًا إلى ملجأ ولم يسمع عنها أحد مرة أخرى.

- أقول. قال مدير الفندق وقد دخل الغرفة، كانت يتوقف لينظر من فوق كتف هيلينا إلى صندوق القبعة: إنها حقًا غير منتظمة على الإطلاق... يا لها من قبعة رائعة!» «هذا الطائر محفوظ جيدًا، ويمكن أن يكون على قيد الحياة تقريبًا. أحست هيلينا بضيق في حلقها.

- نعم، يمكن ذلك تمتمت وهي تتمايل قليلًا وهي تضع مفتاح الغرفة في يد مدير الفندق ثم اندفعت نحو الباب.

***

سار الأطفال الثلاثة بسرعة عائدين إلى شارع ترومبيتنجتون في ضوء المساء الخافت في وقت مبكر من الليل، ورؤوسهم منخفضة نحو رصيف الشارع.

- لا أصدق ذلك. قالت فلورنسا، ووجهها مشدود كالطبل: لماذا تخفي عمتي كاثرين تلك البرقية عني؟ طوال هذا الوقت اعتقدت أن أمي قد نسيتنا: ولكن إذا عادت إلى البلد - أين هي؟

- هناك شيء آخر. قالت هيلينا وهي تخبرها عن الرسالة التي عثرت عليها من الدكتور بارينجتون

- لكن والدي ليس مجنونًا. صاحت فلورنسا: لا تستطيع عمتي كاثرين أن ترسله بعيدًا، هي فقط لا تستطيع ذلك! لماذا لم تعد أمي إلى المنزل؟ وقالت إنها سوف تضع حداً لهذا على الفور. ضمت فلورنسا شفتيها معًا. قامت هيلينا بتعديل حقيبة أوربت على كتفها، وأدى الألم الشديد في صدغيها إلى أن تجفل. بدت كاثرين ويستكوت لطيفة من الخارج، لكن هيلينا شعرت أنها معقدة للغاية من الداخل، مثل الأعمال الداخلية للساعة. لكنها كانت لطيفة مع فلورنسا، وعينت لها معلمًا خاصًا يرعى تطلعاتها وأحضرت لها كتبها. ولم يقتربوا بعد من معرفة سبب طلبها مساعدة تيرينس مارشينجتون. كان الأمر برمته مربكًا إلى حدٍ ما، وجعل رأس هيلينا يدور ويشعر بألم وخفقان. وتوقفت قدما فلورنسا فجأة.

- انظري. قالت بصوت لاهث. نظرت هيلينا إلى الأعلى وعبست. كان منزل فلورنسا على الجانب الآخر من الشارع. كان المنزل مضاءً مثل شجرة عيد الميلاد، وأضاءت الأضواء كل نافذة. وتوقف عدد قليل من المارة للتحديق في المشهد. سمعت امرأة تقول لصديقتها: «تخيل أن تكون ثريًا بما يكفي لوضع مصابيح كهربائية في كل غرفة وتشغيلها في النهار». لماذا كانت الأضواء مضاءة؟ والدها سوف يعود الآن.

هل اكتشف هو والسيد ويستكوت أنها لم تقم بإصلاح الساعات أو جرحها؟ بدأت فلورنسا في الركض، وقدماها تدقان على الرصيف. أمسكت هيلينا بيد رالف وأسرعا. صرخ أوربت في حالة من الذعر، واصطدمت الحقيبة القماشية بجانب هيلينا وهي تجري.

- أبي؟ نادت هيلينا بينما كانت هي ورالف يركضان عبر الباب الأمامي خلف فلورنسا، وتركاه يغلق خلفهما: أبي... أنا آسفة... توقفت هيلينا، ورمشت في وهج الأضواء. وكانت فلورنسا تقف عند أسفل الدرج، وتتنفس بصعوبة. كان هناك شخص يجلس على الدرجة السفلية، مخفيًا عن الأنظار. تجاوزت هيلينا فلورنسا، وبدأ قلبها ينبض في رقبتها. ستانلي. وكان رأسه بين يديه. نظر إلى الأعلى، وخرج أنين صغير من شفتيه. سقطت هيلينا على ركبتيها، وقد أحست بقرصة من البرد تنزلق فوق ظهرها.

- ما الأمر؟ قالت: ماذا حدث؟ سألت فلورنسا: لماذا كل الأضواء مضاءة؟

- ضجيج الخارج قد ملأ الصمت في المكان. كان الحصان والعربة يسيران على طول الطريق. حلقة أجراس الدراجات. محادثات مكتومة وضحكات من الأشخاص الذين يمارسون أعمالهم اليومية. وضعت هيلينا يدها على رقبتها، وحاولت تهدئة نفسها. كان هناك شيء مختلف في المنزل، باستثناء الأضواء وستانلي المضطرب بشكل واضح. كان هناك شيء... مفقود. في أثناء مرورها بأوربت إلى ستانلي، وقفت ونظرت إلى أسفل القاعة. عند الساعات. ساعة الباغودا الغريبة ذات الثلاث طبقات ذات التكتكة السريعة الشرسة، تلك التي جعلتها تشعر بالاضطراب وعدم القدرة على البقاء ساكنة. كانت صامتة. انتشر الصمت على طول الردهة مثل صرير الجليد، بينما ركضت هيلينا نحو الساعة ووضعت يديها على سطحها النحاسي البارد، لتتحسس حركة التروس والعجلات والزنبركات.

الساعة.. متوقفة.. بدأت النجوم تدور في المكان الذي كانت تنظر إليه هيلينا. ماذا فعلت؟ العَقد. سوف نفقد ممتلكاتنا. سوف أفقد أوربت. ضغطت بكعب كفيها على عينيها وسقطت على الأرض، مع كل نفخة أخيرة من الهواء تخرج من رئتيها.

33

توقف

- لا همست هيلينا، وبطنها يتموج مثل بحر هائج: لا يمكن أن تتوقف الساعات... هذا مستحيل.

- لقد ربط والدك ساعة الباغودا الذهبية أمس. لقد شاهدته. وضعت فلورنسا يدها على كتف هيلينا.

- ستانلي، هل هذا هو السبب لأنها لا تدق؟ فتحت هيلينا عينيها، ورمشت بعينيها عند رؤية النقاط السوداء التي تتراقص أمامهما. كان ستانلي يهز رأسه.

- لقد توقف العديد من الساعات. عدت من الجامعة لأري فلورنسا رسالة من... حسنًا... أعتقد أنها من الأخوين رايت. عندما بدأت ضربات الساعة الخامسة، لاحظت أنها كانت أكثر هدوءًا من المعتاد. ثم رأيت بعض الساعات قد توقفت. كنت أركض من غرفة إلى أخرى لأتفقدها جميعًا.

تمايل أوربت وتلوى في حقيبته وقضم أصابع ستانلي. اتسعت عيون فلورنسا عندما رأت الرسالة الملقاة على الخزانة الجانبية. ركضت نحوها، وحدقت في طابع البريد ذي المظهر الأجنبي والتقطته. دقّت الساعات التي كانت لا تزال تعمل ودقّت كل ربع ساعة، فعدل ستانلي قبضته على أوربت. وكانت الدوخة تحاول إغراق هيلينا. كان من المفترض أن تبقى في المنزل طوال فترة ما بعد الظهر، لإصلاح الساعات وتعبئتها. والآن توقفوا.

- أبي... ألم يعد بعد من هانتينجدون؟ سألت يائسة.

- لا بد أن قطاره قد تأخر. قال ستانلي، بحزن، متذمرًا عندما نقر أوربت على يديه.

- لكن... يجب علينا تشغيل الساعات في الحال! سيكون السيد ويستكوت هنا لتفقدهم خلال خمس عشرة دقيقة! صرخت هيلينا.

- صراخ، نعيق، صرخة. صاح أوربت، وهو يتلوى بقوة في حضن ستانلي. ملأ

اليأس كل جزء من كيان هيلينا.

- لا ينبغي لأحد أن يعرف أن هذا قد حدث. قالت هيلينا.

- لكننا لا نعرف أي الساعات توقفت، قالت فلورنسا وهي تضع الرسالة غير المفتوحة على الخزانة الجانبية.

- يجب أن تتلف الساعات. هيلينا على حق قال رالف ملقياً نظرة خاطفة على أوربت: أو سيفعل السيد ويستكوت... بل سيفعل...

دارت الأفكار في رأس هيلينا مثل اليراعات في وعاء. ولم تستطع السماح لوالدها بالعودة ليجد أن جميع ممتلكاتهم قد ضاعت. لم ولن تفقد أوربت. كانت تعلم أنه ليس لديها الوقت الآن، لكنها ستكتشف من فعل ذلك.

- «حسنًا، كان من الأفضل لنا أن نسرع إذن. ستانلي، قم بفحص هذا الطابق. رالف، عليك التحقق من جميع الساعات في الطابق الأول. أنا وهيلينا سنفحص الطابقين الثاني والثالث لنرى أي ساعة قد توقفت. الآن أسرعوا! قالت فلورنسا وهي تلقي نظرة مليئة بالشوق على رسالتها، ثم أخذت نفسًا صغيرًا.

- «كواك .... كواك... كواك ... هيكوري ... ديكوري.» انقض أوربت في الهواء فوق رؤوسهم بانحناءة.

شهقت هيلينا، وحدقت في الكيس المفتوح الموجود في حضن ستانلي.

- معذرةً، قال ستانلي معتذراً وعيناه اتسعت بينما التفّ ذيل أوربت فوق قمة رأسه.

- لا يوجد وقت يا هيلينا النوافذ مغلقة حتى لا يتمكن من الهروب. تعالي! صاحت فلورنسا، وأمسكت بيد هيلينا وجذبتها نحو الدرج.

طار أوربت صعودًا على الدرج خلفهما، وانحرف إلى غرفة الساعات الطويلة، وملأ الهواء صياحًا صغيرًا من البهجة. هبط الببغاء على كرسي فلورنسا عند الباب، ومدد جناحيه ونظّف ريشه. نظرت هيلينا إليه. يجب عليها إعادته إلى قفصه، في حالة

إتلاف الساعات. لكن فلورنسا كانت على حق، لم يكن هناك وقت. نقرات ونقرات ونقرات، اندفع أزيز رقاص الساعة اللطيفة إلى طبلة أذنها. على الأقل لم تتوقف كل الساعات عن العمل.

- انظري ... لقد توقفت ساعة جدتي قالت فلورنسا من الغرفة الأخرى فوراً.

ركضت هيلينا إلى جانبها. كان رقاص الساعة ذو الوجه القمري هامدًا، وكانت العيون الملائكية المخيفة تحدق به. خافت هيلينا. لقد توقفت ساعة السيد ويستكوت المفضلة.

- أين مفاتيح التعبئة؟ سألت فلورنسا.

- أبي يبقيهم على الطاولة هناك. قالت هيلينا وقد تابعت عيون فلورنسا إصبع هيلينا الذي يشير إلى الطاولة الفارغة.

ارتعدت أرجل هيلينا. ساعات متوقفة ومفاتيح لف مفقودة. هذا لا معنى له. لقد قام شخص ما بنقل المفاتيح.

- سأبحث عنهم. قالت فلورنسا، اذهبي إلى غرفة ساعة العربة. «إنها أسهل في اللف.»

ركضت هيلينا من الغرفة، وريش أوربت يصدر حفيفًا وهي تقترب منه. كانت أصوات التكتكة في غرفة النقل وساعة الطاولة أخف من المعتاد. لا يمكن أن يكون هذا أمراً جيداً. وقفت هيلينا في وسط الغرفة على سجادة فارسية أحضرتها من الإسطبل، وقبضتا يديها مطبقتان وهي تدور وتحدق في كل ساعة على حدة. كان قلبها يدق بقوة لدرجة أنه كان يطغى على أصوات الساعات. وضعت يدها على صدرها وحاولت إبطاء تنفسها. هناك! ساعة ذهبية مع كيوبيد في الأعلى. لم تكن اليد الثانية تتحرك. تقدمت نحوها ويداها ترتجفان وهي تديرها وتغلق المفتاح بعناية مرة، مرتين، ثلاث مرات. تيك تيك تيك تيك. لقد فعلت ذلك. واحدة لأسفل، ولكن كم عدد الباقي؟ واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة... لقد قامت بلف كل ساعة على حدة، ثلاث دورات لكل منها، ووضعت ما يكفي من القوة في النوابض

لجعلها تدق في الوقت المناسب لتفتيش السيد ويستكوت. بالحديث عن ذلك... كانت الساعة خمس دقائق إلا ستة. قبل خمس دقائق من وصول السيد ويستكوت لتفقد ساعاته. تجهمت هيلينا. كان بإمكانها سماع صوت خطى مدوية في الغرفة الموجودة بالأسفل، وصوت التعجب من حين لآخر من ستانلي.

- أوه! واحدة أخرى لا تعمل. أغمضت هيلينا عينيها وهي تشغل الساعة الثامنة والأخيرة للعربة المتوقفة.

يجب ألا يسمحوا للسيد ويستكوت بالدخول إلى غرفة الساعات الطويلة. لم يحدث ذلك إلا بعد أن بدؤوا جميعًا في التحرك مرة أخرى. ركضت إلى الطابق السفلي، وانحنت فوق الدرابزين ونزلت إلى الطابق السفلي.

- هل أصلحت كل شيء من جديد؟» ولم يرد ستانلي. تجعدت أظفار هيلينا في الدرابزين الخشبي حتى آلمتها. وأُغلِق الباب الأمامي بقوة. سيد ويستكوت. ارتفعت الأصوات إلى الطابق العلوي مثل سحابة من الدخان. حبست هيلينا أنفاسها. ركض رالف بخفة إلى أعلى الدرج.

- أعتقد أنني أصلحتهم جميعًا. ماذا الآن؟ همس في هيلينا، وصدره ينتفخ.

- لا فائدة من ذلك، لا أستطيع العثور على المفاتيح. قالت فلورنسا، وهي تضع رأسها حول الباب، بينما يجلس أوربت على كتفها.

- هل تعرفين كيف يبدو مفتاح الساعة الطويلة المتعرجة؟ مثل؟ همست هيلينا إلى رالف.

- طبعاً، أومأ رالف برأسه.

- اذهب إلى غرفنا في الطابق العلوي. انظر إذا كان بإمكانك العثور على أي مفاتيح في غرفة والدي ... إنه الممر الموجود على اليمين.

أومأ رالف برأسه مرة أخرى وصعد الدرج التالي مثل أرنب يطارده كلب صيد. صوت أقدام ثقيلة تصعد الدرج جاءت من الأسفل. نظرت فلورنسا إلى هيلينا بنظرة

يائسة.

- والدي... قالت بصوت منخفض.

وكانت الأفكار تدور في رأس هيلينا، مثل كرة عالقة في لعبة المتاهة الخشبية التي تلقتها من والديها في أحد أعياد الميلاد. كل اتجاه ذهبت إليه أفكارها أدى إلى طريق مسدود. هل تم إيقاف الساعات لإيذاء والدها أو السيد ويستكوت؟ ماذا سيقول السيد ويستكوت؟ هل سيسامحها والدها يومًا ما؟

- سأبقى في غرفة الساعات الطويلة مع أوربت. همست فلورنسا: وأنت حاولي تشتيت انتباه والدي.

- لكن... قالت هيلينا. وسمعت باب غرفة الساعة الطويلة يُغلق خلفها وصوت نعيق مكتوم. عقدت أصابعها خلف ظهرها وتمنت أن يتمكن رالف من العثور على مفاتيح التعبئة المفقودة، وأن يظل أوربت هادئاً، وألا تنسى تشغيل أي من ساعات العربة.

- هل والدك جاهز لفحص الساعة؟ قال السيد ويستكوت بصوت منخفض، وعيناه محاطتان باللون الأحمر.

- لقد... تأخر قالت هيلينا، وصوتها يتأرجح.

كانت عينا السيد ويستكوت ثاقبتين، تبحث في هيلينا عن حقيقة لم تكن مستعدة لقولها.

- والدي قال لي أن استمر من دونه. قالت هيلينا، وصوتها يرتجف أكثر. نظرت إلى الدرج. هل... كاثرين... أعني أن الآنسة ويستكوت لن تنضم إليك هذا المساء؟

- أعتقد أن أختي قد تأخرت أيضًا. رقت شفتا السيد ويستكوت و فرك رقبته: الآن، هل يجب علينا التحقق من أن هذه الساعات كلها في حالة عمل جيدة؟ وأشار إلى هيلينا لتدخل الغرفة.

وضعت هيلينا يدًا مرتعشة على مقبض الباب النحاسي واهتزت.

- هل كل شيء على ما يرام يا آنسة جراهام؟ سأل السيد ويستكوت، وهو مقوس

حاجبيه محدقاً في مقبض الباب ويد هيلينا المرتعشة (التي كانت تتجاهل كل توسلاتها الداخلية بالبقاء ساكنة).

- كل شيء على ما يرام، رائع للغاية قالت هيلينا وهي تصر على أسنانها وتفتح الباب. تستعد لاحتمال أن يكون مستقبلها ومستقبل والدها على وشك أن يأخذ المنعطف الأكثر فظاعة نحو الأسوأ.

34

تفحص الساعة

وقفت هيلينا إلى جوار باب غرفة العربة وساعة الطاولة، ولسانها لا يقدر على الكلام، كما لو أن قشة ورقية عملاقة امتصت كل الرطوبة. أين كانت كاثرين؟ لم يتم إجراء عمليات التفتيش على مدار الساعة من دونها. كان جزء صغير منها سعيدًا لأنها لم تكن هناك، لأنها لو كانت هناك، لشعرت هيلينا بأن شفتيها ربما هربتا معها، مما أعطى كاثرين جزءًا من تفكيرها لتلقي البرقية عن والدة فلورنسا، ولإخفاء ذلك عن فلورنسا. كان من المقرر أن يتم قبول السيد ويستكوت في إحدى المصحات. كانت يدا السيد ويستكوت متشابكتين خلف ظهره بينما كان يفحص كل ساعة على حدة، وكان رأسه يميل نحو آليات الطنين. وصلت هيلينا إلى الأعلى وفكّت الزر العلوي في قميصها، لكن ذلك لم يفعل شيئًا لوقف الإحساس المتزايد بالضغط حول رقبتها. التقط السيد ويستكوت ساعة نحاسية صغيرة كانت هيلينا قد آذتها مؤخرًا ووضعها على أذنه. حبست أنفاسها. هل أدارت المفتاح مرات كافية؟ لا بد أنها فعلت ذلك، لأنه تركها جانبًا، وانتقلت عيناه بسرعة إلى ساعة الطاولة الخاصة بالسير إسحاق نيوتن. وكانت هيلينا تسمع صوت ستانلي وهو يتحرك صعودًا وهبوطًا عند الدرج، وصرير ألواح الأرضية بين الحين والآخر. هل كان ذلك رالف؟ هل وجد المفاتيح المفقودة؟ لم يكن هناك نقيق ولا غناء قادم من غرفة الساعة الطويلة. كانت فلورنسا تحافظ على هدوء أوربت بطريقة ما. ولكن إلى متى؟ كان السيد ويستكوت قد قطع ثلثي الطريق لتفقد الغرفة عندما رفع رأسه واستدار.

- من غير المعتاد ألا يكون والدك حاضراً للتفتيش. قال السيد ويستكوت.

- لقد استقل القطار إلى هانتينغدون. قالت هيلينا وهي تشد ياقتها وتلقي نظرة خاطفة على الباب.

- بالنسبة إلى بعض أجزاء الساعة. هل هناك مشكلة يا آنسة جراهام؟ كان صوت السيد ويستكوت لطيفًا.

التقت عيناه بعينيها. لقد كانت ناعمة، وكانت حوافها تتجعد في ابتسامة صغيرة ومشجعة. في تلك اللحظة لم يكن يبدو مريضًا على الإطلاق، بل كان حزينًا بشكل لا يصدق. ابتلعت هيلينا الجفاف في فمها وهزت رأسها. وأومأ السيد ويستكوت برأسه قليلاً.

- أعتقد أننا انتهينا هنا. كل شيء يرضيني. هل ننتقل إلى الساعات الطويلة؟ تحوّلت يدا هيلينا إلى كرات ضيقة عندما فتح السيد ويستكوت الباب ومشى إلى غرفة الساعة الطويلة المجاورة.

- ممم... أنا... ربما ينبغي لنا أن ننتظر والدي بعد كل شيء؟ قالت في عجلة وهي تنظر إلى ستانلي، الذي كان ينتظرهم في الأسفل، وعيناه متسعتان.

استدار السيد ويستكوت. كانت عيناه لا تزالان ناعمتين، وكانت هيلينا متيقنة من أنها تستطيع رؤية اللطف فيهما: لدي ثقة كاملة في والدك، آنسة جراهام. إنه أفضل مراقب للساعات قمت بتعيينه على الإطلاق. لم يتمكن أي شخص آخر من الحفاظ على هذه الساعات في حالة عمل جيدة كهذه. سار نحو باب غرفة الساعة الطويلة، ويده تصل إلى المقبض. قفز ستانلي أمامه مثل النمر، مانعًا طريقه إلى الباب.

- أعتقد... أنه قد تكون هناك مشكلة في الطابق السفلي، يا سيد ويستكوت: هناك شيء يجب أن أتحدث إليك عنه. حدق السيد ويستكوت في ستانلي.

واقتربت هيلينا من ستانلي حتى وقفت هي أيضًا وظهرها إلى باب غرفة الساعة الطويلة.

- ما... نوع المشكلة؟ سأل السيد ويستكوت وعيناه تضيقان.

- شيء... خاص إلى حد ما. قال ستانلي وهو يمسح حبات العرق التي تتخلل جبهته.

- جيد جدًا. بعد أن أقوم بفحص الساعات. قال السيد ويستكوت وقد وصلت يده حتى مقبض الباب.

- انتظر قالت هيلينا وهي تلهث.

وانخفضت يد السيد ويستكوت إلى جانبه.

- ماذا الآن؟ كان صوته مليئًا بالغضب الخفيف.

- أعتقد... ربما... يجب عليك النزول إلى الطابق السفلي والتحدث إلى ستانلي. إنها حقًا... مسألة مهمة للغاية. قالت هيلينا.

- هل أخبرك ستانلي... بأموره الخاصة يا آنسة جراهام؟ تشابكت حواجب السيد ويستكوت معًا.

- ممم ... نعم. إنه حقًا... مروع إلى حد ما. نظرت هيلينا إلى ستانلي وأومأت برأسها.

فرك السيد ويستكوت شفته العليا، وعيناه تتساءلان.

- أحتاج إلى التحدث معك بشكل عاجل جدًا، سيد ويستكوت. قال ستانلي مرة أخرى.

- هل هناك ربما... سبب لعدم رغبتك في أن أزور غرفة الساعات الطويلة الليلة؟ سأل السيد ويستكوت، وقد رسم جبينه خطوطًا صغيرة.

- أوه، لا..لا على الإطلاق قال ستانلي.

ربما كان الأمر جديًا بعض الشيء، لأن أصابع السيد ويستكوت النحيلة تجاوزت هيلينا باتجاه مقبض الباب للمرة الثانية وفتحته.

35

الطائر النفيس

التفتت فلورنسا عندما فُتح الباب.

- «هيكوري ... ديكوري» صرخ أوربت، وانقض في الهواء.

أمسكت فلورنسا بمفتاح متعرج في يدها اليمنى. كانت علبة الساعة أمامها مفتوحة، والغطاء عند قدميها. سقط المفتاح من أصابعها على ألواح الأرضية محدثًا ضجيجاً.

- «عفوًا» قال رالف في فزع.

وقف السيد ويستكوت صامتًا عند المدخل. انتقلت عيناه إلى رالف، ثم إلى فلورنسا، وأخيراً إلى أوربت، الذي كان يقوم بحلقات رائعة حول الثريا المتأرجحة من السقف. عند رؤية هيلينا، صرخ أوربت بسعادة وطار نحوها، وجناحاه يلامسان خدود السيد ويستكوت الشاحبة. تركت هيلينا أوربت يستقر على ذراعها، وأمسكت جناحيه بيد مرتعشة.

- أعتقد أن عليّ أن أشرح. قالت هيلينا.

- ليس هذا خطأ هيلينا. بالتأكيد ليس خطأها. قالت فلورنسا بصوت يشبه صوت الفأر وكانت تحدق في والدها وقد اتسعت عيناها.

- بالتأكيد ليس خطأها ولا والدها. قال رالف بصوت ناعم ولكنه حازم بالقدر نفسه.

بدت الأصوات القادمة من الساعات التي كانت لا تزال تعمل مفعمة بالعاطفة، كما لو كانت تنعي فجوات التكات المفقودة وعلامات رقاص الساعة المفقودة.

- ربما يمكننا النزول إلى الطابق السفلي يا سيد ويستكوت... قال ستانلي بتودد.

- هدوء» قالها السيد ويستكوت وصوته هادئ ويلفت الانتباه.

كانت عيناه الآن مثبتتين على ساعة أمه، على الرقاص الثابت ذي وجه القمر. بدا

وكأنه في نشوة، وعيناه حزينتان، ووجهه شاحب كالرخام. مشى ببطء نحو الساعة ووضع يديه على العلبة، وكأنه يريد أن يعمل الرقاص من جديد.

- لم تتوقف هذه الساعة منذ... توقفاً مؤقتًا، وسقطت يداه من الساعة وتحولت إلى قبضتين. ضغط بأصابعه الملتفة على عينيه. إيفانجلين... أنا آسفٌ جدًا.

- ما علاقة هذا بأمي؟ سألت فلورنسا: إنّ والد هيلينا لم يسمح بحدوث ذلك.

- لكن... السيد جراهام هو المسؤول الوحيد عن هذه الساعات. قال السيد ويستكوت وهو يخفض يديه مغمض العينين: لقد وعد بإبقائها تدق...

كان لونه يتدفق عائداً إلى وجهه، ويلونه باللون الوردي: ولقد حدث ذلك فعلاً...

- لم يكن ليسمح لهم بالتوقف قط. قالت هيلينا خائفة.

- انظروا... انظروا إلى هذا الرقاص. كانت كلمات السيد ويستكوت هادئة جدًا، لدرجة أنها كانت غير مسموعة تقريبًا على صوت الساعات التي كانت متأذية.

ومضت عينا هيلينا نحو الرقاص ذي وجه القمر. بدت السخرية على وجهه الصامت المطلي وملأ هيلينا بخوف عميق.

- ألا تدركين ما حدث... وما هي العواقب؟ كانت كلمات السيد ويستكوت أعلى هذه المرة، وبدأ جسده كله يرتجف، كما لو كان دمية خرقة يهزها طفل صغير. وكانت الغرفة تدور.

- كانت هيلينا تتنفس سريعًا جدًا، وسطحياً للغاية، شعرت بدوخةٍ فجأة وكأنها تسبح تحت الماء. «لا» أخذت نفساً. «لا. أنا حقًا لا أعرف ماذا ستكون العواقب... ولكن...»

- «أنت ووالدك. قال السيد ويستكوت مقاطعاً: أنتما الاثنان مسؤولان عن هذا

مشى نحو مزهرية أحضرتها هيلينا من الإسطبل، مليئة بزهور الفاوانيا الوردية التي تشبه الكرة الأرضية من الحديقة. كان يداعب البتلة بأصابعه.

- اعتقدت أن الأمور قد... تتحسن... وأن هناك فرصة أن... نحن... خرج أنين حارقٌ من شفتيه. «أمي. أبي. بيرترام. إيفانجلين. لا.»

- أبي. قالت فلورنسا وقد تحول وجهها إلى مزيج من الرعب والإحراج. كان صوتها واضحًا وعاليًا، مثل ورقة تتطاير في مهب الريح: من فضلك يا أبي.» وقفت أمامه وشبكت يديها. «لقد اكتشفنا أشياء... عن عمتي كاثرين. هي... تقول إنك... مريض... وتريد أن يتم قبولك في إحدى المصحات. لكنني لا أعتقد...

- اصمتي! أصبحت خدود السيد ويستكوت أكثر تلطخاً كطفح جلدي سريع الانتشار بسبب نبات القراص.

ضغطت فلورنسا على شفتيها معًا، ثم انكمشت مرة أخرى على الحائط. كان السيد ويستكوت يحدق في ابنته بشراسة، ثم انتقل نظره إلى هيلينا وأوربت، اللذين كانا يسيران جانب كتفيها.

- «توقفي أيتها الساعة، توقفي، هيكوري، قفص الاتهام،» ثرثر أوربت الذي طار فجأة من هيلينا وهبط على غطاء ساعة والدة السيد ويستكوت.

- أوه! تمتمت هيلينا. تمسكت فلورنسا بذراع رالف.

- هذا... ذلك... الطائر تمتم السيد ويستكوت.

- كواك ... طائر جميل، طائر جميل. الأم تحب هيلينا. وصدرت ضحكة والدة هيلينا من منقار أوربت مرسلة الرماح إلى قلب هيلينا.

ترنح السيد ويستكوت للأمام وأمسك قدمي أوربت. ومع صراخ، انطلق أوربت، ودار حول الغرفة في دائرة مذهلة ثم هبط على كتف هيلينا الأيسر. كانت توجيهات السيد ويستكوت لا فائدة منها. استدارت هيلينا وأمسكت بقدمي أوربت. نفض ريشه وقام بتقبيل رقبتها.

- أحضري لي الطائر الآن. كرر السيد ويستكوت.

- طائر جميل، طائر جميل. صاح أوربت.

هزت هيلينا رأسها، وثبتت قدميها على الأرض وصلّت من أجل أن يجتمعا هي وأوربت معًا مثل الكرمة، ملتصقين إلى الأبد.

- أوه، لكن يا سيدي... قال ستانلي.

- هدوء! قال السيد ويستكوت حازماً.

- وقت النوم، لقد حان وقت النوم، أيها الرأس الناعس،» تمتم أوربت وانكمش عند رقبة هيلينا وعيناه الخرزيتان تتسعتان.

شعرت هيلينا بهزة تشبه الزلزال جعلت ساقيها تهتزان.

- أبي... من فضلك... لا. قالت فلورنسا بيأس.

سار السيد ويستكوت نحو هيلينا وسحب أوربت من ذراعها. صرخ أوربت في مفاجأة. حاول التحرر من قبضة السيد ويستكوت. جفت الكلمات كلها في حلق هيلينا وتحولت إلى غبار، عندما استدار السيد ويستكوت وخرج من الغرفة، وتردد صدى صرخات أوربت خلفه. لقد حدث أكثر ما كانت تخشاه، وهو أن طائرها الثمين – آخر قطعة من والدتها – قد ضاع. لقد خالفت رغبة والدها وتركت الساعات من دون مراقبة في أثناء وجودها بالخارج، لذا فإن الحقيقة المروعة هي أنها لا تلوم إلا نفسها.

36

اتبعه!

كانت آذان هيلينا تطن من الأصوات والهمسات والصراخ وأصوات الساعات التي تدق بلا هوادة من ساعات العمل. لا تزال يدها تمسك بالمكان الذي كان يقف فيه أوربت قبل دقائق قليلة فقط. أغلقت عينيها. السيد ويستكوت كان لديه أوربت. شعرت بالضياع والوحدة. ماذا كان سيفعل السيد ويستكوت به؟ أصوات خطوات تجري على الدرج. المزيد من الأصوات، عاجلة الآن.

- لقد وضع الببغاء في قفصه، وأخذه إلى الطابق السفلي ويستدعي عربة أجرة. صاح ستانلي.

- هيلينا. من فضلك افتحي عينيك، قالت فلورنسا.

وتجمعت الدموع خلف جفني هيلينا. من المحتمل أن يكون السيد مارشينجتون موجودًا في أي لحظة لاستلام ما تبقى من ممتلكاتهم. لقد خذلت والدها بأسوأ طريقة ممكنة. سيكون من الصعب جدًا تحمل خيبة أمله.

- من فضلك هيلينا. عليك أن تأتي معي. قالت فلورنسا.

فتحت هيلينا عينيها. وكانت فلورنسا تركع أمامها، وشعرها مجعّد، وعيناها أكثر وحشية: علينا أن نتبع أبي، ونستعيد أوربت» قالت فلورنسا.

- ماذا تقصدين بمتابعته؟ لقد رحل. أسندت هيلينا أكتافها.

- سيكون أوربت خائفًا للغاية. قال ستانلي وعيناه ترتجفان من القلق: لا أعتقد أن مطاردة السيد ويستكوت فكرة جيدة

- إنها الفكرة الوحيدة التي لديّ. قالت فلورنسا آخذةً هيلينا إلى الطابق السفلي.

تجاوزت الساعات المتوقفة، التي بدت وكأنها تحدق بها غير مصدقة. لكنها ووالدها لم يسمحا لهم بالتوقف. هذا الجزء لم يكن خطأهم. لقد أخذ شخص ما

مفاتيح التعبئة عمداً. كان شخص ما يلعب اللعبة الأكثر فظاعة. لكن لماذا؟ فتحت فلورنسا الباب الأمامي وسحبت هيلينا إلى عتبة الباب، بينما اقترب رالف منهما. جاء الصوت من اليمين، في أسفل الدرج. تيرينس مارشينجتون. أسقطت فلورنسا يد هيلينا ونزلت على الدرج حتى أصبحت في مواجهته.

- أنت! قالت فلورنسا.

نظر تيرينس إلى الأسفل، وشبك إصبع قدمه على الرصيف. نظر إلى الأعلى مجددًا، ودفع شيئًا نحو فلورنسا. تراجعت فلورنسا خطوة إلى الوراء لتجنبه.

- انظري... أنا آسف. إنه فقط... قال تيرينس ومد يده مرة أخرى. «خذيها» ورفرف شيء ما في كفه. قطعة صغيرة من الورق.

تقدمت فلورنسا إلى الأمام وأخذتها منه. نزلت هيلينا ورالف على الدرج ووقفا إلى جوار فلورنسا. كانت الورقة التي كانت في يد فلورنسا مسننة عند الحواف، كما لو كانت ممزقة من دفتر حسابات.

ممتلكات السيد فوكس، صانع الساعات في شركة روز كريسنت.

مخزنة في شارع ٤٣ ميل رود، كامبريدج

- أغراض والدي! صاح رالف وألقى على تيرينس ابتسامة ممتنة فأشرقت عيناها.

- آمل فقط ألا يكون الوقت قد فات: من فضلك لا تخبر والدي أو الآنسة ويستكوت أنني أعطيتك هذا. قال تيرينس وهو يشهق: سوف أقع في مشكلة رهيبة.

- ما علاقة عمتي بهذا؟ سألت فلورنسا بحدة.

- الآنسة ويستكوت... أرادت مني أيضًا أن أعطيها العنوان الذي تُحفظ فيه أغراض السيد فوكس ... وأعطتني بعض العملات المعدنية لمحاولة الحصول على المعلومات. كنت سأساعدها، لكني كنت خائف مما سيفعله والدي.

- عصاه طويلة ورفيعة وتنزف من ركبتي. مسح تيرينس أنفه بظهر يده. واستنشق مرة أخرى.

كانت الآنسة ويستكوت في العربة في ذلك اليوم، وهي تسقط العملات المعدنية في كف تيرينس. كان التعاطف مع الصبي يثقل كاهل هيلينا.

- «كانت الليلة التي جئت فيها مع والدي لأخذ أغراض فوكس فظيعة. الفتيات الصغيرات كنّ يبكين. لقد كنت غاضبًا جدًا من السيد ويستكوت وما فعله. كنت أعلم أنه لو كان بيرتي لا يزال على قيد الحياة لكان غاضبًا أيضًا. أردت أن أفعل شيئًا... من شأنه أن يثير غضب السيد ويستكوت كما شعرت به.

- ألهذا السبب قمت برشق منزلنا بالحجارة؟ قالت فلورنسا.

- عندما رأيت رالف اليوم... وسمعت كيف سينتهي الأمر بوالدته وأبيه في ورشة العمل، فكرت في الأمر بشكل أفضل. أفتقد بيرتي كثيراً. قال تيرينس وأومأ برأسه: أعلم أنه كان يريد مني المساعدة: لقد وجدت مفتاح المبنى الواقع على طريق ميل في مكتب والدي. يمكننا أن نذهب ونجمع أغراض عائلة فوكس الآن. «أود أيضًا أن أعتذر عن تصرفاتي الوحشية مع السيد ويستكوت، بعد عودته من جرانتشيستر.» قالها وهو يعض على شفتيه.

- جرانتشيستر ... كيف عرفت أنه ذاهب إلى هناك؟ سألت فلورنسا مندهشة وقد أصبح وجهها شاحباً.

- . سمعته يخبر سائق عربة الأجرة. قال تيرينس وهز كتفيه وهو يومئ برأسه إلى هيلينا: كان ببغاؤك معه... لقد أحدث ضجة رهيبة.

تقدم ستانلي للتحدث مع رالف وتيرينس، ليضع خطة لاستئجار حصان وعربة وجمع الأشياء من طريق ميل في أسرع وقت ممكن.

- جرانتشيسترا قالت هيلينا، وقد انفجرت ذكرى في رأسها مثل الألعاب النارية. التفتت لمواجهة فلورنسا: قال مدير الفندق...لقد استأجرت عمتك كوخًا هناك. هل هو بعيد؟

- إنها قرية لا تبعد أكثر من ثلاثة أميال من هنا. بالقرب من المكان الذي وقع فيه

حادث بيرتي. قالت فلورنسا وكانت عيناها واسعتين كعيني بومة: ثم يجب أن نذهب على الفور.

- ربما سيأخذ والدك أوربت إلى عمتك، قالت هيلينا، وهي تلوح في الأفق فوقها ذكرى الزخارف الموجودة على القبعات الرهيبة في غرفة كاثرين ويستكوت بالفندق مثل سحابة داكنة. استدارت، وركضت لمسافة قصيرة في الشارع، ولوحت بشكل محموم لعربة أجرة عابرة اقتربت من الرصيف. لم تنتظر هيلينا حتى يخرج السائق من مقعده في الخلف، بل فتحت الستارة المنسدلة على مقدمة الكابينة بنفسها.

- ادخلي، يجب أن نتبعه! صرخت هيلينا في وجه فلورنسا.

- هيا يا فلورنسا، ليس لدينا أي وقت لنضيعه. نظرت فلورنسا إليها بشكل غير مؤكد.

- «إلى جرانتشيستر» صرخت فلورنسا وصعدت وتبعتها هيلينا، وأغلقت سقف الباب الكابينة لتنبيه السائق الموجود في الأعلى.

انطلق الحصان في هرولة سريعة. نظرت هيلينا إلى المنزل، وقد شعرت بوخز في أصابعها عندما رأت ستانلي ورالف وتيرينس ينظرون إليها مندهشين.

37

القفص الفراغ

- لا أفهم، قالت فلورنسا بينما كانت العربة تصطدم بهم: لماذا تستأجر عمتي كوخًا قرب المكان الذي مات فيه بيرتي...؟

- هناك العديد من الأسئلة التي أود أن أطرحها على عمتك، قالت هيلينا بوجه عبوس وهي معلقة بمقعدها بينما كانت العربة تتحرك حول المنعطف.

كانتا جالستين في صمت، حيث انتقلتا من الأماكن ذات المباني العالية إلى ممر ريفي ضيق. كانت الحقول على جانبيه مسطحة مثل الحديد، وكانت محاصيل القمح تتأرجح مع الريح. نقرت هيلينا على سطح الكابينة وطلبت من السائق الإسراع. استراحت قليلاً عندما ظهرت أمامها الأكواخ المطلية باللون الأبيض في قرية جرانتشيستر. مر الحصان قرب إحدى الحانات، وسمع صوت الكمان وانفجرت الضحكات من النوافذ المفتوحة. هل كان السيد ويستكوت يأخذ طائرها الثمين إلى أخته؟ أصبح استخدام الطيور لتزيين القبعات أمرًا قبيحاً على نطاق واسع. قبل وفاتها، أخبرتها والدة هيلينا عن محاضرة حماسية حضرتها في لندن، ألقتها إيميلي ويليامسون. لقد ساعدت في تأسيس الجمعية الملكية لحماية الطيور، وهي منظمة تصدت للأزياء الفظيعة وقامت بحماية الطيور وريشها من الاستخدام لتزيين ملابس وقبعات السيدات. أحست هيلينا باضطراب شديد فرجعت إلى مقعدها. كانت فكرة أن ريش أوربت الجميل اللامع مرتبط بإحدى قبعات الآنسة ويستكوت المروعة. فظيعة للغاية بحيث لا يمكن التفكير فيها.

- انظري. قالت فلورنسا وهي تميل إلى الأمام. إضاءة مصباح على عربة أجرة ثابتة: هل يمكن أن تكون عربة أجرة والدي؟

طرقت هيلينا على السطح مرة أخرى، وصرخت طالبة من السائق أن يتوقف، بينما كانت فلورنسا تبحث في جيوبها عن بعض العملات المعدنية. قفزت هيلينا من مقعدها ونظرت حولها بحثًا عن سائق عربة الأجرة الثابتة، الأخرى بينما دفعت

فلورنسا أجر سائقها. رُبط الحصان بشجرة عند فتحة ممر صغير. ربما كان قد ذهب إلى الحانة التي مروا بها للتو؟ عندما ابتعد سائقهم، تراجع صوت حوافر الحصان، ولم يترك شيئًا سوى هدوء أمسية القرية. كان الدجاج الغريب المنتشر ينقر على حواف العشب. أصوات الأطفال من داخل الأكواخ الصغيرة المسقوفة بالقش. رائحة دخان الخشب المنبعثة من المداخن. سحبت هيلينا بحذر شديد الستارة الثقيلة الموجودة في مقدمة الكابينة الثابتة ونظرت إلى الداخل. شيء ما يلمع على الأرض. الشريط الأصفر والمرآة المذهبة الصغيرة التي ربطتها فلورنسا بقفص أوربت. التقطتهم هيلينا وشدّتهم في قبضتها. لذا، كان السيد ويستكوت في مكان قريب، مما يعني أن ببغاءها كان موجودًا أيضًا. نظرت إلى الممر المعتم. كانت الرياح تعبث بالشجيرات والسياج. كانت سميكة بأوراق الصيف وستكون بمنزلة أماكن ممتازة للاختباء.

- ربما ينبغي لنا أن نعود إلى ستانلي؟ قالت هيلينا بعد أن أحست بقشعريرة.

- والدك لديه أوربت. لا يمكنه أن يكون بعيدًا عن هنا. همست فلورنسا وهي تعض ظفر إبهامها. بدأت هيلينا تسير في الممر وسط الظلال الممتدة، وقد تسارعت أنفاسها لأنها قلقة من اختفاء والدها. جاءت أنفاس فلورنسا حادة وسريعة خلفها. ضاقت الممرات فجأة، حتى لم يعد هناك مكان لهم إلا للسير في صف واحد. ضغطت هيلينا، وصرت على أسنانها. أوربت يقف في يدي أمها المقعرة. يقضم منقارهُ خاتمَ زواجها، والذهب يتلألأ في الشمس التي تشع من النافذة. هزت هيلينا رأسها، وتركت الذكريات ترفرف بعيداً. لا يمكن أن يضيع ببغاؤها.

- انتظري يا هيلينا. قالت فلورنسا، هذا... هذا الطريق يؤدي إلى النهر.

- من فضلك، فلورنسا. من فضلك كوني شجاعة. التفتت هيلينا ونظرت إلى صديقتها. كانت شفاه فلورنسا رفيعة، وخداها شاحبين.

- لن أسمح لأي شيء أن يحدث لك. أخذت فلورنسا نفسًا عميقاً وهزت رأسها: أنا... لا أستطيع. لم أعد إلى هنا منذ... بيرتي... منذ أن... توقفت، ونظرت إلى الأرض.

تجهمت هيلينا. هل كان هذا هو الشيء الصحيح الذي ينبغي فعله ... إجبار فلورنسا على مواجهة ذكرياتها بهذه الطريقة؟

- والدك قريب ... وأوربت. من فضلك... فلورنسا. أنا خائفة أيضاً. لا أستطيع أن أفعل هذا بمفردي. «أحتاج إلى مساعدتك.» كانت فلورنسا تتنفس من خلال فمها، وأنفاسها متقطعة. أغلقت عينيها لبضع ثوان وضمت يديها في قبضتيها. فتحت هيلينا عينيها مرة أخرى، وأومأت برأسها مؤقتًا. ابتسمت هيلينا لفلورنسا بابتسامة شاكرة، ثم واصلت المضي قدمًا، وأبعدت عنها نبات علق بتنورتها، وتسلقت فوق عتبة خشبية مطحونة وداخل حقل كان يتلاشى من الأخضر إلى الرمادي. أمامهم شيء لامع وسائل ومتذبذب، مثل الزئبق هو النهر. سمعت هيلينا نعيقاً مختلفًا عن أي زعيق سمعته من قبل. كان عاليًا ومفعمًا بالحيوية، وبدا وكأنه يتناغم مع الريح التي تغرد عبر أغصان الأشجار. يدور في مدارا كان هناك شيء آخر يلمع في ضوء المساء الباهت، شيء ذهبي. كان هناك شخص وحيد يجلس إلى جوار قفص أوربت الفارغ، ورأسه بين يديه. نظرت هيلينا إلى فلورنسا في رعب وبدأت في الركض.

38

إنذار

- أبي... صاحت فلورنسا وقد كان السيد ويستكوت يتكأ على جذع شجرة ساقطة قرب من ضفة النهر. كان رأسه مائلاً نحو السماء – وسط صرخات أوربت وهو ينقض ويغني.

- كواك ... كواك ... كواك! صاح أوربت من أعلى فشعرت هيلينا كما لو أن قلبها ينزف.

- كيف سينزلونه؟ صرخت فلورنسا مرة أخرى. «أبي» وتوقفت فجأة على بعد مسافة قصيرة من حافة النهر، إلى جوار بعض زهور الخشخاش ذات اللون الأحمر المحمر التي ترتعش مع النسيم.

- فلورنسا؟ وقف السيد ويستكوت وذراعاه متعرجتان على جانبيه: آنسة جراهام؟ أنا آسف جدًا. ببغائك الجميل...

- لقد أخذته. قالت هيلينا، والغضب الشديد يغلي في عروقها وهي تتوجه نحوه: كنت ستعطي أوربت لأختك وقد رحل الآن، ولن نسمح له بالنزول أبدًا.

- لماذا أخذت ببغاء هيلينا يا أبي؟ سألت فلورنسا وقد كان صوتها مليئاً بالتعاسة: لم يكن خطأها أن تتوقف الساعات.

جلس السيد ويستكوت على جذع الشجرة مرة أخرى وهو يفرك خديه. أحس بالقشعريرة على كتفيه المنحنيين. لقد بدا حزينًا وصغيرًا وضائعًا، وليس مثل الرجل ذي الوجه المرقط الذي جرف أوربت عن كتف هيلينا.

- أنا آسف. لقد كنت غاضبًا جدًا لأن الساعات توقفت مرة أخرى وإنّ الطائر كان يطير في المنزل. لم أكن أنوي إيذاء المخلوق. لقد أحضرته إلى هنا إلى النهر حتى أتمكن من التفكير. لكن باب القفص انفتح، وطار بعيدًا.

حزنت هيلينا. نظرت إلى القفص، فرأت أن القفل الصغير مفقود. وقد هرب ببغاؤها.

لم يكن السيد ويستكوت قد أطلق سراحه.

- «كواك ... كواك ... كواك» صاح أوربت.

حدقت هيلينا في السماء اللامعة، ورأت شكلًا منقضًا في الأعلى. كانت ترتعش أصابعها شوقاً لتحتضن طائرها بين يديها، وتشعر بقضمات منقاره الرقيقة.

- ولكن لماذا أحضرت ببغاء هيلينا إلى المكان الذي وقع فيه حادث بيرتي؟ سألت فلورنسا، وقد اختلط صوتها مع همسات النهر وحفيف القصب.

- «غالبًا ما أستقل عربة إلى هنا في المساء - إنه المكان الوحيد الذي تبدو فيه أفكاري أقل تشويشًا. قال السيد ويستكوت بحزن.

تذكرت هيلينا عندما رأت فيها السيد ويستكوت يصعد إلى عربة في وقت متأخر من الليل. لقد كان قادمًا لزيارة المكان الذي غرق فيه ابنه المسكين. تأوه السيد ويستكوت وارتجفت ذقنه.

- لو أن ساعة أمي لم تتوقف عندما ماتت... ربما كانت الأمور ستختلف. عبست هيلينا، وفكرت في صورة العائلة في مكتب السيد ويستكوت – والدته وأبيه، هو وشقيقته كاثرين، يقفان إلى جوار الحقيبة الطويلة. الساعة ذات الرقاص ذي الوجه القمري.

- ولكن ما علاقة ساعة جدتي بأي شيء؟ سألت فلورنسا وهي تنظر إلى النهر بحذر قبل أن تقترب من والدها.

كانت الأفكار تدور في رأس هيلينا، وتترابط معًا مثل شبكة العنكبوت. والملح المسكوب في مكتب السيد ويستكوت. انزعج عندما وضعت كاثرين مظلتها في المنزل. كان منزعجًا من قبعة أخته ذات العيون المصنوعة من ريش الطاووس. إصراره على أن أوربت لا ينبغي أن يطير في المنزل. ترددت شائعات عن أن كل هذه الأشياء تجلب الحظ السيئ. كيف لم تتمكن من رؤيتها؟ كان والدها قد تحدث من قبل عن خرافات الناس الغريبة حول الساعات. لقد أخبرها ذات مرة عن رجل أحضر ساعة صغيرة خاصة بابن عمه إلى الورشة. لقد دقت الساعة مرتين، ثم توقفت، وكان

يُعتقد أنها مكسورة. وقد كتب الرجل لاحقًا إلى والد هيلينا، يطلب منه بيع الساعة، قائلًا إنه لن يحتفظ بها في منزله تحت أي ظرف من الظروف. لقد مات ابن عمه بعد يومين بالضبط من دقة الساعة مرتين، وهو نذير شؤم وليس مصادفة فقط في نظر الرجل. ضحك والد هيلينا، وقال إنه لم يسمع شيئًا سخيفًا كهذا من قبل. واهتزت ساقا هيلينا. سقطت على العشب قرب الجذع.

- والدك يؤمن بالخرافات عندما توقفت الساعات يا فلورنسا. قالت هيلينا.

- ماذا؟ سألت فلورنسا بشكل لا يصدق: هل هذا صحيح يا أبي؟

- «نعم» قال السيد ويستكوت، وهو ينظر إلى هيلينا: كنت في العاشرة من عمري

Telegram:@mbooks90

عندما لفظت والدتي أنفاسها الأخيرة. توفيت قبل خمس دقائق من منتصف الليل. وكانت ساعتها المفضلة قد توقفت في اليوم نفسه. ومن الخرافات المعروفة أنه إذا حدث ذلك، فسيكون هناك موت في الأسرة. وبعد ذلك... وبعد ذلك... توفي والدي بعد فترة وجيزة...

تلاشت كلماته إلى لا شيء بينما كان يحدق في النهر الازرق. كانت هناك ضحكات على مسافات قصيرة من مجرى النهر. فوانيس صغيرة ملونة معلقة حول البنط أضاءت سيدات يرتدين ملابس بيضاء ورجال يرتدون معاطف سوداء وربطات عنق.

- انظر أيها الببغاء. صاح أحد الأشخاص وارتفع الهتاف في الهواء مثل البالون. يدور في مدار. طوت هيلينا ذراعيها حول نفسها في محاولة لتهدئة الاهتزازات التي تهز جسدها.

- ولكن كيف يمكن لساعة متوقفة أن يكون لها أي تأثير على ما إذا كان قلب الشخص يتوقف عن النبض أم لا؟ الساعة شيء ميكانيكي. قالت فلورنسا «القلب من لحم ودم». جلست على جذع الشجرة، وهي تتحرك حتى تمسكا هي ووالدها.

- لقد كان الخوف الذي زرعه والدي في داخلي. وعندما توفي بعد وقت قصير من وفاة والدتي، اعتقدت أن الأمر لا بد أن يكون صحيحًا. ثم مات بيرتي، وانهار عالمي من جديد، وأصبحت مهووسًا بفكرة أن الساعات قد تتوقف... لم يكن بإمكاني

المخاطرة بخسارة أي شخص آخر.» تنهد السيد ويستكوت تنهيدة مرتجفة.

نظرت فلورنسا إلى والدها وعيناها واسعتان. وهي تقضم داخل خدها.

- كانت والدتك مريضة جدًا، ومكسورة جدًا عندما توفي بيرتي. قال ويستكوت وهو يضع يده على شفتيه: بعد أن غادرت إلى أوروبا، اعتقدت أن الشيء الوحيد الذي يجب فعله هو إبقاء الساعات تدق بأي ثمن: وبعد ذلك ستعود، بشكل أفضل.

انقض اوربت على مستوى منخفض نحو الماء ثم ارتفع في الهواء، وهو يرفرف بجناحيه. وقف السيد ويستكوت ومشى إلى حافة النهر، ونظر عبر المياه إلى الغسق الكثيف، نحو الطلاب على المقامرة. التفت لرؤية فلورنسا، وحاجبيه يسحبان بعضهما البعض.

- كان من المقرر أن تعود والدتك إلى المنزل يا فلورنسا. لقد أخفيته عنك وعن عمتك كاثرين، إذ كنت حريصًا جدًا على عدم وجود النحس عند عودتها. شعرت بأنني أخف مما كنت أشعر به منذ فترة طويلة، في اليوم الذي ذهبت فيه لمقابلتها في محطة القطار. إلا أنها لم تكن هناك. عندما عدت إلى المنزل، كانت الساعات قد توقفت. اعتقدت ... أنها كانت علامة. أن والدتك قد أُخذت مني أيضًا، تمامًا مثل أي شخص آخر أحببته في حياتي. لقد كنت في حالة ذهول شديد، وطلبت من السيد فوكس أن يغادر على الفور. كان عليّ أن أبقي الساعة تدق بنفسي، الأمر الذي لم يكن جيدًا على الإطلاق لأعصابي، حتى قمت بتعيين السيد جراهام. إدراج بند في عقده مع فوكس ينص على أن الساعات يجب ألا تتوقف، بدا أمراً ضرورياً. «اعتقدت أن هذه هي الطريقة الوحيدة لمنع المزيد من المأساة وموت آخر ...

- أبي... قالت فلورنسا، وهي تقفز لتضع يديها على يديها.

وجهت هيلينا نظرة تحذير للنهر في البداية، لكن الان بدأت تشعر بالدوار.

- عندما أكون محاطًا بالنقرات والأجراس والضربات، لا أستطيع التفكير إلا في الساعات ومخاوفي على والدتك. قال السيد ويستكوت: مع ذلك، الآن... الوقوف هنا... يبدو الأمر غير منطقي وسخيف بعض الشيء. وشبك يدي فلورنسا بإحكام:

كاثرين تعتقد أنني مريض. أعتقد أنها ربما على حق. أنا آسف جدًا يا فلورنسا.

- لكنك لست مجنونًا يا أبي. قالت فلورنسا بشراسة: هذا ما كنت أحاول أن أخبرك به في المنزل. أنت فقط... حزين، على ما أعتقد. لقد رحل بيرتي، وأمي ليست هنا.

- نعم... أعتقد أنني بالأحرى قال السيد ويستكوت وهو يضغط على يدي فلورنسا: أخشى الأسوأ يا فلورنسا. أخشى أن والدتك قد لا تعود إلينا أبدًا إلى المنزل.

خرج صوت صغير من شفتي فلورنسا وأسندت خدها إلى صدر والدها. نظرت هيلينا بعيدًا وهي تفكر في البرقية التي وجدتها في غرفة كاثرين بالفندق. لقد أبقى السيد ويستكوت سرًا عودة زوجته، لكن أخته كانت على علم بالأمر طوال الوقت. ربما لم يكن الآن هو الوقت المناسب لإخباره بذلك ... ربما ينبغي لفلورنسا أن تفعل ذلك لاحقًا، عندما استقرت الأمور بينهما قليلًا.

- «كواك... كواك... كواك» صرخ أوربت من بين الأشجار على الجانب الآخر من ضفة النهر.

كانت صرخة عاجلة ... نداء إنذار. تزامنت أفكار هيلينا مع الريح، واضطربت حواسها. وقفت، ورأت فراشة بجناح أخضر وأزرق تتحلق بعيدًا على الجانب الآخر من النهر.

- «لا» صرخت وكان صوتها رقيقاً. «ارجع!» قالت هيلينا. استدار السيد ويستكوت وفلورنسا، وكانا يحدقان فيها. «صرخة أوربت ... لقد سمعتها من قبل». «إنه خائف من شيء ما.» نظرت فلورنسا والسيد ويستكوت إلى هيلينا بصراحة.

- ربما أفزعته بجعة أو دجاجة.» قال السيد ويستكوت: أنا آسف حقًا يا آنسة جراهام. سأفعل أي شيء تقترحينه لإقناعه.

- أنا أعرف أوربت. هناك خطأ ما.قالت هيلينا وذقنها مائل إلى السماء وأجنحة أوربت تتلاشى.

- هيا، يجب أن نتبعه. قالت فلورنسا وقد سحبت يد والدها.

- لكن هذا مستحيل... الطيور يمكنها الطيران، ونحن لا نستطيع ذلك. قال السيد ويستكوت.

- لا يوجد شيء مستحيل في هذا العالم. قالت هيلينا بحزم: سأتبعه، حتى لو لم تأتِ معي. أعتقد أنه يحاول أن يقول لنا شيئًا ما.

- مستحيل. تمتم السيد ويستكوت مرة أخرى.

- هيلينا على حق يا أبي. فكر في رسوماتي. فكر في الأخوين رايت! «قالت فلورنسا».

كانت النظرة الضبابية شبه المستمرة في عيني السيد ويستكوت واضحة. ولم تنتظر هيلينا لترى القرار الذي سيتخذه، ولم يكن هناك وقت. استدارت وبدأت في الركض في اتجاه صرخات أوربت، كما لو أن حياتها تعتمد على ذلك.

39

النهر

كانت ضفة النهر زلقة بسبب الأمطار الأخيرة، وسقط حذاء هيلينا في الوحل، مما جعلها تنزلق أكثر من مرة. ساعدتها فلورنسا على النهوض وأمسكت بيدها، بينما كان السيد ويستكوت يتمايل وينزلق لمسافة أخرى خلفهما. توقفت هيلينا عند حافة الماء. منعتهم أشجار القصب والصفصاف المرتفعة من الاستمرار على طول الضفة.

- «كواك... كواك... كواك» صرخ أوربت من أعلى.

رأت هيلينا وميضًا باللونين الأزرق والأخضر وهو ينبعث من فوق الأشجار على الجانب الآخر من النهر. وكان صوت قرقعة خافت قادمًا من ضفة النهر. كان هناك قارب يتمايل في الماء، مربوط بعمود.

- ليس هناك طريق للمضي قدماً. يجب أن نعود ونستقل العربة. قال السيد ويستكوت عندما وصل، وهو يلهث

- «لا» قالت هيلينا. «انظرا» تبع السيد ويستكوت وفلورنسا إصبعها المدبب. وعلى الجانب الآخر من النهر كان هناك ضوء خافت يأتي من داخل مجموعة صغيرة من الأشجار: كل ما يخيف أوربت موجود هناك: نحتاج إلى الوصول إليه.

- لكن ... إنه عبر المياه قالت فلورنسا.

- سيكون الأمر على ما يرام يا فلورنسا، قالت هيلينا: انظري ... يمكننا استخدام هذا القارب.

- لا يمكننا... أن نأخذ قاربًا خاصًا بشخص ما، يا آنسة جراهام. قال السيد ويستكوت متشككًا.

- لا... قالت فلورنسا بحزم: أنا لن أركب أي قارب. و سقطت على العشب، ومسحت أنفها بظهر يدها.

حدقت هيلينا في ضفة النهر والعمود الذي تم ربط القارب به. لا بد أن هذا يعيد الكثير من الذكريات المروعة لفلورنسا – حول الحادث وبيرتي المسكين. تصاعد أوربت وغنى فوق الشجرة. «كواك... كواك... كواك.»

- يبدو أن الصرخات أصبحت أكثر إلحاحاً. ماذا يمكن أن يرى من هناك؟ من فضلك، فلورنسا... أنا أعرف أوربت. لن يتصرف بهذه الطريقة لأي سبب قديم. قالت هيلينا.

- لقد قلت شيئًا سابقًا يا آنسة جراهام... كنت تعتقدين أنني سآخذ أوربت إلى أختي. لماذا تقولين شيئًا كهذا؟ قال السيد ويستكوت ولا يزال يبدو غير مصدق إلى حد ما. أدار ذقنه وهو ينظر نحو الضوء على الجانب الآخر من ضفة النهر.

- قال رجل في فندق جامعة آرمز إن الآنسة ويستكوت استأجرت كوخًا في غرانتشيستر. قالت هيلينا وقد تخبطت أصابعها في الحبل الذي يربط قارب التجديف بالعمود.

- حقًا...؟ ولكن لماذا لا أعرف شيئًا عن هذا؟ سأل السيد ويستكوت وقد عقد حاجبيه.

- ماذا تفعلين بالحبل، يا هيلينا؟ قاطعت فلورنسا. كان صوتها مليئًا بالذعر.

- علينا أن نصل إلى الجانب الآخر من النهر، إلى أوربت. قالت هيلينا وهي تقفز إلى القارب الذي كان يهتز ويتمايل.

- الآن، يا آنسة جراهام... لا أعتقد حقًا... قال السيد ويستكوت.

- ليس هناك وقت للتفكير. قالت هيلينا، سوف تكونين بخير في القارب يا فلورنسا. لن أدع أي شيء يحدث لك. لقد جدفت أنا وأبي مرات عدة على نهر السربنتين – في لندن.

- لكن الأنهار مختلفة وخطيرة، همست فلورنسا. لديهم تيارات وقصب وصخور يمكن أن تأخذك إلى أماكن لا يمكنك العودة منها.

تقدم السيد ويستكوت إلى الأمام ووضع يده الثابتة على كتف فلورنسا. ومدت هيلينا يدها لصديقتها.

- أرجوك تعالي. هل تتذكرين ما قلته عن الأشياء المستحيلة؟ قالت هيلينا. كان وجه فلورنسا شاحبًا في الظلام.

- حسنًا، لا أستطيع أن أسمح لك بالتجول هناك بمفردك، تنهد السيد ويستكوت وهو يبتسم لهيلينا ابتسامة متوترة: شعرت بطريقة ما عندما وصلت مع ببغائك هذا أن الأمور ستكون... مختلفة.

- صعد إلى القارب الذي تمايل تحت ثقله. ردت عليه هيلينا بابتسامة صغيرة، ومدت يدها مرة أخرى إلى فلورنسا.

- تعالي، يا عزيزتي. قال والدها وهو يمد يده أيضًا. لا تخافي.

- لا أستطيع. أنا لا أستطيع ذلك. اتخذت فلورنسا خطوة مترددة نحوهم، ثم توقفت وهزت رأسها.

- لا تدعي الماضي يمنعك من المضي قدمًا يا فلورنسا. وصلت هيلينا إلى حافة القارب ومدت يديها.

- الآنسة جراهام على حق. هكذا ينبغي أن نعيش. أومأ السيد ويستكوت برأسه قليلاً.

أخفت هيلينا صوتها. لو أنها كانت أفضل في أخذ نصيحتها الخاصة. لكن يبدو أن كلماتها وتشجيع ويستكوت كان لهما الأثر المناسب. خطت فلورنسا خطوة أخرى إلى الأمام وتواصلت ببطء مع هيلينا ووالدها. أمسكا بمرفقي فلورنسا، وساعدها على الصعود على متن السفينة. وقفوا جميعًا للحظة في الظلام، والماء يرتطم بالخشب، وكان تنفس فلورنسا أثقل من الهواء المحيط بهم. أرخت هيلينا قبضتها عن ذراع فلورنسا، وأرشدتها إلى الجلوس في مؤخرة القارب، على مستوى منخفض وبعيد عن الماء قدر الإمكان. كان هناك بطانية مطوية تحت المقعد. نفضته هيلينا ووضعته على ركبتي فلورنسا المرتعشتين، وتحققت من وجود المجدافين، ثم أسقطت الحبل.

دفعهم السيد ويستكوت بعيدًا عن الضفة. وكانت عينا فلورنسا مغمضتين بإحكام، ورأسها مستنداً إلى ركبتيها المرتجفتين. استنشقت هيلينا نفسًا من هواء النهر الرطب وهي ترفع المجاديف وسط ثقل الماء.

- «كواك... كواك... كواك»

انفتحت عيون فلورنسا واهتز القارب بشدة عندما جلست ونظرت في اتجاه صرخات أوربت. اصطدم مجداف هيلينا الأيمن بقاع النهر. كان الماء ضحلًا وكانت ذراعاها تؤلمانها بسبب الجهد المبذول للحفاظ على ثبات المجاديف في مواجهة سحب الماء. دفعت المجداف الأيمن إلى الخلف حتى استقر في وضع مستقيم داخل القارب، ثم تركته وهي تحرك كتفها.

- «هيلينا» قالت فلورنسا بقلق، واندفعت للأمام لتمسك بالمجداف.

تمايل القارب وتمايل، وتدفقت المياه على بدن السفينة. كان وجه فلورنسا شاحبًا في الظلام، كما لو كانت تعاني من نوبة رهيبة من دوار البحر. لوت جسدها حتى جلست بجانب هيلينا على المقعد الضيق، وذراعاهما تحركانهما. أعادت المجداف إلى الماء برذاذ لطيف.

- هل أنت متأكد من أنك تريد القيام بذلك؟ سألت هيلينا بهدوء.

أومأت فلورنسا برأسها بسرعة، واطبقت شفتيها على شكل خط رفيع.

- هذه هي فتاتي قال السيد ويستكوت، وهو يميل إلى الأمام ويضغط على ركبة فلورنسا.

- «واحد، اثنان، ثلاثة، جدّف» قالت هيلينا.

لم تكن مجاديفهما متزامنة، وكانت ترتطم وترتجف بينما كانت مقدمة القارب تشق طريقًا عبر الماء. وشددت قبضة فلورنسا على مجدافها. وانتظرت هيلينا حتى تسحبها مرة أخرى، وحاولت مطابقة التجديف. وتدريجيًا استرخت مجاديفهما لتصبح منتظمة. تتأرجح من ثمّ تميل إلى الأمام وتتراجع إلى الخلف، وتميل إلى

الأمام وتتراجع إلى الخلف. ألقت هيلينا نظرة خاطفة على كتفها. كانوا يقتربون من الجانب الآخر من النهر. وسحبت مجدافها بقوة أكبر، وكانت فلورنسا تضاهيها ضربة بضربة، وكان في عينيها توهج من الإصرار والخوف. وجهت هيلينا القارب إلى نقطة الرسو، حيث اصطدم القوس بالضفة الموحلة. مع أصوات الضوضاء والروائح المنبعثة من أمسية صيفية على ضفة النهر ملأت أذنيها وأنفها. دفقة الماء ضد الخشب. صافرة النسيم. دفقة حيوان ثديي يعيش في النهر في أثناء انزلاقه في الماء. رائحة دخان الخشب. دخان الخشب؟

- انظرا، قال السيد ويستكوت وهو يشير عبر الأشجار.

وهج أضواء منبعثة من كوخ صغير، وأوربت يصرخ من فوقه. أمسكت هيلينا بالقارب بثبات بينما قفزت فلورنسا. تمايلت قليلاً ثم غاصت في الأرض وكأن جسدها قد تحول إلى سائل. لقد كانت شجاعة في مواجهة مخاوفها بهذه الطريقة الهادئة والحازمة. تجهمت هيلينا. كانت في حاجة إلى مواجهة مخاوفها بالطريقة نفسها. ولكن ماذا لو لم ينزل أوربت؟ بعد أن ربطوا القارب، انطلقوا عبر مجموعة صغيرة من الأشجار التي تهب في مهب الريح. كان هناك طريق موحل متهالك، كما لو أن الناس قد مروا بهذا الطريق مرات عدة قبلهم، وهم يدوسون على نبات القراص ويدفعون العليق المتشابك جانبًا. ودعاهم وهج الضوء عبر أوراق الشجر إلى الأمام. ضرب صوت الأصوات المرتفعة آذان هيلينا. كاثرين ويستكوت! انطلقت هيلينا في الجري، وفلورنسا والسيد ويستكوت يقتربان من كعبيها. تعثرت فلورنسا وجذبتها هيلينا من قدميها إلى الأمام حتى وقفتا في مساحة صغيرة أمام كوخ أبيض مسقوف بالقش. كانت نافذتان على شكل نصف قمر في منتصف الكوخ مضاءتين مثل عيون قطة نائمة. أشرق شعاع من الضوء من الباب الأمامي نصف المفتوح على عتبة الباب.

- «كواك... كواك... كواك» صرخ أوربت.

اندفعت هيلينا إلى الأمام، ومشت فوق الممر الخشبي وتتبعت الأصوات عبر الباب.

- الطائر المزعج لن يتوقف عن الصراخ. صرخت كاثرين.

- لا بد أنه هرب... كان حيوانًا أليفًا لشخص ما... قال صوت آخر أخف: لا بد أن الببغاء المسكين مرعوب.

استدار كلاهما عند صرير الباب. كانت وجنتا كاثرين مشدودتين كملاءة مربوطة بحبل الغسيل. وقفت إلى جوار امرأة ترتدي فستانًا أبيض فضفاضًا محاطًا بالدانتيل، وشعرها البني المصفر مثبت على شكل كعكة فضفاضة. رمشت فلورنسا كما لو كانت ترى شبحًا. أخذت كاثرين نفسًا قويًا، ثم وصلت إلى الحائط لتثبت نفسها. سقط فمها مفتوحًا (بطريقة غير مهذبة على الإطلاق).

- فلورنسا؟ قالت المرأة ذات الشعر الأشقر، بصوت خفيف كالعندليب. أمسكت فلورنسا بذراع هيلينا، وشدّت أظفارها في جلدها. أربع كلمات حملتها من عتبة الباب إلى الردهة على همس أنفاسها: أمي؟ هل هذا أنت؟

40

التئام الشمل

نشاز من الأصوات في كوخ الغابة، أعلى من جميع الساعات التي تدق في منزل السيد ويستكوت.

- يا فتاتي العزيزة ... أنت هنا! هل تلك ملابس بيرتي التي ترتدينها؟ ماذا فعلت بشعرك؟

- أوه، أمي! أنا ،وأبي اعتقدنا أنك نسيتنا...»

- ماذا...؟ كيف...؟ أوه...

ذابت فلورنسا تمامًا بين ذراعي والدتها، ولم تستطع هيلينا معرفة أين تنتهي، وأين تبدأ والدتها. كان صدرها يؤلمها، وطوت ذراعيها حتى خف الألم قليلاً. همس السيد ويستكوت من الخلف. استدارت هيلينا. كان متمسكًا بإطار الباب، وكان وجهه شاحبًا مثل قطعة طباشير ستانلي.

- إدجار... قالت والدة فلورنسا، وشفتاها تبتسمان ابتسامة عريضة: حبيبي. هل تعافيت؟ أمسكت بيد فلورنسا ومرت إلى جوار هيلينا نحو زوجها.

- شكّل الثلاثة اجتماعًا وثيقًا. قالت كاثرين وقد احمرّ وجهها:

- حسنًا... هذا إلى حد ما... غير متوقع. اهتزت قبعتها البنية على رأسها.

تم ترتيب ريش طائر الجنة باللون الأخضر الزمردي ... حول وشاحها الأصفر الخردلي بمهارة. إلا أنه لم يكن مجرد الريش. عندما استدارت كاثرين، حدقت عين صفراء واحدة في هيلينا. كان الطائر بأكمله ملفوفًا حول القبعة والرأس والرقبة والجسم والقدمين، وكلها معروضة. أحست هيلينا بحرقة في فمها ولكنها صبرت وهي تستمع إلى صرخات أوربت التحذيرية في الخارج. كان أوربت منزعجًا من قبعات كاثرين، ومن الريش والطيور المحشوة. ولا عجب أنه احتج على ذلك كلما اقتربت منه. لكن طائرها الشجاع قادهم إلى هذا المنزل – وساعد في جمع فلورنسا

وعائلتها مهًا مرة أخرى.

- كاثرين... قال السيد ويستكوت بصوت لم تسمعه هيلينا من قبل. كان ثابتًا وهادئًا مثل البحر في يوم ساكن. انسحب من حضن زوجته: ماذا تفعل زوجتي هنا، في غرانتشيستر؟

- أستطيع أن أشرح لك، يا إدغار... سحبت كاثرين كتفيها ونظرت إلى عيني شقيقها مباشرة.

- لقد ذهبنا إلى الفندق... قاطعتها هيلينا، وما زال السخط من قبعات كاثرين يؤلم أفكارها لقد وجدت برقية من والدة فلورنسا التي كنت تستخدمينها كإشارة مرجعية. لقد رأيت قبعاتك... تريدين ببغائي!

- هل كنت تبحثين في أغراضي؟ وأي شيء تقصدينه أنني أريد الببغاء الخاص بك! قالت كاثرين وقد تجعدت ملامحها: أنا أحب الطيور الميتة ... وليس الحية.

- وعثرت هيلينا على رسالة من الدكتور بارينجتون، يقول فيها إن والدي سيتم إرساله إلى الملجأ. قالت فلورنسا وهي تبتعد عن حضن والدتها.

- ملجأ؟ قالت والدة فلورنسا وقد تجعدت جبهتها: ما الذي يحدث؟

قادت والدة فلورنسا كاثرين عبر باب مفتوح إلى غرفة بها كراسٍ مريحة ونار مشتعلة في الشبكة. وقفت كاثرين تنظر من النافذة نحو النهر الملتوي الذي جلب الكثير من الحزن لعائلة ويستكوت. انضمت فلورنسا إلى والدتها على الأريكة الصغيرة، ممسكة بيديها بقوة. وقف السيد ويستكوت أمام النار وهو يفرك فكه، وعيناه مثبتتان على زوجته وابنته، كما لو أنه لن يسمح لأي منهما أن تبتعد عن بصره مرة أخرى. جلست هيلينا على ذراع الكرسي، وركبتاها تهتزان. فبمقدار ما كانت يائسة لإقناع أوربت بالتوقف، كانت في حاجة أولاً إلى معرفة سبب وجود والدة فلورنسا هنا، ولماذا أخذت كاثرين البرقية، ولماذا رتبت لإرسال والد فلورنسا بعيدًا.

- حسنًا، كاثرين؟ قالت والدة فلورنسا وهي تتقدم إلى الأمام: هل يمكنك شرح ما

يحدث هنا؟

كانت كاثرين صامتة، تنقر بإصبعها على شفتيها، وعيناها زجاجيتان. أطلقت والدة فلورنسا تنهيدة بعد أن نفد صبرها.

- قالت كاثرين إنك... لست أنت يا إدغار. قالت إنك تعتقد أنه من الأفضل ألا أعود إلى المنزل على الفور. أخذت عقد إيجار هذا الكوخ. في الحقيقة، كنت ممتنة لعودتي قرب من النهر، قرب مكان بيرتي... توقفت وفاضت عيناها بالدموع: لقد كنت ضعيفة للغاية، وقالت كاثرين إن فلورنسا تحظى بالعناية الجيدة وكانت سعيدة. لقد كانت مقنعة للغاية.

- لكني لم أكن سعيدة على الإطلاق... صاحت فلورنسا بحرقة.

أخرجت من جيبها البرقية التي عثرت عليها هيلينا ووضعتها على حِجر والدتها.

- لقد وجدت هيلينا هذا في غرفة فندق عمتي كاثرين. لماذا لم تكوني في المحطة عندما ذهب أبي لمقابلتك؟

تقدم السيد ويستكوت خطوة إلى الأمام، والتقط البرقية. أصبح وجهه شاحبًا وهو يقرأ الكلمات.

- لقد ذهبت لمقابلتك في المحطة يا إيفانجلين، كما طلبت. لكنك لم تكوني هناك. وعندما عدت من المحطة بحثت عن هذه البرقية، معتقدًا أنني ربما كنت مخطئًا بشأن الترتيبات، لكنها اختفت. التفت إلى أخته: هل أخذتِ البرقية من منزلي يا كاثرين؟ لماذا تفعلين مثل هذا الشيء؟ وماذا تفعل زوجتي في هذا الكوخ؟

شدت هيلينا قبضتيها معاً وقد وضعتهما على حِجرها. ألقت فلورنسا عليها نظرة قلقة. هل كانت هذه هي اللحظة التي سيتعلمون فيها الحقيقة أخيرًا؟

41

الحقيقة

- الأمر بسيط تمامًا. قالت كاثرين بأريحية: منذ حادث بيرتي، أثبت إدغار أنه غير مؤهل تمامًا لإدارة شركة الطباعة العائلية، وأنت، يا إيفانجلين، أثبتَ أنك غير قادرة تمامًا على رعاية فلورنسا.

- الآن انتظري لحظة... بادر السيد ويستكوت إلى التساؤل. لقد ذهب لون خدود والدة فلورنسا ببطء.

- انتظر. قالت كاثرين وهي ترفع يدها مرتدية القفاز: أنت تريد مني أن أشرح لك، وسأفعل ذلك. رقت شفاه السيد ويستكوت. أومأ إليها بالاستمرار: بعد حادث بيرتي المروع، كنت سعيدة بالعناية بفلورنسا – فهي طفلة يسهل العناية بها، ويبدو أن أيًا منكما لم يلاحظ ذلك. إنه لأمر فظيع أن بيرتي المسكين لم يعد معنا، ولكن لديك ابنة حية تتنفس وذكية بشكل لا يصدق، حيث دُفعَت جانبًا بكل المقاصد والأغراض بسبب حزنك وانعدام الأمان الذي انغمست فيه. خرافات إدغار حول توقف الساعات ماهي إلا سخافة. نحن نصنع مصائرنا بأنفسنا. ولا تحكمها قطع معدنية وتروس ونوابض. لقد كانت مصادفة أن أمّنا لفظت أنفاسها الأخيرة في الليلة التي توقفت فيها ساعتها، ووالدنا بعد فترة وجيزة. لكن إدجار أعمى في معتقداته غير المنطقية، في حين أنه كان ينبغي عليه في الواقع أن يفكر في تفسيرات أكثر وضوحًا.

- لقد كنتِ أنت! لقد أوقفت الساعة ذات الوجه القمري في اليوم الذي ماتت فيه والدتك. قالت هيلينا.

- لا... لا، لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. قال السيد ويستكوت وقد أخذ شهيقاً قوياً.

- نعم، هيلينا على حق. لقد أوقفت ساعة أمي يوم وفاتها. قالت كاثرين وهي تنفث أنفاسها لكنك كنت أعمى جدًا بحيث لم تتمكن من رؤية أن توقف الساعة ووفاتها لا علاقة لهما على الإطلاق.»

- لم تتوقف ساعة أمي من تلقاء نفسها؟ تعثر السيد ويستكوت بكرسي قرب المدفأة، ووقع عليه وهو يفرك خديه، هزت كاثرين رأسها: لقد كانت وظيفتك هي تشغيل ساعة أمي عندما كنا أطفالاً. اعتقدت أنه إذا أوقفتها، فسوف تقع في مشكلة. لقد كان لديك كل شيء، إدغار. المدرسة الداخلية باهظة الثمن. محادثات مع أبي حول شركة الطباعة. رحلات لمدة شهر إلى الأمريكيتين. طوال الوقت بقيتُ في المنزل وتم تجاهلي. لقد نشأنا في كامبريدج. كنت آتي إلى المدينة مع مربية الأطفال وأرى النساء يذهبن إلى محاضرات الجامعة، وهنّ ممسكات بالكتب ، ووجوههن واسعة بالاحتمالات. هل تتذكر أنني طرحت هذا الموضوع معك ذات مرة وسألت إذا كان في مقدوري أن أتقدم إلى الدراسة هناك؟ أنت ضحكت؛ قلتَ إنني يجب أن أطرد مثل هذه الأفكار السخيفة من رأسي.

- هذه المرة أنت من أوقفت الساعات. قالت هيلينا.

- نعم. أومأت كاثرين برأسها.

- ولكن انتهى الأمر بالسيد والسيدة فوكس تقريبًا في ورشة العمل! قالت فلورنسا بغضب وقد تسلل احمرار خافت إلى خدود عمتها.

- أنا آسفة لذلك. لقد فتشت الإسطبلات، معتقدة أن إدغار قد خزن ممتلكات فوكس هناك ويمكنني إعادتها. قالت كاثرين.

- لقد تحدثت مع تيرينس، ابن المحامي. كنت أعلم أنه وبيرتي كانا صديقين حميمين. طلبت إليه أن يحاول معرفة مكان تخزين ممتلكاتهم. قالت كاثرين وهي تتنهد باقتضاب، ولهذا السبب كانت كاثرين في الإسطبلات تلك الليلة: لكنه لم يخبرني بأي شيء.

- ولكن هذا... فظيع. ماذا فعلت؟ هذا يعني أن صياغتي للعقود كانت... حمقاء ومضللة. لم يوافق السيد مارشينجتون على عقد الساعة، وكان يتصل بي يوميًا لمحاولة إقناعي بسحبه. لكنني رفضت الاستماع لأنني كنت عازمًا على محاولة منع مأساة أخرى. قال السيد ويستكوت، وقد تجعدت ملامحه: عائلة فوكس – يجب أن

أعوضهم بطريقة ما.

- لا تقلق يا أبي، قالت فلورنسا: لقد قرر تيرينس مارشينجتون مساعدتنا في النهاية. سوف يكون ستانلي قد ذهب لإعادة ممتلكات فوكس بينما نتحدث.

- ابتسم السيد ويستكوت لابنته ابتسامة رقيقة ومرتاحة.

- والدك غير مؤهل لإدارة شركة العائلة. لقد عرضت مساعدتي مرات عدة ، وفي كل مرة تم رفض ذلك. مع رحيل بيرتي، لن يخطر بباله أن يسمح لك بوراثة العمل عندما تبلغين سن الرشد. قالت كاثرين وهي تنظر بعينها الفولاذية إلى فلورنسا. كان الخيار الوحيد هو تمهيد الطريق لكلينا، وإيجاد طريقة يمكنني من خلالها إدارة الشركة ونقلها إليك في الوقت المناسب.

شهقت فلورنسا في رعب.

- لكن... كاثرين... هذا غير معقول، قال السيد ويستكوت. وهو يفرك يديه معًا.

- لهذا السبب أوقفت الساعات؟ قالت هيلينا: حتى يبدو السيد ويستكوت مهووسًا ومجنونًا للغاية، ولإبقائه محبوسًا في مصحة حتى تتمكني من الاستحواذ على شركة العائلة؟

- أنت تقريبًا ذكية مثل ابنة أخي. تمتمت كاثرين وهي تنظر إلى هيلينا بنظرة استحسان. «لم يدرك إدغار أنني رأيت برقية إيفانجلين التي توضح خططها للعودة. لقد أرسلت برقية على الفور وطلبت منها العودة إلى المنزل في وقت متأخر عن الموعد المقرر، وأحضرتها إلى هنا إلى الكوخ الذي استأجرته. عندما ذهب إدجار إلى المحطة معتقدًا أن إيفانجلين ستكون هناك، أوقفت الساعات في أثناء وجوده بالخارج وأخذت البرقية، مع العلم أنه عندما يعود ستجعله خرافاته يعتقد أن شيئًا مروعًا قد حدث لها. لقد كان له تأثير في جعله مختل العقل تمامًا، كما أكد الدكتور بارينجتون.

- لكن أبي ليس مجنونًا. صرخت فلورنسا، واقفة وعيناها تومضان.

- بدلاً من مساعدته، جعلت خرافاته أسوأ، وجعلته يعتقد أنه مريض، كيف يمكن أن تكوني فاسدة إلى هذا الحد؟ أومأت والدة فلورنسا برأسها صامتة شاحبة الوجه وهي تقف إلى جوار ابنتها.

- ستكون أفعال فلورنسا وهيلينا كاملةً. قالت كاثرين والكلمات تتطاير من لسانها كما لو كانت تستمتع بها كثيرًا.

- ماذا تقصدين بقولك «أفعال»؟ سألت فلورنسا وقد فوجئت هيلينا مما قالته.

- إن ارتداء ملابس مثل أخيك بيرتي وإعادة الأغراض المنزلية جعل والدك مريضًا أكثر. لقد رتبت للدكتور بارينجتون ليأخذه إلى الملجأ غدًا. سوف يحقق لك عالمًا من الخير يا إدغار. ألقت كاثرين على شقيقها ابتسامة ضعيفة.

- لقد وثقت بك... كنت أقدرك بشدة. قال السيد ويستكوت وعيناه تمتلئان بالدموع: لم تكن هناك حاجة إلى الحسد. طوال تلك السنوات التي نشأت فيها، أردت أن نكون قريبين من بعضنا بعضاً، ولم أستطع قط أن أفهم لماذا لم نكن كذلك، حسنًا، أنت تفعلين ذلك الآن. بحث السيد ويستكوت في جيب سترته، وأخرج منديلًا وتمخط أنفه.

- إن هذا أمر سخيف تمامًا، يا كاثرين. قالت إيفانجلين ويستكوت: هل تتوقعين مني أن أسمح للدكتور بارينجتون بأخذ إدغار بعيدًا عنا، وأن تتولي أنت العمل؟

- ولماذا لا؟ قالت كاثرين وهي تهز كتفيها قليلاً.

حدّقت هيلينا في كاثرين بذهول. لم يظهر عليها أدنى قدر من الأسف. ورغم أن تصرفاتها المضللة كانت مرتبطة بالافتقار إلى فرص أعظم ـ والتي كان من الصعب (إن لم يكن من المستحيل) أن تحصل عليها النساء ـ فإن ما فعلته كان قاسياً وخاطئاً للغاية حقا. فكرت هيلينا في فلورنسا وفي الرسالة التي أرسلتها إلى الأخوين رايت – الكتب التي اشترتها عمتها لتشجيعها، والمدرس الذي عينته. وفكرت في تصميم ستانلي على اتباع طريقه الخاص في الحياة، وليس المسار الذي اتخذه والداه له. فكرت في النساء ذوات الوجوه المشرقة اللاتي رأتهن مع كتبهن.

ولم يكن لديها أدنى شك في أن طريقهن إلى التعلم كان صعبًا أيضًا، لكنها كانت متأكدة من أنهن لم يلجأن إلى مثل هذه الإجراءات الغادرة لتحقيق طموحاتهن. وكانت والدة فلورنسا تلوي منديلًا بين يديها. كان عليه نمط الجرس الأزرق في إحدى الزوايا – النمط نفسه، الذي عثرت عليه هيلينا في جيب معطف كاثرين في غرفتها بالفندق.

- في الوقت نفسه، كنا في حاجة إلى لطفك وتفهمك. قال السيد ويستكوت وهو يقف بين زوجته وابنته.

لف ذراعيه حول كتفيهما وقربهما من بعضهما بعضاً. لم تصدق كاثرين ما حصل، كما لو أنها لا تصدق تمامًا أن عائلتها لم تفهم تصرفاتها. بينما كانت كاثرين تشاهد فلورنسا وإيفانجلين وهما يغرقان في أحضان السيد ويستكوت، اعتقدت هيلينا أنها رأت لمحة من الندم في عينيها. فركت كاثرين أنفها الرقيق، وفتحت فمها لتتكلم. هل كانت على وشك الاعتذار؟ ثم هزت رأسها هزة خفيفة (وحزينة بعض الشيء)، ووضعت يدها على شفتيها واستدارت بعيدًا. لقد سمعت هيلينا ما يكفي. لقد تمت الإجابة عن الأسئلة التي تدور في ذهنها، ولكن ليس بالطريقة التي توقعتها تمامًا. وقفت وسارت إلى الباب، وألقت نظرة سريعة على وجوه عائلة ويستكوت الشاحبة والمصدومة بينما كانوا يستوعبون هذه الحقائق الجديدة عن بعضهم بعضاً. لقد قامت هي وفلورنسا وأوربت بجمع العائلة معًا مرة أخرى، لكن كان لديها شعور بأن الأمر سيستغرق وقتًا طويلاً للتعافي ليصبحوا العائلة التي كانوا عليها من قبل. ولكن في هذه الأثناء، كان طائرها الثمين لا يزال يحلق فوق رؤوس الأشجار. ومع ذلك هل كانت ستنزله؟

42

الاحتمالات

جلست هيلينا إلى جوار والدها على ضفة النهر تحت سماء مشمسة. كان الأمر كما لو أن حل ألغاز بيت الساعات قد ساعد في إزالة الغيوم، وبدأ الصيف يطفو حولها أخيرًا مثل النافورة. لامست قدماها قمة المياه المتموجة بينما كانت ترفع رأسها، وألقت نظرة خاطفة على جناح أزرق وأخضر بينما كان أوربت يحلق فوق شجرة صفصاف.

- أوربت... صاحت بصوت أجش: اهدأ من فضلك انزل أيها الطائر الجميل.

كان النسيم يداعب شعرها، ويمر عبر أذنيها.

- «أوربت» صاحت مرة أخرى في الهواء الحريري، بينما كانت فراشة ذات أجنحة نحاسية ترفرف في الماضي. وضع والد هيلينا يده اللطيفة على كتفها الأيمن. كانا يسيران على طول ضفة النهر طوال اليوم، وكان والدها يحمل قفص أوربت بينما كانت هي تمسك بقطع التفاح أو حفنة من البذور، في محاولة لإقناع ببغاءها بالسقوط. في بعض الأحيان، كان ينقض على مستوى منخفض بدرجة كافية حتى يتمكن ريش ذيله من تخطي قمة رأسها أو ذراعيها، لكنه بعد ذلك يذهب بعيدًا مرة أخرى. وكان المقامرون على النهر يشيرون، مستمتعين بغناء الببغاء لأغاني الأطفال في قمم الأشجار. وكان راكبو الدراجات يلوحون ويضحكون. وقف المشاة وشاهدوا جهودهما بتعاطف. وعندما عادت هيلينا إلى المنزل في الليلة السابقة، مع قفص أوربت الفارغ، كان والدها يراقب بعينين واسعتين من عتبة الباب إيفانجلين ويستكوت وهي تصعد من العربة، تليها فلورنسا. ووالدها. لقد شهد السيد ويستكوت وهو يخبر أخته أنه سيكون من الأفضل أن تعود إلى لندن على الفور. وقد شعرت كاثرين بالغضب من الاقتراح، لكنها لم تجادل. قبل أن تغادر، التفتت إلى فلورنسا وهيلينا.

- واصلي دراستك، قالت كاثرين وهي خارجة، آمل أن تحمل لك الحياة أشياء لم

تكن ممكنة بالنسبة إلي.»

وتمنت هيلينا أن يتمكن السيد ويستكوت من مسامحة أخته في الوقت المناسب، وأن يجدوا طريقة للمضي قدمًا نحو مستقبل أكثر سعادة. ومع ذلك، فمن خلال النظرات المذهولة على وجوه عائلة ويستكوت، يبدو أن الأمر سيستغرق بعض الوقت قبل أن يحدث ذلك.

- كان الأمر أكثر إثارة للقلق قال والد هيلينا: لقد تأخر قطاري، ووصلت إلى منزل فارغ... الساعات متوقفة... ذهب الجميع.

بكت هيلينا حينها وهي تتكلم عن أوربت، وارتمت بين ذراعي والدها بينما كان يهدئها ويمسح على شعرها، ووعدهما بالعودة إلى المروج فجر اليوم التالي لمحاولة اللحاق بأمازون ذات الواجهة الزرقاء. لكنهم كانوا في المروج المائية عند الفجر، وفي منتصف النهار، وسرعان ما حل الغسق، ولم ينزل أوربت بعد.

- «أرجوك عد» صرخت هيلينا في السماء مرة أخرى، وهي تضرب المرآة الموجودة على جانب قفصه. لقد وجدت فلورنسا والدتها وكانت هيلينا سعيدة بذلك. لكن والدتها رحلت ولن تعود أبدًا، والآن صعد الجزء الأخير منها إلى السماء. كان صدرها يؤلمها بسبب الشعور بذراعي والدتها، والغرغرة الحلقية لضحكتها وهي تعلم أوربت التحدث والغناء.

- إنه كل ما تبقى لي من أمي. قالت هيلينا بصوت متكسر: لا أستطيع أن أتحمل الابتعاد عنه.

- أوه، يا عزيزتي هيلينا. أوربت ليس كل ما تبقى لك من الأم. إنها هنا. وضرب والدها على صدره، وصولاً إلى قلبه: إنها جزء منك وستظل كذلك دائمًا.

- لكن ضحكتها... لن أسمعها مرة أخرى أبدًا. صاحت هيلينا. فاقترب منها والدها، وكانت شعيرات لحيته تلتصق بشعرها: أمك تعشق هذا الطائر. لكن أوربت قام بتقليدها، هذا كل شيء. وهو طائر والطيور تحب الطيران. هل تتذكرين كيف كانت أمك تسمح له بالخروج من القفص، فينقض حول الغرفة في دوائر؟» وقد تجرعت

هيلينا دموعها وأومأت برأسها.

- لقد كان صراعًا رهيبًا لإعادته إلى القفص. لقد أحب أن يكون حرًا أكثر من أي شيء آخر. لكنه حيوان أليف. ربما إذا انتظرنا هنا الليلة، فسوف يأتي. قالت هيلينا بصوت خافت: ستعود الطيور دائمًا عندما تشعر بالجوع أو البرد.

- ولكن هل تعتقدين أنه يريد النزول ؟ سأل والد هيلينا بهدوء: ربما يحتاج أوربت إلى مغامرة صغيرة خاصة به. فكرت هيلينا في القفص الصغير المغلق وريش أوربت المنتوف على الأرض. فكرت في الطيور الميتة المسكينة على قبعات الآنسة ويستكوت. ثم نظرت إلى السماء الشاسعة التي لا نهاية لها، المليئة بنوع الاحتمال الذي قد يتوق إليه الطائر. احترقت الدموع في قاعدة حلقها. مسح والد هيلينا خديها الرطبتين بمنديله الذي كانت تفوح منه رائحة زيت الساعة والمعدن والخشب: لقد كنت أفكر. ربما لا نحتاج إلى متجر الساعات الخاص بنا. ربما كنت مفرطًا في الطموح، وأعمتني فكرة ذلك. أعتقد أن ذلك منعني من التفكير كثيرًا في خسارتنا. سأتوقف، يجب أن أحصل على وظيفة تسمح لنا بقضاء المزيد من الوقت معًا. أنا آسف يا هيلينا. أخشى أنه منذ وفاة أمك...لقد دفنت نفسي في عملي وأهملتك قليلاً. أنا فخور جدًا بك، وكيف ساعدتني في منزل السيد ويستكوت. طبيعتك المتسائلة، كيف ساعدت في جمع تلك العائلة معًا مرة أخرى. لقد أظهرت كفاءة حقيقية مع الساعات أيضًا. أود بشدة أن تستمري في مساعدتي... إذا كان ذلك يرضيك؟

أعطته هيلينا ابتسامة مهزوزة من خلال دموعها. ألقى والد هيلينا قبلة على جانب رأسها:

- أعتقد أنه ربما ينبغي لنا العودة إلى المنزل. كنت أتحدث مع السيد ويستكوت هذا الصباح بشأن الساعات. إنه يرغب في التبرع بها لقضية نبيلة – فجأة يبدو حريصًا على التخلص منها تمامًا – وخاصة ساعة والدته. لقد سألني إذا كنت مهتمًا بالمساعدة في إنشاء متحف. لن يجلب المال نفسه الذي يجلبه متجر صانع الساعات. ولكن ربما نحتاج إلى بداية جديدة؟ ربما يمكننا التحدث عن ذلك... عندما تستقر الأمور قليلاً.

سحبت هيلينا قطعة طويلة من العشب وسحقتها في راحة يدها. لم تكن تحب الساعات بالطريقة الشرسة نفسها التي كان يحبها والدها، ولكن العمل على الآليات كان ممتعًا بالطريقة التي لم تكن عليها الخياطة، وقال والدها إنها أظهرت موهبة في ذلك. لقد اقترح أن لديها مواهب أخرى أكثر إثارة للدهشة أيضًا – الاستماع والمشاهدة واتخاذ قرارات جريئة للمساعدة في لم شمل الأسرة المحطمة مرة أخرى. فكرت في كاثرين وشوقها إلى تحقيق الذات وكيف دفعها ذلك إلى اتخاذ قرارات رهيبة. فكرت في فلورنسا ومهاراتها في الرسم وابتسامتها العريضة و «صيحتها» عندما فتحت أخيرًا رسالة الأخوين رايت - التي دعتها للذهاب إلى لندن للحديث عن أفكارهما حول آلة الطيران! فكرت في ستانلي، الذي سيدرس قريبًا في جامعة كامبريدج. مما أسعده كثيرًا أن عائلة ويستكوت كانت ممتنة للغاية للطريقة التي أدار بها ستانلي المنزل طوال هذا الوقت، فقد عرضوا عليه طعامًا مجانيًا وسكنًا طوال فترة وجوده في كامبريدج، إضافة إلى وظيفة تدريس فلورنسا في عطلات نهاية الأسبوع. كانت هناك طرق عديدة لعيش الحياة، وفجأة بدا المستحيل أكثر ممكنًا بعد كل شيء. استمعت هيلينا إلى صوت خطى والدها المنسحبة فوق العشب. تنهدت ونظرت إلى السماء والغيوم.

- سأعود غدًا أيها الطائر الجميل، سأعود كل يوم حتى تنزل. همست وهي تقول، حملت الريح كلماتها عالياً إلى قمم الأشجار، إلى الأوراق المتحرّكة والأغصان التي تصدر صريراً، حيث جلس ببغاء أزرق وأخضر ينظف جناحيه، وعيناه الخرزيتان تومضان في الضوء الخافت. ترددت ضحكة مألوفة فوق الأشجار مثل شلال متدفق، وكان قلب هيلينا يتألم ويغني في الوقت نفسه. تمايل رأس أوربت مرة، مرتين، ثلاث مرات، ثم برفرفة لطيفة بجناحيه ذهب عالياً في سماء الفضاء الواسع المليء بالاحتمالات. بينما أخذت هيلينا نفسًا عميقًا وخطت نحو مستقبلها المليء بالاحتمالات.

حول الكاتبة

دائما ما كانت آن ماري هاويل تستوحي القصص المحيطة بها، وكيف يمكن للخيال أن يكشف أسرار الماضي. انبهرت آن ماري بالمجموعة الضخمة من الساعات الموجودة هناك بينما كانت في زيارتها لمتحف مويز هول في بوري سانت إدموندز، والتي كانت تعود جميعها لرجل واحد. بدأت تفكر في شخصيّة جامع الساعات المهووس، وبعد زيارة إلى متحف العلوم في لندن، بدأت فكرة القصة في التطور... نُشرت رواية آن ماري هاويل الأولى، حديقة الأسرار المفقودة، لاقت قبولاً كبيرًا من النقاد في عام 2019. تعيش آن ماري هاويل في سوفولك مع زوجها وولديها.

www.usborne.com/lostsecrets

@AMHowellwrites

#lostsecrets

ملهمي على كتابة:
منزل الساعات المائة

يعد متحف مويز هول في شارع بيري ادموند موطنًا لمجموعة رائعة من الساعات والساعات والساعات، التي كان يملكها سابقاً جامع التحف المحلي فريدريك غيرشوم باركينغتون. لقد زرت المتحف عدة مرات، وكثيرًا ما أتساءل ما الذي ألهم غيرشوم باركينغتون لجمع كل هذه الساعات. بدأت أعتقد أنه قد يكون هناك سبب غامض لذلك، ولكن بعد إجراء بعض الأبحاث قررت أنه يحب الساعات حقًا! في تلك المرحلة، بدأت تتبادر إلى ذهني فكرة قصةٍ عن جامع مهووس للساعات. في زيارة إلى متحف العلوم في لندن، تجولنا حول متحف صانعي الساعات، المليء بالساعات المثيرة للاهتمام (بما في ذلك اثنتين مذكورتين في الكتاب – واحدة من الكرونومترات الخاصة بجون هاريسون وساعة الطاولة التي يفترض أنها مملوكة للسير إسحاق نيوتن). إنه مكان رائع للزيارة، خاصة في منتصف النهار عندما تدق الساعات وتدق. بدأت فكرة في التطور. ماذا لو أن المالك المهووس بالساعات في قصتي دفع لرجل وابنته لإبقاء الساعات تدق وتدق بأي ثمن؟ وماذا لو كان لدى هؤلاء الأشخاص شيء ثمين للغاية ليخسروه إذا توقفت الساعات؟ أثناء قيامي بتخطيط مسودتي الأولى، بحثت في أنواع مختلفة من الساعات وأمضيت ساعة سعيدة جدًا في متحف مويز هول مع جهاز لف الساعة الخاص بهم، والذي أظهر كيف تم تجهيز ساعات طويلة مختلفة، حتى أنني تمكنت من تشغيل واحدة بنفسي! لقد شاهدت مقاطع فيديو على اليوتيوب لساعاتٍ تدق لأتعرف على الأصوات المختلفة التي تصدرها، وأعارني أحد الأصدقاء في العمل ساعة جيبه التي كانت تدق بهدوء على مكتبي. قد لا يبدو العصر الإدواردي وقتًا مثيرًا للاهتمام بشكل خاص لضبط ساعة رواية – إنها الفترة ما بين 1901-1910 خلال فترة حكم الملك إدوارد السابع القصيرة. ولكن في عام 1905، كانت النساء قد بدأن بالفعل في النضال من أجل حقوقهن، وحدثت اختراعات عظيمة وتغيرات اجتماعية، بما في ذلك تطور الطيران، واختراعات مثل المكنسة الكهربائية والاستخدام الأكثر انتشارًا للهواتف والكهرباء – كل الأشياء التي جلبتها إلى حياتي القصة. أردت أن

تدور أحداث هذا الكتاب في مكان ما يوفر خلفية مناسبة للتغيرات الاجتماعية الدرامية التي حدثت في عام 1905. خطرت لي فكرة أن تدور أحداث القصة في كامبريدج حيث كنت أعيش وأعمل في هذه المدينة الجميلة، مع جامعة مرموقة في قلبها. ولكن في حين أن الجامعة هي في كثير من الأحيان أول ما قد يخطر على بالك عند ذكر كامبريدج، إلا أن هناك أيضًا مجموعة من السكان العاملين العاديين الذين يعيشون هناك. في عام 1905 كانت هناك ملاجئ للفقراء وكان الكوخان اللذان كانا يؤويان تسعة عشر عائلة المذكوران في الكتاب موجودين. ومع ذلك، فإن الكتاب خيالي، ومنزل السيد ويستكوت، ومنزل هاردويك، والمنزل الريفي في غرانتشيستر في نهاية الكتاب ما هو إلا نسج من خيالي، وكذلك محاولات ستانلي وفلورنسا لمساعدة الأخوين رايت! لقد كنت دائمًا كذلك مفتونةً بالطيور الناطقة وسرعان ما أصبحت فكرة أوربت جزءًا أساسيًا من الحبكة، وهي ذكرى ثمينة لوالدة هيلينا يجب ألا تضيع. كانت نهاية القصة في رأسي منذ البداية – لحظة الخسارة والأمل – ويجب أن أعترف أنني أثناء كتابتها ذرفت دمعة (أو اثنتين) عندما كنت أودّع شخصياتي، وأنا ألوح لهم في مستقبلهم، والذي آمل أن يكون مليئًا بكل نوع من الإمكانيات التي يمكن أن يتمنوها. جاء الإلهام لهذا الكتاب من العديد من الأماكن المختلفة، وآمل بشدة أن تكون قد استمتعت بقراءته وكشف أسرار العالم. بيت الساعات المائة.

آن ماري هويل

شكر وتقدير

إن أول من اقترح فكرة هذا الكتاب هما كلير والاس وليديا سيلفر في دارلي أندرسون. شكرًا لكما على حماسكما ودعمكما العميق – وتحية لليديا لخروجها بالعنوان الرائع! شكرًا جزيلًا للفريق الرائع في آسبورن، ولا سيما ريبيكا هيل وبيكي ووكر على حبهما لهذه القصة ومساعدتهما في جعلها أفضل مما قد تكون عليه. شكرًا أيضًا لفريق التسويق والدعاية في آسبورن – وخاصة كات وماريسا وفريثا على كل أفكاركم العبقرية حول كيفية الترويج لهذا الكتاب ونشره. إن فن الغلاف والرسوم التوضيحية المذهل جعلني أبكي (بطريقة جيدة جدًا) – شكرًا لك كاث ميليشوب وسارة كاتارينا سودرلوند على عملكم المتميز. أنا ممتنةٌ جدًا لأليكس ماكويرتر في متحف مويز هول في بوري سانت إدموندز للسماح لي بمشاهدة تعبئة الساعات في مجموعة غيرشوم باركينغتون – ولثقتي في تعبئة ساعةٍ طويلة بنفسي! شكرًا أيضًا لصديقي كريس على إعارتي ساعة جيب لاستحضر الإلهام الذي تلاشى عندما كتبت المسودة الأولى. وإلى جميع الكتاب والمؤلفين ومدوني الكتب والمروجين والمعلمين والصحفيين وبائعي الكتب الآخرين الذين التقيت بهم عبر الإنترنت وشخصيا – لا توجد مساحة كافية لذكركم جميعا هنا، ولكن شكري موصول لكل واحد منكم من أعماق قلبي على كل دعمكم وتشجيعكم الذي لا يتزعزع. شكرا لعائلتي وأصدقائي الرائعين، وخاصة زوجي جيريمي لاكتشافه الأخطاء المطبعية والنحوية الرهيبة، وأمي لإخبار كل شخص تقابله (حرفيًا) عن كتبي (حتى أنها أقنعت نادلًا في مقهى بالسير في الطريق المؤدي إلى واترستونز لرؤية كتابي في النافذة) شكري الأخير لك أيها القارئ الجميل. من خلال قراءة هذا الكتاب، ساعدت في تحقيق حلمي في أن أصبح مؤلفة وسأكون ممتنةً لك على الدوام.

للكاتبة أيضاً

(منزل الساعات المفقودة)

أكتوبر 1916 أُرسلَت كلارا للبقاء مع خالتها وعمها أثناء الحرب في إنجلترا. ولكن عندما تصل إلى كوخهم الواقع في مزرعة ريفية هائلة، تشتبك كلارا في مجموعة متشابكة من الأسرار... غرفة مظلمة ومغلقة، ولص ماكر، وصبي غامض لا يظهر إلا في الليل. لدى كلارا سر خاص بها أيضًا - سر رهيب يتعلق بأخيها الذي يقاتل في الحرب. وبينما تتحول الأسرار إلى خطر، يجب على كلارا أن تجد الشجاعة لإنقاذ نفسها ومن حولها... تجتمع الأسرار والغموض والشجاعة في هذه المغامرة التاريخية المثيرة.

هذه السلسلة عبارة عن تعاون فريد من نوعه بين ثلاثة مؤلفين حائزين على جوائز، أديل جيراس، وليندا نيوبيري، وآن تورنبول، وجميعهم يكتبون عن منزل واحد خاص جدًا والفتيات والنساء الاستثنائيات اللواتي عشنَ هناك عبر التاريخ.

Telegram:@mbooks90